This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

THE BORROWER WILL BE CHARGED AN OVERDUE FEE IF THIS BOOK IS NOT RETURNED TO THE LIBRARY ON OR BEFORE THE LAST DATE STAMPED BELOW. NON-RECEIPT OF OVERDUE NOTICES DOES NOT EXEMPT THE BORROWER FROM OVERDUE FEES.

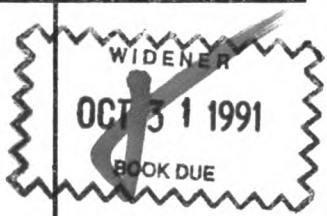

H
C
L

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب

هداية الحيارى

من اليهود والنصارى

تأليف

الامام الحجة الحافظ المتقن المحدث المفسر
سيف الله على اعناق المبتدعين
أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
أيوب الزراعي المعروف بابن القيم
الجوزية الحنبلي المتوفي
سنة ٧٥١ رحمه الله
آمين

طبع على نفقة ملتزمه

Digitized by Google

OL 20832.45

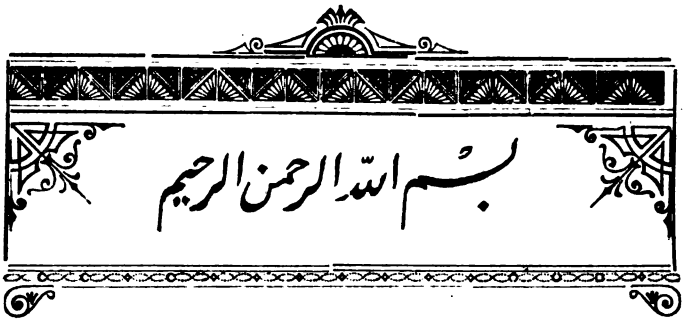

HARVARD UNIVERSITY LIBRARY JAN 28 1965

الحمد لله الذي رضى لنا الاسلام ديناً * ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً * وأوضح السبيل الى معرفته واعتقاده حقاً يقيناً * ووعد من قام بإحكامه وحفظ حدوده أجراً جسيماً * وذخر لمن وافاه به ثواباً جزيلاً وفوزاً عظيماً * وفرض علينا الانقياد له ولاحكامه * والتمسك بدعائمه وأركانه * والاعتصام بعراه وأسبابه * فهو دينه الذى ارتضاه لنفسه ولانبيائه ورسله وملائكة قدسه فيه اهتدي المهتدون واليه دعا الانبياء والمرسلون * أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون * فلا يقبل من أحد ديناً سواه من الاولين والآخرين * ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين * شهد بأنه دينه قبل شهادة الأنام واشاد به ورفع ذكره وسمى به أهله وما أشتملت عليه الارحام فقال تعالى * شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الاسلام * وجعل أهله هم الشهداء على الناس يوم يقوم الاشهاد لما فضلهم به من الاصابة في القول والعمل والهدى والنية والاعتقاد اذ كانوا أحق بذلك وأهله في سابق التقدير فقال * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير * وحكم سبحانه بانه أحسن الاديان ولا أحسن من حكمه ولا أصدق منه قيلا فقال * ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلا * وكيف لايميز من له أدنى عقل يرجع اليه بين دين قام أساسه وأرتفع بناؤه على عبادة الرحمن والعمل بما يحبه ويرضاه الاخلاص في السر والاعلان ومعاملة خلقه بما أمر به من العدل والاحسان مع إيثار طاعته على طاعة الشيطان وبين دين أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار

Digitized by Google

بصاحبه في النار اسس على عبادة النيران وعقد الشركة بين الرحمن والشيطان أودين أسس بنيانه على عبادة الصلبان والصور المدهونة في السقوف والحيطان وأن رب العالمين نزل عن كرسى عظمته فالتحم ببطن انثي وأقام هناك مدة من الزمان بين دم الطمث في ظلمات الاحشاء تحت ملتقى الاعكان ثم خرج صبياً رضيعاً يشب شيئاً فشيئاً ويبكى ويأكل ويشرب ويبول وينام وينقلب مع الصبيان ثم أودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلم ماينبغي للانسان هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه من مكان الى مكان ثم قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان وأركبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان ثم ساقوه الى خشبة الصلب مصفوعاً مبصوقا في وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الايمان ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه القلوب مع الابدان ثم شدت بالحبال يداه والرجلان ثم خالطها تلك المسامير التي تكسر العظام وتمزق اللحمان وهو يستغيث ياقوم أرحموني فلا يرحمه منهم انسان هذا وهو مدبر العالم العلوي والسفلي الذى يسأله من في السموات والارض كل يوم هوفي شأن، ثم مات ودفن في التراب تحت صم الجنادل والصوّان ثم قام من القبر وصعد الى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان فما ظنك بفروع هذا أصلها الذى قام عليه البنيان أو دين أسس بنيانه على عبادة الاله المنحوت بالايدى بعد نحت الافكار من سائر الاجناس على اختلاف الانواع والاصناف والالوان والخضوع له والتذلل والخرور سجوداً علي الاذقان لايؤمن من يدين به بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه يوم يجزى المسئ باسائته والمحسن بالاحسان اودين الامة الغضبية الذين انسلخوا من رضوان الله كانسلاخ الحية من قشرها وباؤا بالغضب والخزى والهوان وفارقوا احكام التوراة ونبذوها وراء ظهورهم واشتروا بها القليل من الاثمان فترحل عنهم التوفيق وقاربهم الخذلان واستبدلوا بولاية الله وملائكته ورسله واوليائه ولاية الشيطان اودين اسس بنيانه على ان العالمين اله وجود مطلق فى الاذهان لاحقيقة له فى الاعيان ليس بداخل فى العالم ولا خارج عنه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولامتمايز عنه ولا مباين له لا يسمع ولايرى ولا يعلم شيئاً من الموجودات ولا يفعل ما يشاء لاحياة له ولاقدرة ولا ارادة ولا اختيار ولم تخلق السموات والارض في ستة أيام بل لم تزل السموات والارض معه وجودها مقارن لوجوده لم يحدثها بعد عدمها ولا له قدرة على إفنائها بعد وجودها ما أنزل على بشر كتاباً ولا أرسل الي الناس رسولا

Digitized by Google

فلا شرع يتبع ولا رسول يطاع ولادار بعد هذه الدار ولا مبدأ للعالم ولا معاد ولا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ان هي الا تسعة افلاك وعشرة عقول وأربعة أركان وأفلاك تدور ونجوم تسير وأرحام تدفع وأرض تبلع * وماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ندّ له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا كفأ إله تعالي عن إفك المبطلين وخوض الكاذبين وتقدس عن شرك المشركين وأباطيل الملحدين كذب العادلون به سواه وضلوا ضلالا بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده إبتعثه بخير ملة وأحسن شِرعة وأظهر دلالة وأوضح حجة وأبين برهان الى جميع العالمين انسهم وجنهم عربهم وعجمهم حاضرهم وباديهم الذى بشرت به الكتب السالفة وأخبرت به الرسل الماضية وجرى ذكره في الاعصار في القرى والامصار والامم الخالية ضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبي البشر الى عهد المسيح ابن البشر كلما قام رسول أخذ عليه الميثاق بالايمان به والبشارة بنبوته حتي انتهت النبوة الى كليم الرحمن موسى بن عمران فأذّن بنبوته على رؤس الاشهاد بين بنى اسرائيل معلناً بالاذان جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران الى أن ظهر المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم فأذن بنبوته أذاناً لم يؤذنه أحد مثله قبله فقام في بني اسرائيل مقام الصادق الناصح وكانوا لايحبون الناصحين فقال * أني رسول الله مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا ان هذا الا سحر مبين * تالله لقد اذن المسيح أذاناً سمعه البادى والحاضر فاجابه المؤمن المصدق وقامت حجة الله على ألجاحد الكافر الله أكبر الله أكبر عما يقول فيه المبطلون ويصفه به الكاذبون وينسبه اليه المفترون والجاحدون ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا كفأ له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا والد له بل هو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثم رفع صوته بالشهادة لاخيه وآذن الناس به بانه عبد الله ورسوله وانه أركون العالم وانه روح الحق الذى لايتكلم من قبل نفسه انما يقول مايقال له وانه يحيي الناس بكل ما أعد الله لهم ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالغيوب

Digitized by Google

ويحييهم بالتأويل ويوبخ العالم على الخطيئة ويخلصهم من يد الشيطان ويستمر شريعته وسلطانه الى آخر الدهر وصرح فى أذانه باسمه ونعته وصفته وسيرته حتى كأنهم ينظرون إليه عِياناً ثم قال حى على الصلاة خلف إمام المرسلين وسيد ولد آدم اجمعين حي على الفلاح باتباع مَن السعادة في اتباعه والفلاح في الدخول في زمرة أشياعه فأذن وأقام وتولى وقال لست أدعكم كالايتام وساعود وأصلى وراء هذا الامام هذا عهدي إليكم ان حفظتموه دام لكم الملك الى آخر الايام فصلى الله عليه من ناصح بشر برسالة أخيه عليهما أفضل الصلاة والسلام وصدق به أخوه ونزهه عماقال فيه وفى أمه أعداؤه المغضوب عليهم من الافك والباطل وزور الكلام كما نزه ربه وخالقه ومرسله عماقال فيه المثلثة عباد الصليب ونسبوه اليه من النقص والعيب والذم *(أما بعد)* فان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالي جده ولا إله غيره جعل الاسلام عصمة لمن لجأ اليه وجنة لمن استمسك به وعض بالنواجذ عليه فهو حرمه الذى من دخله كان من الآمنين وحصنه الذى من لجأ إليه كان من الفائزين ومن انقطع دونه كان من الهالكين وأبي أن يقبل من أحد ديناً سواه ولو بذل في المسير اليه جهده واستفرغ قواه فأظهره على الدين كله حتى طبق مشارق الارض ومغاربها وسار مسير الشمس في الاقطار وبلغ الى حيث انتهى الليل والنهار وعلت الدعوة الاسلامية وارتفعت غاية الارتفاع والاعتلاء بحيث صار أصلها ثابت وفرعها في السماء فتضاءلت لها جميع الاديان وجرت تحتها الامم منقادة بالخضوع والذل والاذعان ونادي المنادى بشعارها في جو السماء بين الخافقين أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صارخا بالشهادتين حتى بطلت دعوة الشيطان وتلاشت عبادة الاوثان واضمحلت عبادة النيران وذل المثلثة عباد الصلبان وتقطعت الامة الغضبية في الارض كتقطع السراب في القيعان وصارت كلمة الاسلام العليا وصار له في قلوب الخلائق المثل الاعلى وقامت براهينه وحججه على سائر الامم في الآخرة والاولي وبلغت منزلته في العلو والرفعة الغاية القصوى وأقام له وليه ومصطفيه أعواناً وأنصارا نشروا ألويته وأعلامه وحفظوا من التغيير والتبديل حدوده واحكامه وبلّغوا الى نظرائهم كما بلغ اليهم من قبلهم حلاله وحرامه ، فعظموا شعائره وعلموا شرائعه وجاهدوا اعدائه بالحجة والبيان حتى استغلظ واستوى على سوقه يعجب الزراع ويغيظ الكفار وعلا بنيانه المؤسس علي تقوى من الله ورضوان اذ كان بناء غيره مؤسساً على شفا جرف هار فتبارك الذى رفع منزلته واعلى كلمته وفخم شأنه وشاد بنيانه وأذل مخالفيه ومعانديه

Digitized by Google

وكبت من يبغضه ويعاديه ووسمهم بانهم شر الدواب وأعدلهم اذا قدموا عليه اليم العقاب وحكم لهم بانهم أضل سبيلا من الانعام اذ استبدلوا الشرك بالتوحيد والضلال بالهدى والكفر بالاسلام وحكم سبحانه لعلماء الكفر وعباده حكماً يشهد ذووا العقول بصحته ويرونه شيئاً حسناً فقال تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً *

(فصل) فاين يذهب من تولى عن توحيد ربه وطاعته ولم يرفع رأساً بأمره ودعوته وكذب رسوله وأعرض عن متابعته وحاد عن شريعته ورغب عن ملته واتبع غير سنته ولم يستمسك بعهده ومكّن الجهل من نفسه والهوى والعناد من قلبه والجحود والكفر من صدره والعصيان والمخالفة من جوارحه فقد قابل خبر الله بالتكذيب وأمره بالعصيان ونهيه بالارتكاب يغضب الرب وهو راض ويرضى وهو غضبان يحب مايبغض ويبغض مايحب ويوالى من يعاديه ويعادى من يواليه يدعو الى خلاف مايرضى وينهى عبداً اذا صلى قد اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم فأصمه وأبكمه وأعماه فهو ميت الدارين فاقد السعادتين قد رضى بخزى الدنيا وعذاب الآخرة وباع التجارة الرابحة بالصفقة الخاسرة فقلبه عن ربه مصدود وسبيل الوصول الى جنته ورضاه وقربه عنه مسدود فهو ولى الشيطان وعدو الرحمن وحليف الكفر والفسوق والعصيان رضى المسلمون بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا ورضى المخذول بالصليب والوثن إلهاً وبالتثليث والكفر ديناً وبسبيل الضلال والغضب سبيلا أعصى الناس للخالق الذى لاسعادة له إلا في طاعته وأطوعهم للمخلوق الذي ذهاب دنياه وأخراه في طاعته فاذا سئل في قبره من ربك وما دينك ومن نبيك قال آه آه لاأدري فيقال لادريت ولا تليت وعلى ذلك حييت وعليه مت وعليه تبعث انشاء الله ثم يضرم عليه قبره ناراً ويضيق عليه كالزج في الرمح الى قيام الساعة * واذا بعثر مافي القبور وحصل مافي الصدور * وقام الناس لرب العالمين ونادي المنادى * وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ثم رفع لكل عابد ما كان يعبده ويهواه وقال الرب تعالى وقد أنصت له الخلائق أليس عدلا مني أن أولى كل انسان منكم ما كان في الدنيا يتولاه فهناك يعلم المشرك حقيقة ما كان عليه ويبين له سوء منقلبه وما صار اليه ويعلم الكفار انهم لم يكونوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون * وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون

Digitized by Google

الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون *

(فصل) ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان اهل الارض صنفين اهل الكتاب وزنادقة لا كتاب لهم وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين وهم نوعان مغضوب عليهم وضالون فالامة الغضبية هم اليهود أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل قتلة الانبياء وأكلة السحت وهو الرباوالرشا أخبث الامم طوية وارداهم سجية وابعدهم من الرحمة واقربهم من النقمة عادتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء بيت السحر والكذب والحيل لايرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الانبياء حرمة ولايرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة ولالمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة ولالمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة بل أخبثهم اعقلهم وأحذقهم أغشهم وسليم الناصية وحاشاه أن يوجد بينهم ليس بيهودي على الحقيقه أضيق الخلق صدوراً وأظلمهم بيوتاً وأنتنهم أفنية وأوحشهم سجية تحيتهم لعنة ولقاؤهم طيرة شعارهم الغضب ودثارهم المقت

(فصل) والصنف الثاني المثلثة أمة الضلال وعباد الصليب الذين سبوا الله الخالق مسبة ماسبه إياها أحد من البشر ولم يقروا بانه الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولم يجعلوه أكبر من كل شئ بل قالوا فيه ماتكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فقل ماشئت في طائفة أصل عقيدتها ان الله ثالث ثلاثة وان مريم صاحبته وان المسيح ابنه وانه نزل عن كرسى عظمته والتحم ببطن الصاحبة وجرى له ماجرى إلى أن قتل ومات ودفن فدينها عبادة الصلبان ودعاء الصور المنقوشة بالاحمر والاصفر في الحيطان يقولون في دعائهم ياوالدة الاله أرزقنا وأغفرى لنا وارحمينا فدينهم شرب الخمور وأكل الخنزير وترك الختان والتعبد بالنجاسات وأستباحة كل خبيث من الفيل الى البعوضة والحلال ماحلله القس والحرام ماحرمه والدين ماشرعه وهو الذى يغفر لهم الذنوب وينجيهم من عذاب السعير

(فصل) فهذا حال من له كتاب وأما من لا كتاب له فهو بين عابد أوثان وعابد نيران وعابد شيطان وصابئ حيران يجمعهم الشرك وتكذيب الرسل وتعطيل الشرائع وانكار المعاد وحشر الاجساد لايدينون للخالق بدين ولا يعبدونه مع العابدين ولايوحدونه مع الموحدين وأمة المجوس منهم تستفرش الامهات والبنات والاخوات دع العمات والخالات دينهم الزمر وطعامهم الميتة وشرابهم الخمر ومعبودهم النار ووليهم

Digitized by Google

الشيطان فهم أخبث بني آدم نحلة وارداهم مذهباً وأسوأهم اعتقاداً (وأما) زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة فلا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه ولا يؤمنون بمبدء ولا معاد وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد قادر على كل شئ عالم بكل شئ آمر ناهٍ مرسل الرسل ومنزل الكتاب ومثيب المحسن ومعاقب المسيئ وليس عند نظارهم الا تسعة أفلاك وعشرة عقول وأربعة أركان وسلسلة ترتبت فيها الموجودات هي بسلسلة المجانين أشبه منها بمجوزات العقول وبالجملة فدين الحنيفية الذى لادين لله غيره بين هذه الاديان الباطلة التي لا دين في الارض غيرها أخفى من السها تحت السحاب وقد نظر الله الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب فاطلع الله شمس الرسالة في حناديس تلك الظلم سراجاً منيراً وأنعم بها على أهل الارض نعمة لايستطيعون لها شكورا واشرقت الارض بنورها أكمل الاشراق وفاض ذلك حتى عم النواحي والآفاق واتسق قمر الهدى أتم الاتساق وقام دين الله الحنيف على ساق فلله الحمد الذي انقذنا بمحمد صلى الله عليه وسلم من تلك الظلمات وفتح لنا به باب الهدى فلا يغلق الى يوم الميقات وأرانا في نوره أهل الضلال وهم في ضلالهم يتخبطون وفي سكرتهم يعمهون وفي جهالتهم يتقلبون وفي ريبهم يتردد دون يؤمنون ويعدلون ولكن بربهم يعدلون ويعلمون ولكن ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ويسجدون ولكن للصليب والوثن وللشمس يسجدون ويمكرون ومايمكرون الا بأنفسهم ومايشعرون *لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين *كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون *والحمد لله الذي أغنانا بشريعته التي تدعو الى الحكمة والموعظة الحسنة وتتضمن الامر بالعدل والاحسان والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الامم واليه الرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة وان يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة فأحب الوسائل الى المحسن التوسل اليه باحسانه والاعتراف له بان الامر كله محض فضله وامتنانه فله علينا النعمة السابقة كماله علينا الحجة البالغة نبوءه بنعمه علينا ونبوء بذنوبنا وخطايانا وجهلنا وظلمنا واسرافنا في أمرنا فهذه بضاعتنا التي لدينا لم تبق لنا نعمه وحقوقها وذنوبنا حسنة يزكوها الفوز بالثواب والتخلص من اليم العقاب بل بعض ذلك يستنفذ جميع حسناتنا

Digitized by Google

ويستوعب كل طاعتنا هذا لو خلصت من الشوائب وكانت خالصة لوجهه واقعة على وفق امره وما هو والله الا التعلق باذيال عفوه وحسن الظن به واللجأ منه اليه والاستعاذة به منه والاستكانة والتذلل بين يديه ومدّ يد الفاقة والمسكنة اليه بالسؤال والافتقار اليه في جميع الاحوال فمن أصابته نفحة من نفحات رحمته أو وقعت عليه نظرة من نظرات رأفته انتعش من بين الاموات وأناخت بفنائه وفود الخيرات وترحلت عنه جيوش الهموم والغموم والحسرات

واذا نظرتَ الي نظرة راحمٍ * في الدهر يوماً انني لسعيد

(فصل) ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان والسيف والسنان والقلب والجنان وليس وراء ذلك حبة خردل من الايمان وكان انتهى الينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين فلم يصادف عنده مايشفيه ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه وظن المسلم انه يضربه بدواته فسطا به ضرباً وقال هذا هو الجواب فقال الكافر صدق أصحابنا في قولهم أن دين الاسلام انما قام بالسيف لا بالكتاب فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب فشمّر المجيب ساعد العزم ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به مفوض اليه متكل عليه في موافقة مرضاته ولم يقل مقالة العجزة الجهال ان الكفار انما يعاملون بالجلاد دون الجدال وهذا فرار من الزحف واخلاد الى العجز والضعف فجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحة للعذر ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة والسيف انما جاء منفذاً للحجة مقوماً للعناد وحداً للجاحد قال تعالى * لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز * فدين الاسلام قام بالكتاب الهادى ونفذه السيف الناصر شعر

فما هو الا الوحى أو حد مرهف * يقيم ضُباهُ أخدعي كل مائل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل * وهذا دواء الداء من كل جاهل

والى الله الرغبه في التوفيق * فانه الفاتح من الخير أبوابه والميسر له أسبابه وسميته ﴿هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى﴾ وقسمته قسمين القسم الاول في أجوبة المسائل القسم الثاني في تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الدلائل فجاء بحمد الله ومنه وتوفيقه كتاباً ممتعاً معجباً لا يسأم قاريه ولا يمل الناظر

Digitized by Google

فيه فهو كتاب يصلح للدنيا والآخرة ولزيادة الايمان ولذة الانسان يعطيك ماشئت من اعلام النبوة وبراهين الرسالة وبشارات الانبياء بخاتمهم واستخراج اسمه الصريح من كتبهم وذكر نعته وصفته وسيرته من كتبهم والتمييز بين صحيح الاديان وفاسدها وكيفية فسادها بعد استقامتها وجملة من فضائح أهل الكتابين وما هم عليه وأنهم أعظم الناس براءة من أنبيائهم وان نصوص انبيائهم تشهد كفرهم وضلالهم وغير ذلك من نكت بديعة لا توجد في سواه والله المستعان وعليه التكلان فهو حسبنا ونعم الوكيل (أما المسئلة الاولى) وهي قول السائل قد اشتهر عندكم بان أهل الكتابين مامنعهم من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لاغير فكلام جاهل بما عند المسلمين وبما عند الكفار اما المسلمون فلم يقولوا انه لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لاغير وان قال هذا بعض عوامهم فلا يلزم جماعتهم والممتنعون من الدخول في الاسلام من أهل الكتابين وغيرهم جزء يسير جداً بالاضافة الى الداخلين فيه منهم بل أكثر الامم دخلوا في الاسلام طوعا ورغبة واختياراً لا كرهاً ولا اضطرارا فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا الى أهل الارض وهم خمسة أصناف قد طبقوا الارض يهود ونصاري ومجوس وصابئة ومشركون وهذه الاصناف هي التي كانت قد استولت على الدنيا من مشارقها الى مغاربها (فاما) اليهود فاكثر ما كانوا باليمن وخيبر والمدينة وما حولها وكانوا بأطراف الشام مستذلين مع النصارى وكان منهم بأرض العرب فرقة وأعز ما كانوا بالمدينة وخيبر وكان الله سبحانه قد قطعهم في الارض أمماً وسلبهم الملك والعز وأما النصاري فكانوا أطبق الارض فكانت الشام كلهم نصارى وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد وأما المجوس فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها وأما الصابئة فاهل حران وكثير من بلاد الروم وأما المشركون فجزيرة العرب جميعها وبلاد الهند وبلاد الترك وما جاورها وأديان أهل الارض لاتخرج عن هذه الاديان الخمسة ودين الحنفاء لا يعرف فيهم البتة وهذه الاديان الخمسة كلها للشيطان كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره الاديان ستة واحد للرحمن وخمسة للشيطان وهذه الاديان الستة مذكورة في آية الفصل في قوله تعالى * ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصاري والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد * فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استجاب له ولخلفائه بعده أكثر الاديان طوعا واختيارا ولم يكره

Digitized by Google

أحـد قط على الدين وانما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالا لامر ربه سبحانه حيث يقول * لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي * وهذا نفي في معنى النهي أي لا تكرهوا أحداً على الدين نزلت هذه الاية في رجال من الصحابة كان لهـم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الاسـلام فلما جاء الاسلام أسلم الآباء وأرادوا اكراه الاولاد على الدين فنهاهم الله سبحانه عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الاسلام والصحيح ان الآية على عمومها في حق كل كافر وهذا ظاهر على قول من يجوز أخذ الجزية من جميع الـكفار فلا يكرهون على الدخول في الدين بل اما ان يدخلوا في الدين وأما ان يعطوا الجزية كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة وان استثنى هؤلاء بعض عبدة الاوثان ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تبين له انه لم يكره أحداً على دينه قط وانه انمـا قاتل من قاتله وأما من هادنه فلم يقاتله مادام مقيما على هدنته لم ينقض عهده بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له كما قال تعالى * فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم * ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤه بالقتال قاتلهم فمن على بعضهم وأجلى بعضهم وقتل بعضهم وكذلك لما هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدأوا هم بقتاله ونقضوا عهده فعند ذلك غزاهم في ديارهم وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخنـدق ويوم بدر ايضاً هم جاؤا لقتاله ولو انصرفوا عنـه لم يقاتلهم والمقصود انه صلى الله عليه وسلم لم يكره أحدا على الدخول في دينه البتة وانما دخل الناس في دينه اختياراً وطوعا فاكثر أهل الارض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى وانه رسول الله حقاً فهؤلاء اهل اليمن كانوا على دين اليهودية أو أكثرهم كما قال النبي صـلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن انك ستأتي قوما اهل كتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله وذكر الحديث ثم دخلوا في الاسلام من غير رغبة ولا رهبة وكذلك من اسلم من يهود المدينة وهم جماعة كثيرون غير عبـد الله مذكورون في كتب السير والمغازي لم يسلموا رغبة في الدنيا ولا رهبـة من السيف بل اسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة اعدائهم ومحاربة اهل الارض لهم من غـير سوط ولا نوط بل تحملوا معاداة اقربائهم وحرمانهم نفـعهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات ايديهم فكان احدهم يعادي اباه وامه واهل بيته وعشيرته ويخرج من الدنيا رغبة في الاسلام لا الرياسـة ولا المال بل يخلع من الرياسـة والمال ويتحمل أذى الكفار من ضربهم

Digitized by Google

وشتمهم وصنوف اذاهم ولايصرفه ذلك عن دينه فان كان كثير من الاحبار والرهبان والقسيسين ومن ذكره هذا السائل قد اختاروا الكفر فقد أسلم جمهور أهل الارض من فرق الكفار ولم يبق الا الاقل بالنسبة الى من أسلم فهؤلاء نصارى الشام كانوا ملئ الشام ثم صاروا مسلمين الا النادر فصاروا في المسلمين كالشعرة السوداء في الثور الابيض وكذلك المجوس كانت أمة لايحصى عددهم الا الله فاطبقوا على الاسلام لم يتخلف منهم الا النادر وصارت بلاد اسلام وصار من لم يسلم منهم تحت الجزية والذلة وكذلك اليهود أسلم أكثرهم ولم يبق منهم الا شرذمة قليلة مقطعة في البلاد فقول هذا الجاهل ان هاتين الامتين لايحصى عددهم الا الله كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم كذب ظاهر وبهت مبين حتى لو كانوا كلهم قد أجمعوا على الكفر لكانوا في ذلك أسوة قوم نوح وقد أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويريهم من الآيات مايقيم حجة الله عليهم وقد أطبقوا على الكفر الا قليلا منهم كما قال تعالى * وما آمن معه الا قليل * وهم كانوا اضعاف اضعاف هاتين الامتين الكافرتين اهل الغضب وأهل الضلال وعاد اطبقوا على الكفر وهم أمة عظيمة عقلاء حتى استأصلوا بالعذاب وثمود اطبقوا جميعهم على الكفر بعد رؤية الآية العظيمة التي يؤمن على مثلها البشر ومع هذا فاختاروا الكفر على الايمان كما قال تعالى * واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدي * وقال تعالى * وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين * فهاتان امتان عظيمتان من اكبر الامم قد اطبقتا على الكفر مع البصيرة فامة الغضب والضلال اذ اطبقتا على الكفر فليس ذلك ببدع وهؤلاء قوم فرعون مع كثرتهم قد أطبقوا على جحد نبوة موسى مع تظاهر الآيات الباهرة آية بعد آية فلم يؤمن منهم الا رجل واحد كان يكتم ايمانه وأيضا فيقال للنصارى هؤلاء اليهود مع كثرتهم في زمن المسيح حتى كانوا ملأ بلاد الشام كما قال تعالى * وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها * وكانوا قد أطبقوا على تكذيب المسيح وجحد نبوته وفيهم الاحبار والعباد والعلماء حتى آمن به الحواريون فاذا جاز على اليهود وفيهم الاحبار والعباد والزهاد وغيرهم الاطباق على جحد نبوة المسيح والكفر به مع ظهور آيات صدقه كالشمس جاز عليهم انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومعلوم أن جواز ذلك على أمة الضلال الذين هم أضل من الانعام وهم النصاري أولى وأحري فهذا السؤال الذي أورده هذا

Digitized by Google

السائل وارد بعينه في حق كل نبي كذبته امة من الامم فان صوب هذا السائل رأي تلك الامة كلها فقد كفر بجميع الرسل وان قال ان الانبياء كانوا على الحق وكانت تلك الامم مع كثرتها ووفور عقولها على الباطل فلأن يكون المكذبون بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم هم الاقلون الاذلون الارذلون من هذه الطوائف على الباطل أولى واحري واي امة من الامم اعتبرتها وجدتها المصدقين بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جمهورها وأقلها وراذلها هم الجاحدون لنبوته فرقعة الاسلام اتسعت في مشارق الارض ومغاربها غاية الاتساع بدخول هذه الامم في دينه وتصديقهم برسالته وبقى من لم يدخل منهم في دينه وهم من كل أمة أقلها وأين يقع النصارى المكذبون برسالته اليوم من أمة النصرانية الذين كانوا قبله وكذلك اليهود والمجوس والصابئة لانسبة للمكذبين برسالته بعد بعثه لى جملة تلك الامة قبل بعثه وقد أخبر تعالى عن الامم التي أطبقت على تكذيب الرسل ودمرها الله تعالى فقال تعالى * ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لايؤمنون* فأخبر عن هؤلاء الامم أنهم تطابقوا على تكذيب رسلهم وانه عمهم بالاهلاك فقال تعالى * كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون * ومعلوم قطعاً ان الله تعالى لم يهلك هذه الامم الكثيرة الا بعد ماتبين لهم الهدى فاختاروا عليه الكفر ولم يتبين لهم الهدى لم يهلكهم كما قال تعالى * وما كنا مهلكى القري الا وأهلها ظالمون* وقال تعالى* فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين * أى فلم يكن قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس ومعلوم قطعاً انه لم يصدق نبي من الانبياء من أولهم الى آخرهم ولم يتبعه من الامم ماصدق محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم والذين اتبعوه من الامم أضعاف أضعاف هاتين الامتين المكذبتين مما لايحصيهم الا الله ولا يستريب من له مسكة من عقل ان الضلال والجهل والغى وفساد العقل الى من خالفه وجحد نبوته أقرب منه الى اتباعها ومن أقر بنبوته وحينئذ فيقال كيف جاز على هؤلاء الامم التى لايحصيهم الا الله الذين قد بلغوا مشارق الارض ومغاربها على اختلاف طبائعهم وأغراضهم وتباين مقاصدهم الاطباق على اتباع من يكذب على الله بلا وقوف على العقل ويحل ماحرم الله في دعوي وهو شر خلق الله وفاجرهم وأظلمهم وأكذبهم ولا يشك من له أدنى عقل أن إطباق أكثر الامم على متابعة هذا

Digitized by Google

النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وخروجهم عن ديارهم وأموالهم ومعاداتهم آباءهم وأبناءهم وعشائرهم في متابعته وبذلهم نفوسهم بين يديه من أعظم المحال فتجويز إختيار الكفر بعد تبين الهدى على شرذمة قليلة حقيرة لها أغراض عديدة من هاتين الامتين أولى من تجويز ذلك على المسلمين الذين طبقوا مشارق الارض ومغاربها وهم أعقل الامم وأعلقها في جميع خصال الفضل وأين عقول عباد العجل وعباد الصليب الذين أضحكوا سائر العقلاء على عقولهم ودلوهم على مبلغها بما قالوه في معبودهم من عقول المسلمين واذا جاز اتفاق أمة فيها من قد ذكره هذا السائل على أن رب العالمين وخالق السموات والارضين نزل عن عرشه وكرسي عظمته ودخل في بطن امرأة في محل الحيض والطمث عدة شهور ثم خرج من فرجها طفلا يمص الثدي ويبكي ويكبر شيئاً فشيئاً ويأكل ويشرب ويبول ويصح ويمرض ويفرح ويحزن ويلذ ويؤلم ثم دبر حيلة على عدوه ابليس بأن مكن اعداءه اليهود من نفسه فأمسكوه وساقوه الى خشبتين يصلبونه عليها وهم يجرونه الى الصلب والاوباش والاراذل قدامه وخلفه وعن يمينه وعن يساره وهو يستغيث ويبكي فقدم من الخشبتين ثم توجوه بتاج من الشوك واوجعوه صفعاً ثم حملوه على الصليب وسمروا يديه ورجليه وجعلوه بين لصين وهو الذي اختار هذا كله لتتم له الحيلة على ابليس لخلص آدم وسائر الانبياء من سجنه ففداهم بنفسه حتى خلصوا من سجن ابليس واذا جاز إتفاق هذه الامة وفيهم الاحبار والرهبان والقسيسون والزهاد والعباد والفقهاء ومن ذكرتم على هذا القول في معبودهم والههم حتى قال قائل منهم وهو من اكابرهم عندهم اليد الذي خلقت آدم هي التي باشرت المسامير ونالت الصلب فكيف لايجوز عليهم الاتفاق على تكذيب من جاء بتكفيرهم وتضليلهم ونادي سراً وجهراً بكذبهم على الله وشتمهم له أقبح شتم وكذبهم على المسيح وتبديلهم دينه وعاداهم وقبائلهم وبرأهم من المسيح وبرأه منهم واخبرانهم وقود النار وحصب جهنم فهذا لهذا الاسباب التي اختاروا لاجلها الكفر على الايمان وهو من اعظم الاسباب فقولكم ان المسلمين يقولون انهم لم يمنعهم من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لاغير كذب على المسلمين بل الرياسة والمأكلة من جملة الاسباب المانعة لهم من الدخول في الدين وقد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم فلما تبين لبعضهم فساد ماهم عليه قالوا لو دخلنا في الاسلام لكنا من اقل المسلمين لا يأبه لنا ونحن متحكمون في اهل ملتنا في أموالهم ومناصبهم ولنا بينهم أعظم الجاه وهل منع فرعون وقومه من اتباع موسى الا ذلك والاسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً (فمنها) الجهل

Digitized by Google

به وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس وان من جهل شيئاً عاداه وعادي أهله فان انضاف الى هـذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى فان انضاف الى ذلك ألفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع فان انضاف الى ذلك توهمه ان الحق الذى دعي اليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته واغراضه قوى المانع من القبول جداً فان انضاف الى ذلك خوفه من اصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهـه كما وقع لهرقـل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة فان هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الاسـلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الـكفر على الاسلام بعد ما تبين له الهدى كما سيأتي ذكر قصته ان شاء الله تعالى ومن أعظم هـذه الاسباب الحسد فانه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي مالم يؤت نظـيره فلا يدعه الحسد ان ينقاد له ويكون من اتباعه وهل منع ابليس من السجود لآدم الا الحسد فانه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه غص بريقه واختار الـكفر على الايمـان بعد إن كان بين الملائكة وهذا الداء هو الذى منع اليهود من الايمـان بعيسى ابن مريم وقد علموا علماً لاشك فيه انه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على ان اختاروا الـكفر على الايمان وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الاحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والامراء هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة يخالفها ولم يقاتلهم وانما أتي بتحليل بعض ماحرم عليهم تخفيفاً ورحمة واحساناً وجاء مكملا لشريعة التوراة ومع هذا فاختاروا كلهـم الـكفر على الايمان فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتاً لهم بقبائحهم ومناديا على فضائحهم ومخرجا لهم من ديارهم وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهـم ويظفر بهم ويعلو هو واصحابه وهم معه دائماً في سفال فكيف لايملك الحسد والبغي قلوبهم وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح وقد اطبقوا على الـكفر به من بعد ما تبين لهم الهدي وهذا السبب وحده كاف في رد الحق فكيف اذا انضاف اليه زوال الرياسات والمآكل كما تقدم وقد قال المسور بن مخرمة وهو ابن أخت أبي جهل ياخالي هل كنتم تتهمون محمداً بالـكذب قبل أن يقول ماقال فقال يا ابن أختي والله لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم فينا وهو شاب يدعى الامين فما جربنا عليه كذباً قط قال ياخال فما لـكم لاتتبعونه قال يا ابن اختي تنازعنا نحن وبنوا هاشم الشرف فاطعموا واطعمنا وسقوا وسقينا واجاروا وأجرنا حـتى تجاثينا على الركب

Digitized by Google

وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي فمتى تدرك مثل هذه وقال الاخنس بن شريق يوم بدر لابي جهل ياأبا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هاهنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فما ذا يكون لسائر قريش وأما اليهود فقد كان علماؤهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال هل تدري عما كان اسلام اسد وثعلبة ابني شعبة واسد بن عبيد لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير كانوا فوق ذلك فقلت لا قال فانه قدم علينا رجل من الشام من اليهود يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا والله مارأينا رجلا يصلي خيرا منه فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين فكنا اذا قحطنا وقل علينا المطر نقول يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا فيقول لا والله حتي تقدموا امام مخرجكم صدقة فنقول كم فيقول صاع من تمر او مدين من شعير فنخرجه ثم يخرج الي ظاهر حرتنا ونحن معه نستسقي فوالله مايقوم من مجلسه حتي تمطر ويمر بالشعاب قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلثة فحضرته الوفاة واجتمعنا اليه فقال يامعشر يهود ماترون ماأخرجني من ارض الخمر والخمير الى ارض البؤس والجوع قالوا أنت اعلم قال فاني انما خرجت اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه هذه البلاد مهاجرة فاتبعوه ولا يسبقن اليه غيركم اذا خرج يامعشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن يخالفه فلا يمنعكم ذلك منه ثم مات فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة قال اولئك الثلثة الفتية وكانوا شباناً احداثاً يامعشر اليهود والله انه للذي ذكر لكم ابن الهيبان فقالوا ماهو به قالوا بلى والله انه لصفته ثم نزلوا واسلموا وخلوا اموالهم واهليهم قال ابن اسحق وكانت اموالهم في الحصن مع المشركين فلما فتح ردت عليهم وقال ابن اسحق حدثني صالح ابن ابراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف عن محمود بن لبيد قال كان بين ابناءنا يهودي فخرج على نادي قومه بني عبد الاشهل ذات غداة فذكر البعث والقيمة والجنة والنار والحساب والميزان فقال ذلك لاصحاب وثن لايرون ان بعثا كائنا بعد الموت وذلك قبيل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك يافلان وهذا كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم قال نعم والذي يحلف به لوددت ان حظي من تلك النار ان توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه ثم تقذفوني فيه ثم تطبقون علي وانى أنجو من النار غداً فقيل يافلان ماعلامة ذلك قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد

وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا فمتى نراه فرمى بطرفه فرأني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي وانا أحدث القوم فقال ان يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم واني لحي بين أظهرنا فآمنا به وصدقناه وكفر به بغياً وحسداً فقلنا يافلان ألست الذي قلت ماقلت وأخبرتنا به قال ليس به قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني اشياخ منا قالوا لم يكن احد من العرب اعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن وكنا اذا بلغنا منهم مايكرهون قالوا ان نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم قتل عاد وإرم فلما بعث الله عز وجل رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتبعناه وكفروا ففينا وفيهم أنزل الله عزوجل * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * وذكر الحاكم وغيره عن ابن أبي نجيح عن علي الازدي قال كانت اليهود تقول اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالت اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عزوجل * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا * يعني بك يامحمد فلعنة الله على الكافرين يستفتحون أي يستنصرون وذكر الحاكم وغيره ان بني النضير لما اجلوا من المدينة أقبل عمرو بن سعد فاطاف بمنازلهم فرأي خرابها ففكر ثم رجع الى بني قريظة فوجدهما في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا ياأباسعيد أين كنت منذ اليوم فلم نرك وكان لايفارق الكنيسة وكان يناله في اليهودية قال رأيت اليوم عبراً اعتبرنا بها رأيت اخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا اموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة وقد اوقع قبل ذلك بابن الاشرف في غيره ببنائه في بيته آمنا واوقع بابن سنينة سيدهم واوقع ببني قينقاع فاجلاهم وهم جل اليهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم النبي عليه السلام فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على ان أجلاهم من يثرب ياقوم قد رأيتم مارأيتم فاطيعوني وتعالوا نتبع محمداً فوالله أنكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان وأبو عمرو وابن حواس

Digitized by Google

وهما أعلم اليهود جاءا من بيت المقدس يتوكفان قدومه وامرانا باتباعه وأمرانا ان نقريه منهما السلام ثم مانا على دينهما ودفناهما بحرتنا فاسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم فاعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء فقال الزبير ابن باطا قد والتوراة قرأت صفته في كتاب التوراة التي انزلت على موسى ليس في المثاني التي أحدثنا فقال له كعب ابن أسد مايمنعك ياأبا عبد الرحمن من اتباعه قال أنت قال ولم فوالتوراة ماحلت بينك وبينه قط قال الزبير بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وان ابيت أبينا فاقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ماتقاولا في ذلك الى أن قال كعب ماعندى في ذلك الاماقلت ماتطيب نفسي أن أصير تابعاً وهذا المانع هو الذي منع فرعون من اتباع موسى فانه لما تبين له الهدى عزم على اتباع موسى عليه السلام فقال له وزيره هامان بينا أنت اله تعبد تصبح تعبد ربا غيرك قال صدقت وذكر ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن صفية بنت حيي انها قالت كنت أحب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاءا من العشى فسمعت عمي يقول لابي أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله مابقيت فهذه الامة الغضبية معروفة بعداوة الانبياء قديماً واسلافهم وخيارهم قد أخبرنا الله سبحانه عن اذاهم لموسى ونهانا عن التشبه بهم فى ذلك فقال ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾ وأما خلقهم فهم قتلة الانبياء قتلوا زكريا وابنه يحيي وخلقاً كثيراً من الانبياء حتي قتلوا في يوم سبعين نبياً واقاموا السوق في آخر النهار كانهم لم يصنعوا شيئاً واجتمعوا على قتل المسيح وصلبه فصانه الله عن ذلك وا كرمه ان بهينه على أيديهم وألقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه ورامو قتل خاتم النبيين مراراً عديدة والله يعصمه منهم ومن هذا شأنهم لايكبر عليهم اختيار الكفر على الايمان لسبب من الاسباب التي ذكرنا بعضها أو سببين أو أكثر وقد ذكرنا اتفاق أمة الضلال وعباد الصليب على مسبة رب العالمين أقبح مسبة وعلى مايعلم بطلانه بصريح العقل فان خفى عليهم ان هذا مسبة لله وان العقل يحكم ببطلانه وبفساده من أول وهلة لم يكثر على تلك العقول السخيفة أن تسب بشرا أرسله الله وتجحد نبوته وتكابر مادل عليه صريح العقل من صدقه وصحة رسالته فلو قالوا فيه ماقالوا لم يبلغ بعض قولهم في رب الارض والسموات الذى صاروا به ضحكة بين جميع اصناف بني آدم فامة اطبقت على ان الاله الحق سبحانه عما يقولون صلب وصفع وسمر ووضع الشوك على رأسه ودفن في التراب ثم قام فى اليوم الثالث وصعد

Digitized by Google

وجلس على عرشه يدبر امر السموات والارض لايكثر عليها أن تطبق على جحد نبوة من جاء بسبها ولعنها ومحاربتها وإبداء معايبها والنداء على كفرها بالله ورسوله والشهادة على براءة المسيح منها ومعاداته لها ثم قاتلها وأذلها وأخرجها من ديارها وضرب عليها الجزية وأخبر انها من اهل الجحيم خالدة مخلدة لايغفر الله لها وانها من الحمير بل هي شر الدواب عند الله وكيف تنكر لامة أطبقت على صلب معبودها والاهها ثم عمدت الى الصليب فعبدته وعظمته وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على احراقه وأن تهينه غاية الاهانة اذ صلب عليه الاهها الذي يقولون تارة انه الله وتارة يقولون انه ابنه وتارة يقولون ثالث ثلاثة فجحدت حتى خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبته أقبح مسبة أن تجحد حق عبده ورسوله وتكفر به وكيف يكثر على أمة قالت في رب الارض والسموات انه ينزل من السماء ليكلم الخلق بذاته لئلا يكون لهم حجة عليه فاراد أن يقطع حجتهم بتكليمه لهم بذاته لترتفع المعاذير عمن ضيع عهده بعد ما كلمه بذاته فهبط بذاته من السماء والتحم في بطن مريم فاخذ منها حجابا وهو مخلوق من طريق الجسم وخالق من طريق النفس وهو الذي خلق جسمه وخلق امه وأمه كانت من قبله بالناسوت وهو كان من قبلها باللاهوت وهو الاله التام والانسان التام ومن تمام رحمته تبارك وتعالى على عباده انه رضي بأراقة دمه عنهم على خشبة الصليب فمكن اعداءه اليهود من نفسه ليتم سخطه عليهم فاخذوه وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه وتوجوه بتاج من الشوك على رأسه وفار دمه في أصبعه لانه لو وقع منه شئ الى الارض ليبس كلما على وجهها فثبت في موضع صلبه النور ولما لم يكن في الحكمة الازلية ان ينتقم لله من عبده العاصي الذي ظلمه أو استهان بقدره لاعتلاء منزلة الرب وسقوط منزلة العبيد أراد سبحانه أن ينتصف من الانسان الذي هو إله مثله فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذي هو مساوٍ له في الالهية فصلب ابن الله الذي هو الله في الساعة التاسعة من يوم الجمعة هذه ألفاظهم في كتبهم فامة أطبقت على هذا في معبودها كيف يكثر عليها ان تقول في عبده ورسوله انه ساحر وكاذب وملك مسلط ونحو هذا ولهذا قال بعض ملوك الهند اما النصاري فان كان اعداؤهم من اهل الملك يجاهدونهم بالشرع فانا ارى جهادهم بالعقل وان كنا لانرى قتال احد لكني استثني هؤلاء القوم من جميع العالم لانهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة وشذوا عن جميع مصالح العالم الشرعية والنقلية الواضحة واعتقدوا كل مستحيل ممكناً وبثوا

Digitized by Google

من ذلك شرعا لا يؤدى الى صلاح نوع من انواع العالم ولكنه يصير العاقل اذا شرع به اخرق والرشيد سفيهاً والحسن قبيحاً والقبيح حسناً لان من كان فى اصل عقيدته التي جري نشؤه عليها الاساءة الى الخلاق والنيل منه وسبه اقبح سبة ووصفه بما يغير صفاته الحسنى فاخلق به ان يستسهل الاساءة الى مخلوق وان يصفه بما يغير صفاته الجميلة فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم الا لعموم اضرارهم التي لاتحصى وجوهه كما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه لكانوا اهلا لذلك والمقصود ان الذين اختاروا هذه المقالة في رب العالمين على تعظيمه وتنزيهه واجلاله ووصفه بما يليق به الذين اختاروا الكفر بعبده ورسوله وجحد نبوته والذين اختاروا عبادة صور خطوها بايديهم في الحيطان وزوقة بالاحمر والاصفر والازرق لو دنت منها الكلاب لبالت عليها فاعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء وسئلوها المغفرة والرحمة والرزق والنصر هم الذين اختاروا التكذيب بخاتم الرسل على الايمان به وتصديقه واتباعه والذين نزهوا بطارقتهم وبتاركتهم عن الصاحبة والولد ونحلوها للفرد الصمد هم الذين انكروا نبوة عبده وخاتم رسله والذين اختاروا صلاة يقوم أعبدهم وأزهدهم اليها والبول على ساقه وانخاذه فيستقبل الشرق ثم يصلب علي وجهه ويعبد الاله المصلوب ويستفتح الصلاة بقوله يابابا أنت الذي فى السموات تقدس اسمك وليأت ملكك ولتكن ارادتك في السماء مثلها في الارض اعطنا خبزنا الملايم لنا ثم يحدث من هو الى جانبه وربما سأل عن سعر الخمر والخنزير وعما كسب في القمار وعما طبخ في بيته وربما احدث وهو في صلاته وهو لو اراد لمال في موضعه ان امكنه ثم يدعوا تلك الصورة التي هي صنعة يد الانسان فالذين اختاروا هذه الصلاة علي صلاة من اذا قام الى صلاته طهر اطرافه وثيابه وبدنه من النجاسة واستقبل بيته الحرام وكبر الله وحمده وسبحه واثني عليه ماهو اهله ثم ناجاه بكلامه المتضمن لافضل الثناء عليه وتحميده وتمجيده وافراده بالعبادة والاستعانة وسؤاله اجل مسئول وهو الهداية الى طريق رضاه التي خص بها من انعم الله عليه دون طريق الامتين المغضوب عليهم وهم اليهود والضالين وهم النصارى ثم اعطي كل جارحة من الجوارح حظها من الخشوع والخضوع والعبودية مع غاية الثناء والتمجيد لله رب العالمين لايلتفت عن معبوده بوجهه ولا قلبه ولا يكلم أحدا كلمة بل قد فرغ قلبه لمعبوده واقبل عليه بقلبه ووجهه ولا يحدث في صلاته ولا يجعل بين عينيه صورة مصنوعة يدعوها ويتضرع اليها فالذين اختاروا تلك الصلاة التي هي في الحقيقة استهزاء بالمعبود لايرضاها المخلوق لنفسه فضلا أن يرضى بها الخالق على هذه الصلاة التي لو عرضت على

Digitized by Google

من له أدني مسكة من عقل لظهر له التفاوت بينهما هم الذين اختاروا تكذيب رسوله وعبده على الايمان به وتصديقه فالعاقل اذا وازن بين ما إختاروه ورغبوا فيه وبين مارغبوا عنه تبين له ان القوم اختاروا الضلالة على الهدى والغي على الرشاد والقبيح على الحسن والباطل على الحق وانهم اختاروا من العقائد ابطلها ومن الاعمال اقبحها واطبق على ذلك اساقفتهم وبتاركتهم ورهبانهم فضلا عن عوامهم وسقطهم

(فصل) ولم يقل احد من المسلمين ان من ذكرتم من صغير وكبير وذكر وانثي وحر وعبد وراهب وقسيس كلهم تبين له الهدي بل اكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمة معرضون عن طلب الهدي فضلا من تبيينه لهم وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم وهو اقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الايمان بعد تبين الهدي وأي اشكال يقع للعقل في ذلك فلم يزل في الناس من يختار الباطل فمنهم من يختاره جهلا وتقليدا لمن يحسن الظن به ومنهم من يختاره حسدا وبغياً ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقاً ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودعة فلم ينحصر اسباب اختيار الكفر في حب الرياسة والمأكلة

(فصل) وأما المسئلة الثانية وهي قولكم هب انهم اختاروا الكفر لذلك فهل لا إتبع الحق من لا رياسة له ولا مأكلة اما اختيارا واما قهرا فجوابه من وجوه أحدها انا قد بينا ان اكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختيارا لا اضطرارا وأكثرهم اولوا العقول والاحلام والعلوم ممن لا يحصيهم الا الله فرفعة الاسلام انما انتشرت في الشرق والغرب باسلام اكثر الطوائف فدخلوا في دين الله افواجا حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار وقد بينا ان الذين اسلموا من اليهود والنصاري والمجوس والصابئين اكثر من الذين لم يسلموا وانه انما بقي منهم أقل القليل وقد دخل في الاسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كثير وهذا ملك النصارى على اقليم الحبشة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما تبين له انه رسول الله آمن به ودخل في دينه وآوى اصحابه ومنعهم من أعدائهم وقصته اشهر من ان تذكر ولما مات اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر ثم خرج بهم الى المصلى وصلى عليه فروي الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام المخزومي عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمننا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا على أن يبعثوا

Digitized by Google

الى النجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب مايأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومى وعمرو بن العاص وأمروهما أمرهم وقالوا لهما إدفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا الى النجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم اليكم قبل أن يكلمهم قالت فخرجا فقدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار وعند خير جوار فلم يبق من بطارقته بطريق الادفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشى ثم قالا لكل بطريق انه قد صبا الى بلدالملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولاأنتم وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم لتردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا نعم ثم أنهم قربا هداياهم الى النجاشى فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم وعاينوهم فيه قالت ولم يكن شئ أبغض الى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشى كلامهم فقالت بطارقته حوله صدقوا أيها الملك قومهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما ليردوهم الى بلادهم وقومهم قال فغضب النجاشى ثم قال لاها الله اذن لاأسلمهم اليهما ولا أكاد اقوام جاوروني ونزلوا ببلادى واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فاسئلهم مايقول هذان في أمرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهماورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ماجاورونى قالت ثم أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن فلما جاؤه وقددعا النجاشى اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين احد من هذه الامم قالت وكان الذى كلمه جعفر بن ابي طالب فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسئ الجوار يأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته

Digitized by Google

وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وا كل مال اليتيم وقذف المحصنة وامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئاً وامرنا بالصلوة والزكوة والصيام قالت فعدد عليه امور الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله عز وجل وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشي فاقرأه على فقرأ عليه صدراً من كهيعص قالت فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت اساقفته حتى أخضلو مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم ثم قال النجاشي ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقوا فو الله لا اسلمهم اليكم أبداً ولا اكاد قالت ام سلمة فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غداً اعمهم عنده بما استأصل به خضراءهم قالت فقال عبد الله بن ابي ربيعة وكان ابقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم ارحاماً وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد قالت ثم غدا عليه من الغد فقال له ايها الملك انهم يقولون فى عيسي بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم فتسئلهم عما يقولون فيه قالت فأرسل اليهم فسئلهم عنه قالت ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض ما تقولون في عيسى اذا سألكم عنه قالوا نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى بن مريم فقال له جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذى جاء به نبينا هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته التى القاها الى مريم العذراء البتول وروح منه فضرب النجاشي يده الى الارض فأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ماقلت هذا العود فتناخرت بطارقته حوله حين قال ماقال فقال وان نخرتم وان نخرتم والله أذهبوا فانتم سيوم بأرض والسيوم الآمنون من سبكم غرم من سبكم غرم ما أحب ان لي دبر ذهب وانى أذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما ولا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علي

Digitized by Google

ملكي فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فيّ فاطيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ماجاؤا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشه ينازعه في ملكه قالت فوالله ماعلمنا حزناً قط كان اشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفا ان يظهر على النجاشي فيأتي رجل لايعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه قالت فسار النجاشي وبينهما عرض النيل فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم حتى يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير انا وكان من احدث القوم سنا قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فاستوسق له امر النجاشي بالحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان شهر ربيع الاول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به مع عمرو بن امية الضمري فلما قرئ عليه الكتاب اسلم وقال لو قدرت على ان آتيه لأتيته وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ففعل وأصدق عنه اربعمائة دينار وكان الذي تولى التزويج خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه من بقي عنده من اصحابه ويحملهم ففعل فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فشخصوا اليه فوجدوه قد فتح خيبر فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوهم في سهامهم ففعلوا فهذا ملك النصارى قد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه وكم مثله ممن هو دونه هداه الله من النصاري قد دخل في الدين وهم اكثر باضعاف مضاعفة ممن اقام على النصرانية قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا اوقريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وقبالتهم رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبوجهل ابن هشام في نفر من قريش فقالوا خيبكم الله من ركب بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر

Digitized by Google

الرحل فلم تظهر مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال مانعلم ركبا أحمق منكم أوكما قالوا فقالوا لهم سلام عليكم لانجاهلكم لنا مانحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل من أنفسنا خيراً ويقال أن النفر من النصاري من أهل نجران ويقال فيهم نزلت ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا﴾ (الى قوله) سلام عليكم لانبتغي الجاهلين ﴿ وقال الزهري مازلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه قال ابن اسحق ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران بالمدينة فحدثني محمد ابن جعفر ابن الزبير قال لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا عليه مسجده بعد العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فاراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكباً منهم أربعة وعشرون رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لايصدرون الا عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح والسيد بمالهم وصاحب رحلهم ومجمعهم وأبو حارثة ابن علقمة أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه فتولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس ابو حارثة على بغلة متوجهاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره اذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال له كرز تعس الا بعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو حارثة بل أنت تعست فقال ولم يا أخي فقال والله انه للنبي الذى كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا فقال ماصنع بنا هؤلاء القوم شرفونا وتولونا وأكرمونا وقد أبوا الا خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل كرامة فاضمر عليه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمأكل من اختيار الهدى وآثروا دين قومهم واذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علماؤهم وأحبارهم كان بقيتهم تبعاً لهم وليس بمستنكر أن يمنع الرياسة والمناصب والمآكل للرؤساء ويمنع الاتباع تقليدهم بل هذا هو الواقع والعقل لايستشكله

(فصل)

وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الاسلام لما تبين لهم انه الحق الرئيس

Digitized by Google

المطاع في قومه عدي ابن حاتم الطائي ونحن نذكر قصته رواها الامام أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم قال عدي بن حاتم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فقال القوم هذا عدي بن حاتم وجئت بغير أمان ولا كتاب فلما رفعت اليه أخذ بيدي وقد كان قال قبل ذلك اني لا أرجوا أن يجعل يده في يدي قال فقام لي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا ان لنا اليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فالقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه فحمد الله وأثنا عليه ثم قال مايضرك ان تقول لااله الا الله فهل من اله سوى الله قال قلت لا ثم تكلم ساعة ثم قال اما تقر ان الله تعالى أكبر وتعلم ان شيئاً أكبر من الله قال قلت لا قال فان اليهود مغضوب عليهم وان النصاري ضلال قال قلت فاني حنيف مسلم قال فرأيت وجهه يبسط فرحا قال ثم امرني فازلت عند رجل من الانصار جعلت اغشاه آتيه طرفي النهار قال فبينا انا عنده عشية اذ جاءه قوم في ثياب من الصوف من هذه النمار قال فصلى وقام فجلس اليهم ثم قال ولو بصاع ولو بنصف صاع ولو بقبضة ولو ببعض قبضة يقي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة فان أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم ألم أجعل لك سمعاً وبصراً فيقول بلى فيقول ألم أجعل لك مالا وولداً فيقول بلى فيقول أين ماقدمت لنفسك فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ثم لايجد شيئاً يقي وجهه حر جهنم ليق أحدكم وجهه ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة فاني أخاف عليكم الفاقة فان الله ناصركم ومعطيكم حتى لتسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة أكثر مايخاف على مطيتها الشرق قال فجعلت أقول في نفسي فاين لصوص طي وكان عدي مطاعا في قومه بحيث يأخذ المرباع من غنائمهم وقال حماد ابن زيد عن أيوب عن محمد ابن سيرين قال قال أبو عبيدة ابن حذيفة قال عدي بن حاتم بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط فخرجت حتى أتيت أقصى أرض العرب مما يلي الروم ثم كرهت مكاني أشد مما كرهت مكاني الاول فقلت لو أتيته فسمعت منه فأتيت المدينة فاستشرفني الناس وقالوا جاء عدي بن حاتم الطائي جاء عدي ابن حاتم الطائي فقال ياعدي بن حاتم الطائي اسلم تسلم فقلت اني علي دين قال أنا أعلم بدينك منك قلت أنت أعلم بديني مني قال نعم قال هذا ثلثاً قال ألست لوسيا قلت بلى قال ألست برأس قومك قلت بلى قال ألست تأخذ المرباع قلت بلى قال فان ذلك لايحل لك في دينك قال فوجدت بها على غضاضة ثم قال لعله أن يمنعك أن تسلم أن ترى عندنا خصاصة وترى الناس علينا ألباً واحداً

Digitized by Google

هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد علمت مكانها قال فان الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت بغير جوار وليفتحن الله علينا كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى ابن هرمز قال كنوز كسرى ابن هرمز وليفيض المال حتى يهم الرجل من يقبل منه صدقته قال فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار وكنت فى أول خيل أغارت على المدائن ووالله لتكونن الثالثة انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان سلمان الفارسي من أعلم النصاري بدينهم وكان قد تيقن خروج النبي صلى الله عليه وسلم فقدم المدينة قبل مبعثه فلما رآه عرف أنه هو النبي الذي بشر به المسيح فآمن به واتبعه ونحن نسوق قصته قال ابن اسحق حدثني عاصم عن محمود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثني سلمان الفارسى من فيه قال كنت رجلا فارسياً من أهل اصبهان من قرية يقال لها جيّ وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله اليه لم يزل حبه إياي حتي حبه اياي حبسني في بيت كما تحبس الجارية فاجتهدت في المجوسية حتي كنت قطن النار التي توقدها لا نتركها تخبو ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال يابني انى قد شغلت فى بنياني هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب اليها فاطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحبس عني فانك ان احتبست عني كنت أهم الىّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري فخرجت أريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنايس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبي اياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر مايصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الذي نحن عليه فوالله مابرحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعته فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال يابني أين كنت الم أكن عهدت اليك ماعهدت قلت ياأبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني مارأيت من دينهم فوالله مازلت حتي غربت الشمس قال أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته وبعثت الي النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنوني بهم قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتي قدمت الشام فلما قدمتها قلت من أفضل هذا الدين علماً قالوا الاسقف في الكنيسة فجئته فقلت له اني قد رغبت في

Digitized by Google

هـذا وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فان جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعط المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً فقالوا لي وما علمك بذلك قلت انا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبداً فصلبوه ورموه بالحجارة وجاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا يصلي ارى أنه أفضل منه ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا ادأب ليلا ولا نهاراً منه فأحببته حبا لم أحبه شيئاً قبله فاقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له يافلان اني قد كنت معك واحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك من أمر الله ماترى فالى من توصي بي وبم تأمرني فقال أي بني والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يافلان ان فلاناً أوصاني عند موته ان الحق بك وأخبرني انك على أمره فقال أقم عندي فاقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلما حضرته الوفاة قلت له يافلان ان فلاناً أوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ماترى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يابني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبثت أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يافلان ان فلاناً أوصي بي الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني فقال يابني والله ما اعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فأته فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبري فقال أقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كانت لي بقيرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يافلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يابني والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي

Digitized by Google

مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرته الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لاتخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ماشاء الله ان أمكث ثم مربى نفر من كلب تجار فقلت لهم أحملونى الى ارض العرب واعطيكم بقيراتى هذه وغنيمتي هذه فقالوا نعم فأعطيتموها فحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادي القري ظلموني فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لي صاحبي ولم يحق في نفس فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى الى المدينة فوالله ماهو الا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فاقمت بها ويعث رسول الله صلي الله عليه وسلم فاقام بمكة ماأقام لااسمع له بذكر مع ماأنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتى اذا قبل ابن عم له حتي وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بني قيلة والله انهم الآن لمجتمعون معنا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعتها أخذتني عدواً حتي ظننت انى ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ماتقول فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لاشئ انما اردت استثبته عما قال وقد كان عندي شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو بقبا فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك فلم يأكل فقلت في نفسى هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته به فقلت انى قد رأيتك لاتأكل الصدقة وهي هدية اكرمتك بها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسى هاتان اثنتان ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الفرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعلي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هذا أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبي فلما رأى صلى الله عليه وسلم استدبر به عرف اني استثبت في شئ وصف لى فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وأبكى فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك ياابن عباس فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك

Digitized by Google

اصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد قال قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب ياسلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين اوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر يعينني الرجل بقدر ماعنده حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياسلمان ففقر لها فاذا فرغت فاتنى أكن أنا اضعها بيدى ففقرت واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودى ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغت فوالذي نفس سلمان بيده ماماتت منها ودية واحدة فأديت النخل وبقى على المال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال مافعل الفارسى المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها بما عليك ياسلمان فقلت وأين تقع يارسول الله مما على قال خذها فان الله سيؤدى بها فاخذتها فوزنت لهم منها والذى نفسى بيده اربعين اوقية فاوفيتهم حقهم فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد *

(فصل) وكان ملك الشام أحدا كابر علمائهم بالنصرانية هرقل قد عرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً وعزم على الاسلام فاباه عباد الصليب تخوفهم على نفسه وضن بملكه مع علمه بانه سينقل عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته ونحن نسوق قصته ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس ان أبا سفيان أخبره من فيه الى فيه قال انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبينا انا بالشام اذ جئ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وقد كان دحية بن خليفة جاء به فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل فقال هرقل هل ههنا احد من قوم هذا الرجل الذى يزعم انه نبي قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه واجلسوا اصحابى خلفى فدعا بترجمانه فقال قل لهم اني سائل هذا عن الرجل الذى يزعم انه نبي فان كذبنى فكذبوه فقال أبو سفيان وايم الله لولا مخافة ان يؤثر علي الكذب ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال قلت لا قال ومن اتبعه اشراف الناس أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون قلت لا بل يزيدون قال فهل يرتد احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له قال قلت لا قال فهل قاتلتموه

Digitized by Google

قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة ما ندري ماهو صانع فيها قال فوالله ما امكنني من كلمه أدخل فيها شيئاً غير هذه قال فهل قال هذا القول احد قبله قلت لا قال لترجمانه قل له اني سألتك عن حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في احساب قومها وسألتك هل كان في ابائه ملك فزعمت ان لا فقلت لو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه وسألتك عن اتباعه أضعفاؤهم ام أشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال فزعمت ان لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد ان يدخله سخطة له فزعمت ان لا وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول احد قبله فزعمت أن لا فقلت لو قال هذا القول أحد من قبله قلت رجل إئتم بقول قيل قبله ثم قال فبم يأمركم قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف قال ان يكن ماتقول حقاً انه نبي وقد كنت أظن انه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم ولو أعلم اني أخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ولبلغن ملكه ماتحت قدمي ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين *ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون *فلما قرأه وفرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا ثم أذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بابوابها فغلقت ثم أطلع فقال يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن تثبت مملكتكم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم علي فقال اني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فهذا ملك الروم وكان من علمائهم أيضاً عرف وأقر انه نبي وانه سيملك ماتحت قدميه وأحب الدخول في الاسلام فدعى قومه اليه

Digitized by Google

فولوا عنه معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة فمنعه من الاسلام الخوف على ملكه ورياسته ومنع أشباه الحمير مامنع الامم قبلهم ولماعرف النجاشي ملك الحبشة ان عباد الصليب لايخرجون عن عبادة الصليب الى عبادة الله وحده اسلم سراً وكان يكتم اسلامه بينهم هو واهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم ذكر ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليه عمرو بن أمية الضمري رضى الله عنه مكانه يدعوه الى الاسلام فقال له عمرو يامحمد عليّ القول وعليك الاستماع انك كنت في الرقة علينا منا وكنا في الثقة بك منك لانا لم نظن بك خيراً قط الا نلناه ولم نخفك على شئ قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الانجيل بيننا وبينك شاهد لايردوقاض لايجور وفي ذلك موقع الحز وأصابة المفصل والافانت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ماخافهم عليه لخير سالف وأجر منتظر فقال النجاشي أشهد بالله انه للنبي الامي الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان ليس باشفى من الخبر

قال الواقدى وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشة اسلم انت فاني أحمد اليك الله الذي لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة حملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءني فانى رسول الله اليك واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب اليه النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشى أصحمه سلام عليك يانبي الله من الله وبركات الله الذى لااله الاهو أما بعد فلقد بلغنى كتابك فيماذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لايزيد على ماذكرت تفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا مابعثت به الينا وقد قرّبنا ابن عمك واصحابه فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين والتفروق علاقة تكون بين النواة والتمرة

(فصل) وكذلك ملك دين النصرانية بمصر عرف انه نبي ولكن منعه من اتباعه ملكه وان عباد الصليب لايتركون عبادة الصليب ونحن نسوق حديثه وقصته قال

Digitized by Google

الواقدى كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدي اما بعد فاني ادعوك بداعية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم القبط * ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون * وختم الكتاب فخرج به حاطب حتى قدم عليه الاسكندرية فانتهى الى حاجبه فلم يلبثه ان أوصل اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حاطب للمقوقس لما لقيه انه قد كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولي فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك قال هات قال ان لنا ديناً لن ندعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي به الله فقدما سواه ان هذا النبي دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه النصارى ولعمري مابشارة موسي بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التورية الى الانجيل وكل نبي ادرك قوما فهم من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال المقوقس انى قد نظرت في هذا النبي فرأيته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة من اخراج الخبء والاخبار بالنجوى ووصف لحاطب اشياء من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقال القبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا احب ان تعلم بمحاورتي اياك وانا اضن بملكي ان أفارقه وسيظهر على بلادى وينزل بساحتي هذه اصحابه من بعده فارجع الى صاحبك واخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد والجاريتان مارية وسيرين والبغلة دلدل وبقيت الى زمن معوية قال حاطب فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه

(فصل) وكذلك ابنا الجلندى ملكا عمان وما حولها من ملوك النصارى

Digitized by Google

اسلما طوعا واختياراً ونحن نذكر قصتهما وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما وهذا لفظه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بداعية الاسلام اسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما مكانكما وان أبيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وختم الكتاب وبعثه مع عمرو ابن العاص قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الي عمان فلما قدمتها انتهيت الى عبد وكان احكم الرجلين واسهلهما خلقاً فقلت انى رسول رسول الله اليك والي أخيك فقال أخي المقدم علىّ بالسن والملك وأنا أوصلك اليه حتى تقرأ كتابك ثم قال لى وماتدعو اليه قلت ادعوك الي الله وحده لاشريك له وتخلع ماعبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله قال ياعمرو انك سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد ووددت انه كان أسلم وصدق به وكنت انا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فسألني أين كان اسلامى فقلت عند النجاشى واخبرته ان النجاشى قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه قال والاساقفة والرهبان قلت نعم قال انظر ياعمرو ماتقول انه ليس خصلة في رجل افضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال ماأرى هرقل علم باسلام النجاشى قلت بلى قال باي شئ علمت ذلك قلت كان النجاشى يخرج له خراجاً فلما اسلم وصدق بمحمد قال لاوالله لو سألني درهماً واحداً مااعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له نياق اخوه أتدع عبدك لايخرج لك خراجاً ويدين دينا محدثاً قال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ماأصنع به والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع قال انظر ماتقول ياعمرو قلت والله لقد صدقتك قال عبد فاخبرني ماالذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عزوجل وينهي عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ماأحسن هذا الذي يدعو اليه لو كان اخي يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ديناً قلت انه ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم قال انهذا الخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال ياعمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعي

Digitized by Google

الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ماأرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت ببابه اياماً وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبرى ثم انه دعاني يوماً فدخلت عليه فاخذا عوانه بضبعي فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس فابوا أن يدعوني أجلس فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا اني رأيت أخاه أرق منه ثم قال ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت إتبعوه اما راغب في الاسلام واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم انهم كانوا في ضلال فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة وان أنت لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضرائك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع الىّ غداً فرجعت الى أخيه فقال ياعمرو اني لأرجو أن يسلم ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد أتيت اليه فابي أن يأذن لى فانصرفت الى أخيه فاخبرته انى لم أصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا مافي يدى وهو لايبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقا قلت وأنا خارج غداً فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال مانحن فيما قد ظهر عليه وكل من أرسل اليه قد أجابه فاصبح فارسل الىّ فاجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لى عونا على من خالفنى

(فصل) وكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هودة بن على الحنفى صاحب اليمامة بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هودة ابن علي سلام على من أتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم أجعل لك ماتحت يدك وكان عنده اركون دمشق عظيم من عظماء النصارى فسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال قد جاءنى كتابه يدعوني الى الاسلام فقال له الاركون لم لاتجيبه فقال ضننت بديني وأنا ملك قومى ان أتبعته لم أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك في اتباعه وانه للنبي العربي بشر به عيسى بن مريم والله انه لمكتوب عندنا في الانجيل

(فصل) وذكر الواقدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث شجاع ابن وهب الى الحارث بن أبي شمر وهو بغوطة دمشق فكتب اليه مرجعه من الحديبية بسم

Digitized by Google

الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث ابن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق واني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لاشريك له يبقا ملكك وختم الكتاب فخرج به شجاع بن وهب قال فانتهيت الى حاجبه فاجده يومئذ وهو مشغول بتهيئة الانزال والالطاف لقيصر وهو جاءٍ من حمص الى ايلياحيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله عزوجل قال فاقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه اني رسول رسول الله اليه فقال حاجبه لاتصل اليه حتي يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه وكان رومياً اسمه مرى يسألني عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وما يدعوا اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في الانجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه فكنت أراه يخرج بالشام فاراه قد خرج بارض العرب فانا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث ابن أبي شمر أن يقتلني قال شجاع فكان هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني عن الحارث باليأس منه ويقول هو يخاف قيصر قال فخرج الحارث يوما وجلس فوضع التاج على رأسه فاذن لى عليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته علىّ بالناس فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال اخبر صاحبك ماترى وكتب الى قيصر يخبره خبري فصادف قيصر بايليا وعنده دحية الكلبي قد بعثه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه أن لاتسر اليه وأله عنه ووافني بايليا قال ورجع الكتاب وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر لى بمائة مثقال ذهباً ووصلني مرى بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام واخبره انى متبع دينه قال شجاع فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال باد ملكه واقرأته من مرى السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق

(فصل) ونحن انما ذكرنا بعض ملوك الطوائف الذين آمنوا به وأكابر علمائهم وعظمائهم ولا يمكننا حصر من عداهم وهم جمهور أهل الارض ولم يتخلف عن متابعته الا الاقلون وهم أما مسالم له قد رضي بالذلة والجزية والهوان وأما خائف منه فاهل الارض معه ثلثة أقسام مسلمون له ومسالمون له وخائفون منه ولو لم يسلم من اليهود في زمنه الا سيدهم على الاطلاق وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم باعترافهم له بذلك وشهادتهم عبد الله بن سلام لكان في مقابلة كل يهودى على وجه الارض فكيف وقد تابعه على الاسلام من الاحبار والرهبان من لايحصي عددهم الا الله

Digitized by Google

ونحن نذكر قصة عبد الله بن سلام فروى البخارى في صحيحه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقالوا جاء نبي الله فاستشرفوا ينظرون اذ سمع به عبدالله بن سلام وهو في نخل لاهله يحترف لهم منه فعجل أن يضع الذى يحترف لهم فيها فجاء وهى معه فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الي أهله فلما خلا نبي الله صلي الله عليه وسلم جاء عبدالله بن سلام فقال أشهد انك نبي الله حقاً وانك جئت بالحق ولقد علمت اليهود انى سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فاسئلهم عنى قبل أن يعلموا انى قد اسلمت فانهم ان يعلموا انى قد اسلمت قالوا في ماليس في فارسل نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم نبي الله صلي الله عليه وسلم يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لااله الاهو انكم لتعلمون انى رسول الله حقاً وانى جئتكم بحق اسلموا قالوا ماتعلمه فاعادها عليهم ثلثاً وهم يجيبونه كذلك قال أي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال أفرأيتم ان أسلم قالوا حاش لله ما كان ليسلم فقال يابن سلام اخرج عليهم فخرج اليهم فقال يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لااله الاهو انكم لتعلمون انه رسول الله حقاً وانه جاء بالحق فقالوا كذبت فاخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخارى أيضاً من حديث حميد عن أنس قال سمع عبدالله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض له فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ماأول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال أخبرني بهن جبرائيل آنفا قال جبريل قال ثم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة قال ثم قرأ هذه الآية * من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله * أما أول اشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد الى ابيه واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه فقال اشهد ان لااله الا الله أن اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى فجاءت اليهود اليه فقال أي رجل فيكم عبد الله ابن سلام قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا الذى كنت أخاف يارسول الله

Digitized by Google

وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام قال كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيأته والذي كنا نتوكف له فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما قدم نزل معنا في بني عمرو بن عوف فأقبل رجل حتى اخبر بقدومه وأنا في رأس نخل لي أعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري لو كنت سمعت بموسى ابن عمران ماذا قال قلت لها أي عمة هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به فقالت يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نبشر به انه يبعث مع نفس الساعة قال قلت لها نعم قالت فذاك اذا قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان اليهود قوم بهت واني أحب ان تدخلني في بعض بيوتك تغيبني عنهم ثم تسألهم عني كيف انا فيهم قبل ان يعلموا باسلامي فانهم ان علموا بذلك بهتوني وعابوني قال فأدخلني بعض بيوته فدخلوا عليه فكلموه وسألوه فقال لهم أي رجل عبد الله بن سلام قالوا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة اسمه وصفته فاني أشهد أنه رسول الله وأومن به واصدقه واعرفه قالوا كذبت ثم وقعوا في فقلت يا رسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال فاظهرت اسلامي واسلام أهل بيتي واسلمت عمتي ابنة الحارث فحسن اسلامها وفي مسند الامام أحمد وغيره عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وانجفل الناس قبله فقالوا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئت في الناس لانظر الى وجهه فلما ان رأيت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء سمعته منه ان قال يا أيها الناس اطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعلماء القوم واحبارهم كلهم كانوا كما قال الله عز وجل * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * فمنهم من آثر الله ورسوله والدار الآخرة ومنهم من آثر الدنيا واطاع داعي الحسد والكبر وفي مغازي موسى بن عقبة عن الزهري قال كان بالمدينة مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أوثان تعبدها رجال من اهل المدينة لا يتركونها

Digitized by Google

فاقبل عليهم قومهم وعلى تلك الاوثان فهدموها وعمد أبو ياسر بن احطب اخو حيي ابن احطب وهو ابو صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه وذلك قبل ان تصرف القبلة نحو المسجد الحرام فقال ابو ياسر ياقوم اطيعوني فان الله عز وجل قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق اخوه حيي حين سمع ذلك وهو سيد اليهود يومئذ وهما من بني النضير فاتا النبي صلى الله عليه وسلم فجلس اليه وسمع منه فرجع الى قومه وكان فيهم مطاعا فقال أتيت من عند رجل والله لاازال له عدواً ابداً فقال له اخوه ابو ياسر يا ابن امي اطيعني في هذا الامر ثم اعصني فيما شئت بعده لاتهلك قال لا والله لا اطيعك واستحوذ عليه الشيطان فاتبعه قومه على رأيه *

وذكر ابن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر عمن حدثه عن صفية بنت حيي انها قالت لم يكن من ولد ابي وعمي احد أحب اليهما مني لم القهما في ولد قط الا أخذ اني دونه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا نزل في بني عمر وابن عوف فعدا اليه ابي وعمي أبو ياسر بن أحطب مغلسين فوالله ماجاءا الا مع مغيب الشمس فجاءا فاترين كسلين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله مانظر الى واحد منهما فسمعت عمي أبا ياسر يقول أهو هو قال نعم والله قال تعرفه بنعته وصفته قال نعم والله قال فماذا في نفسك منه قال عداوته والله مابقيت قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال لما أسلم عبد الله ابن سلام وثعلبة بن شعية وأسد بن شعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من اليهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام قال من كفر من اليهود ما آمن بمحمد ولا أتبعه الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فانزل الله عز وجل في ذلك * ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ليؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين *

(فصل) قال السائل مشهور عندكم في الكتاب والسنة ان نبيكم كان مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل لكنهم محوه عنهما لسبب الرياسة والمأكلة والعقل يستشكل ذلك أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزلة من ربهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالا هذا امر يستشكله العقل اعظم من فهم بألسنتهم لانه يمكن الرجوع عما قالوا بألسنتهم والرجوع عما محوا ابعد والجواب ان هذا السؤال مبني على فهم فاسد وهو

Digitized by Google

ان المسلمين يعتقدون ان اليهود والنصارى في جميع اقطار الارض محوا ذلك الاسم واسقطوه جملة من الكتابين وتواصوا بذلك بعداً وقرباً وشرقاً وغرباً وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين ولا أخبر الله سبحانه به في كتابه عنهم ولا رسوله ولا يمكنهم به يوماً من الدهر ولا قاله أحد من الصحابة ولا الائمة بعدهم ولا علماء التفسير ولا المعتنون بأخبار الامم وتواريخهم وان قدر أنه قال بعض عوام المسلمين يقصد به نصر الرسول فقد قيل يضر الصديق الجاهل أكثر مما يضر العدو العاقل وانما أتى هؤلاء من قلة فهم القرآن وظنوا أن قوله تعالى * الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر * دل على الاسم الخاص بالعربية في التوراة والانجيل المخصوصين وان ذلك لم يوجد البتة فهذه ثلاث مقامات المقام الاول فالرب سبحانه انما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم أي الاخبار عنه وصفته ومخرجه ونعته ولم يخبر بأن صريح اسمه العربي مذكور عندهم في التوراة والانجيل وهذا واقع في الكتابين كما سنذكر ألفاظهما ان شاء الله وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه فان الاشتراك قد يقع في الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز ولا يشاء أحد يسمي بهذا الاسم أن يدعي انه هو الافعل اذا الحوالة انما دفعت على مجرد الاسم وهذا لا يحصل به بيان ولا تعريف ولا هدى بخلاف ذكره بنعته وصفته وعلاماته ودعوته وصفة أمته ووقت مخرجه ونحو ذلك فان هذا يعينه ويميزه ويحصر نوعه في شخصه وهذا القدر مذكور في التوراة والانجيل وغيرهما من النبوات التي بأيدي أهل الكتاب كما سنذكرها ويدل عليه وجوه الوجه الاول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحرص الناس على تصديقه واتباعه واقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته ولاسيما أهل العلم والكتاب وان الاستدلال عليهم بما يعلمون بطلانه قطعاً لا يفعله عاقل وهو بمنزلة من يقول لرجل علامة صدقي انك فلان ابن فلان وصنعتك كيت وكيت وتعرف بكيت وكيت ولم يكن الامر كذلك بل بضده فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل ولا يصدقه أحد على ذلك ولا يتبعه أحد على ذلك بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه والعادة تحيل سكوتهم عن الطعن عليه والرد والتهجين لقوله ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلناً في هاتين الامتين اللتين هما أعلم الامم في الارض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم وهو يتلو ذلك عليهم ليلا ونهاراً سراً وجهاراً في كل مجمع وكل ناد يدعوهم بذلك الى تصديقه والايمان به فمنهم من يصدق ويؤمن به ويخبر بما في كتبهم

Digitized by Google

من نعته وصفته وذكره كما سيمر بك ان شاء الله وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لست أنت المراد به بل نبي آخر وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة ولم تجد عليه هذه المكابرة الا كشفه عورته وابدائه الفضيحة بالكذب والبهتان فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه قيصر وسلمان بتلك العلامات المذكورات التي سأل عنها أبا سفيان فطابقت ما عنده فقال ان يكن ما تقول حقاً فانه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين وكذلك من قدمنا ذكرهم من الاحبار والرهبان الذين عرفوه بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم قال تعالى * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * وقال في موضع آخر * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون * ومعلوم ان هذه المعرفة انما هي بالنعت والصفة المكتوبة عندهم التي هي منطبقة عليه كما قال بعض المؤمنين منهم والله لاحدنا اعرف به من ابنه وان احدنا ليخرج من عند امرأته وما يدري ما يحدث بعده ولهذا أثنى سبحانه على من عرف الحق منهم ولم يستكبر عن اتباعه فقال * لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم * قال ابن عباس لما حضر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي النجاشي وقرؤا القرآن سمع ذلك القسيسون والرهبان فاخضرت دموعهم مما عرفوا من الحق فقال الله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون الايات وقال سعيد بن جبير بعث النجاشي من خيار اصحابه ثمانين رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورقوا وقالوا نعرف والله فاسلموا وذهبوا الى النجاشي فاخبروه فاسلم فأنزل الله فيهم واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الايات وقال السدي كانوا اثني عشر رجلا سبعة من القسيسيين وخمسة من الرهبان فلما قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بكوا وقالوا * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * قال ابن عباس هم محمد وأمته وهم القوم الصالحون الذين طمعوا

Digitized by Google

ان يدخلهم الله فيهم والمقصود ان هؤلاء الذين عرفوا انه رسول الله بالنعت الذي عندهم فلم يملكوا أعينهم من البكاء وقلوبهم من المبادرة الى الايمان ونظير هذا قوله سبحانه ﴿قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ قال امام التفسير مجاهد هم قوم من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن خروا سجداً وقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا كان الله عز وجل وعد على السنة انبيائه ورسله ان يبعث في آخر الزمان نبياً عظيم الشأن يظهر دينه على الدين كله وتنشر دعوته في اقطار الارض وعلى رأس أمته تقوم الساعة واهل الكتابين مجمعون على ان الله وعدهم بهذا النبي فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه والاشقياء قالوا نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولا فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول عرفوا انه النبي الموعود به خروا سجدوا لله ايماناً به وبرسوله وتصديقاً بوعده الذى انجزه فرأوه عياناً فقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وذكر يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس وكان نصرانياً فاسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل نجران بسم اله ابراهيم واسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله الى اسقف نجران واهل نجران انى احمد اليكم اله ابراهيم واسحق ويعقوب اما بعد فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وادعوكم الي ولاية الله من ولاية العباد فان ابيتم فالجزية فان ابيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام فلما اتي الاسقف الكتاب فقرأه فزع به وزعره زعراً شديداً فبعث الى رجل من اهل عمان يقال له شرحبيل ابن وداعة وكان من همدان ولم يكن احد يدعي الى معضلة قبله فدفع الاسقف كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم الي شرحبيل فقرأه فقال الاسقف مارأيك يا ابا مريم فقال شرحبيل قد علمت ماوعد الله ابراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة فما نأمن ان يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في النبوة رأى لو كان امر من الدنيا اشرت عليك فيه برأى وجهدت لك فقال الاسقف تنح فاجلس فتنحي فجلس ناحية فبعث الاسقف الي عبد الله ابن شرحبيل فاقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل فأمره الاسقف فتنحى ثم بعث الى رجل من اهل نجران يقال له حيار بن فيض من بني الحرث بن كعب فاقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فامره الاسقف فتنحى ناحية فلما اجمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً امر الاسقف بالناقوس فضرب به ورفعت السرج بالصوامع وكذلك كانوا

Digitized by Google

يفعلون اذا فزعوا بالنهار واذا كان فزعهم ليلا ضرب بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمع اهل الوادى اعلاه واسفله وطوله مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاثة وسبعون قرية وعشرون ومائة الف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الراي فيه فاجتمع راي اهل الراي منهم على ان يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبدالله ابن شرحبيل وحيار بن فيض فيأتونه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى اذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبر وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب فانطلقوا يبتغون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم كانا يبعثان العير الى نجران في الجاهلية فيشترى لهما من برها وثمرها فوجدوهما في ناس من المهاجرين والانصار في مجلس فقالوا ياعثمان ويا عبد الرحمن ان نبيكم كتب الينا بكتاب فاقبلنا مجيبين له فاتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا فتصدينا لكلامه نهارا طويلا فاعيانا ان يكلمنا فما الراى منكما أنعود أم نرجع اليه فقالا العلى ابن أبي طالب وهو في القوم ماترى ياأبا الحسن فى هؤلاء القوم فقال على لعثمان وعبد الرحمن أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون اليه ففعل وفد نجران ذلك ووضعوا حللهم وخواتيمهم ثم عادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم ثم قال والذى بعثني بالحق لقد أتوني المرة الاولى وان ابليس لمعهم ثم سألهم وسألوه فلم يزل به وبهم المسألة حتى قالوا له ماتقول في عيسى فانا نحب أن نعلم ماتقول فيه فانزل الله عز وجل * ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * فأبوا أن يقولوا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر اقبل مشتملا على الحسن والحسين فى خميل له وفاطمة تمشى عند ظهره الى الملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه ياعبد الله بن شرحبيل وياحيار بن فيض لقد علمتما ان الوادى اذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا الا عن رأيي وانى والله أرى أمرا مقبلا والله لئن كان هذا الرجل ملكا مبعوثا فكنا أول العرب طعن في عينه وردعليه أمره لايذهب لنا من صدره ولامن صدور قومه حتى يصيبنا بجائحة وانا لادني العرب منهم جوارا

Digitized by Google

ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلا فلاعناه لا يبقى على وجه الارض منا شعرة ولا ظفر الا هلك فقال له صاحباه فما الراي يا ابا مريم فقال رايي ان احكمه فاني ارى الرجل لا يحكم شططاً ابدا فقالا له انت وذاك فاتى شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني قد رأيت خيرا من ملاعنتك فقال وماهو قال شرحبيل حكمتك اليوم الى الليل وليلتك الى الصباح فمهما حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل ورائك احدا يثرب عليك فقال له شرحبيل سل صاحبي فسألهما فقالا ما نرد الموارد ولا نصدر المصادر الا عن رأى شرحبيل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلاعنهم حتى اذا كان الغد اتوه فكتب لهم كتاب صلح وموادعة فقبضوا كتابهم وانصرفوا الى نجران فتلقاهم الاسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران ومع الاسقف اخ له من امه وهو ابن عمه من النسب يقال له ابو علقمة فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسقف فبينا هو يقرأه وابو علقمة معه وهما يسيران اذ كبت بابي علقمة ناقته فتعس وانه لا يكني غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الاسقف عند ذلك قد والله تعست نبياً مرسلا فقال له ابو علقمة لاجرم والله لا احل عنها عقدا حتى آتيه فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثني الاسقف ناقته عليه فقال له إفهم عني انما قلت هذا مخافة ان يبلغ عني العرب انا اخذنا خوفه او نجعنا لهذا الرجل بما لم نجع به العرب ونحن اعزهم واجمعهم دارا فقال له ابو علقمة والله لا اقيلك ماخرج من رأسك ابدا ثم ضرب ناقته يقول

اليك تعدو قلقاً وضينها * معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل معه ثم استشهد بعد ذلك واذا عرف هذا فاعلم بانه صلى الله عليه وسلم مذكور في الكتب المتقدمة يعرف من وجوه متعددة احدها اخبار من قدست نبوته قطعاً بانه مذكور عندهم في كتبهم فقد اخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه فيجب تصديقه فيه اذ تكذيبه والحالة هذه ممتنع لذاته هذا لو لم يعلم ذلك الا من مجرد خبره فكيف اذا تطابقت الادلة على صحة ما أخبر به الوجه الثاني انه جعل الاخبار به من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته وهذا يستحيل أن يصدر الا من واثق كل الوثوق بذلك وانه على يقين جازم به الثالث ان المؤمنين به من الاحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال الرابع ان المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم انكار البشارة والاخبار بنبوة نبي عظيم

Digitized by Google

الشان صفته كذاوكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه لكن جحدوا أن يكون هو الذى وقعت به البشارة وانه نبي آخر غيره وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم انهم ركبوا متن المكابرة وامتطوا غارب البهت الخامس ان كثيراً منهم صرح بخاصته وبطانته بانه هو هو بعينه وانه عازم على عداوته مابقى كما تقدم السادس ان أخبار النبى صلى الله عليه وسلم بانه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد اخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جري لهم وقصص الانبياء المتقدمين وأممهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الانبياء وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم وتلك الاخبارات أكثر من أن تحصى ولم يكذبوه يوماواحداً في شئ منها وكانوا أحرص شئ على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أوغلطة أوسهو فينادون بها عليه ويجدون بها السبيل الى تنفير الناس عنه فلم يقل أحد منهم يوما من الدهر بقول انه أخبر بكذا وكذا انه في كتبنا وهو كاذب فيه بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه وهذا من أعظم الادلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم بمجرد خبره السابع انه أخبر بهذا لاعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم وأخبر به لاعدائه من أهل الكتاب وأخبر به لاتباعه فلو كان باطلا لامحة له لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك وتسليطاً لاهل الكتاب على الانكار وتسليطا لاتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه وذلك ينقض الغرض المقصود باخباره من كل وجه وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل أخباره دليلا على صدقه ويجعل أخباره تصديقاً وهذا لا يصدر من عاقل ولا مجنون فهذه الوجوه يعلم بها صدق ماأخبر به وان لم يعلم وجوده من غير جهة أخباره فكيف وقد علم وجود ماأخبر به الثامن انه لو قدر انهم لم يعلموا بشارة الانبياء به وأخبارهم بنعته وصفته لم يلزم أن لا يكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبوته اذ ليس كل ماقاله الانبياء المتقدمون وصل الى المتأخرين وأحاطوا به علما وهذا مما يعلم بالاضطرار فكم من قول قد قاله موسي وعيسى ولا علم لليهود والنصاري به فاذا أخبر به من قام الدليل القطعى على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لرده وتكذيبه التاسع انه يمكن ان في نسخ غير هذه النسخ التى بايديهم فازيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه وقولهم ان نسخ التورية متفقة في شرق الارض وغربها كذب ظاهر فهذه التورية التى بايدى النصارى تخالف التوراة التى بايدى اليهود والتي بايدى السامرة تخالف هذه وهذه وهذه نسخ الانجيل تخالف بعضها بعضاً وتناقضه فدعواهم ان نسخ التورية والانجيل متفقة شرقا وغرباً من البهت

Digitized by Google

والكذب الذى يروجونه على أشباه الانعام حتى ان هذه التورية التى بايدى اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان مالا يخفى على الراسخين في العلم وهم يعلمون قطعا ان ذلك ليس في التورية التي أنزلها الله على موسى ولا في الانجيل الذى أنزله على المسيح وكيف يكون في الانجيل الذى أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له وانه أصابه كذا وكذا وصلب يوم كذا وكذا وانه قام من القبر بعد ثلاث وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالانجيل وسموا الجميع انجيلا ولذلك كانت الاناجيل عندهم أربعة يخالف بعضها بعضاً ومن بهتهم وكذبهم قولهم ان التورية التي بايديهم وأيدى اليهود والسامرة سواء والنصارى لايقرون ان الانجيل منزل من عندالله على المسيح وانه كلام الله بل كل فرقهم مجمعون على انها أربعة تواريخ الفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة ولا يعرفون الانجيل غير هذا انجيل ألفه متي تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح وكتبه بالعبرانية فى بلاد يهوذا بالشام وانجيل ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح وكتبه باليونانية في بلاد انطاكية من بلاد الروم ويقولون ان شمعون المذكور هو ألفه وانجيل ألفه لوقا الطبيب الانطاكى تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس وانجيل ألفه يوحنا تلميذ المسيح ببضع وستين سنة كتبه باليونانية وكل واحد من هذه الاربعة يسمونه الانجيل وبينهما من التفاوت والزيادة والنقصان مايعلمه الواقف عليها وبين تورية السامرة واليهود والنصارى من ذلك مايعلمه من وقف عليها فدعوى الكاذب الباهت ان نسخ التورية والانجيل متفقة شرقا وغرباً بعداً وقرباً من أعظم الفرية والكذب وقد ذكر غير واحد من علماء الاسلام مابينها من التفاوت والزيادة والنقصان والتناقض لمن أراد الوقوف عليه ولولا الاطالة وقصد ماهو أهم منه لذكرنا منه طرفاً كبيراً وقد وبخهم الله سبحانه وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والاخفاء فقال تعالي * ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقال تعالي * وان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * وقال تعالى * ان الذين يكتمون ما نزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك مايأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * وقال تعالي * ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل

Digitized by Google

السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم *

وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة وكذلك لىّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه فهذه خمسة أمور أحدها لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا تتميز الحق من الباطل الثاني كتمان الحق الثالث اخفاؤه وهو قريب من كتمانه الرابع تحريف الكلم عن مواضعه وهو نوعان تحريف لفظه وتحريف معناه الخامس لىّ اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره وهذه الامور انما ارتكبوها لاغراض لهم دعتهم الى ذلك فاذا عادوا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقاتلوه فهم الى أن يجحدوا نعته وصفته ويكتموا ذلك ويزيلونه عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله اقرب بكثير وهكذا فعلوا ولكن لكثرة البشارات وتنوعها غلبوا عن كتمانها وإخفائها فصاروا الى تحريف التأويل وإزالة معناها عمن لا تصلح لغيره وجعلها لمعدوم لم يخلقه الله ولا وجود له البتة العاشر انه استشهد على صحة نبوته بعلماء اهل الكتاب وقد شهد له عدولهم فلا يقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك قال تعالى * ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب * وقال تعالى * قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين * وقال تعالى * وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب * وقال تعالى * ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وقال تعالى * الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * واذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الارض من الكفرة ولا تعارض شهادته بجحود ملء الارض من الكفار كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم وليس كل من قال من أشباه الحمير من عباد الصليب وامة الغضب انه من علمائهم فهو كذلك واذا كان أكثر من يظن عوام المسلمين انه من علمائهم ليس كذلك فما الظن بغيرهم وعلماء أهل الكتاب ان لم يدخل فيهم من لم يعمل بعلمه فليس علماؤهم الا من آمن به وصدقه وان دخل فيهم من علم ولم يعمل كعلماء السوء لم يكن أنكارهم لنبوته قادحاً

Digitized by Google

في شهادة العلماء العاملين بعلمهم الحادي عشر انه لو قدر انه لاذكر لرسول الله صلى الله وسلم بنعته ولا صفته ولا علامته في الكتب التي بايدي أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك أن لايكون مذكورا في الكتب التي كانت بايدى اسلافهم وقت مبعثه ولا تكون اتصلت على وجهها الى هؤلاء بل حرفها أولئك وبدلوا وكتموا وتواصوا وكتبوا ماأرادوا وقالوا هذا من عند الله ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم فصارت المغيرة المبدلة هي المشهورة والصحيحة بينهم خفية جداً ولا سبيل الى العلم باستحالة ذلك بل هو فى غاية الامكان فهؤلاء السامرة غيروا مواضع من التوراة ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم فلا يعرفون سواها وهجرت بينهم النسخة الصحيحة بالكلية وكذلك التورية التي بايدي النصارى وهكذا تبدل الاديان والكتب ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للامة ان لا تجتمع على ضلالة لاصابه ماأصاب الكتب قبله قال تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * الثاني عشر انه من الممتنع ان يخلو الرسل المتقدمة عن الاخبار بهذا الامر العظيم الذى لم يطرق العالم من حين خلق الى قيام الساعة أمراً أعظم منه ولاشأن أكبر منه فانه قلب العالم وطبق مشارق الارض ومغاربها واستمر على العالم على تعاقب القرون والى أن يرث الله الارض ومن عليها ومثل هذا النباء العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الاخبار به واذا كان الدجال رجل كاذب يخرج في آخر الزمان وبقاؤه في الارض أربعين يوماً قد تطابقت الرسل على الاخبار به وانذر به كل نبي قومه من نوح الى خاتم الرسل فكيف تتطابق الكتب الالهية من أولها الى آخرها على السكوت عن الاخبار بهذا الامر العظيم الذى لم يطرق العالم أمر أعظم منه ولا يطرقه أبداً مالا يسوغه عقل عاقل وتأباه حكمة أحكم الحاكمين بل الامر بضد ذلك وما بعث الله سبحانه نبياً الا أخذ عليه الميثاق بالايمان بمحمد وتصديقه كما قال تعالى * واذ أخذ الله ميثاق النبيين لان آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * قال ابن عباس مابعث الله من نبي الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعنه

(فصل) فهذه الوجوه على تقدير عدم العلم بوجود نعته وصفته والخبر عنه في الكتب المتقدمة ونحن نذكر بعض ماورد فيها من البشارة به ونعته وصفة أمته وذلك يظهر من وجوه

Digitized by Google

الوجه الاول

قوله تعالى في التورية ساقيم لبني اسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما آمره به والذى لايقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه ومن سبطه فهذا النص مما لايمكن أحد منهم جحده وانكاره ولكن لاهل الكتاب فيه اربعة طرق احدها حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى واما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق احدها انه على حذف اداة الاستفهام والتقدير أأقيم لبني اسرائيل نبياً من اخوتهم اى لافعل هذا فهو استفهام انكار حذفت منه اداة الاستفهام الثاني انه خبر وعد ولكن المراد به شمويل النبي فانه من بني اسرائيل والبشارة انما وقعت بنبي من إخوتهم واخوة القوم هم بنو أبيهم وهم بنوا اسرائيل الثالث انه نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه الى الآن وقال المسلمون البشارة صريحة في النبي صلى الله عليه وسلم العربي الامي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه لايحتمل غيره فانها انما وقعت بنبي من إخوة بنى اسرائيل لا من بنى اسرائيل نفسهم والمسيح من بني اسرائيل فلو كان المراد بها هو المسيح لقال أقيم لهم نبياً من انفسهم كما قال تعالى * لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم * واخوة بني اسرائيل هم بنوا اسماعيل ولا يقال في لغة امة من الامم ان بني اسرائيل هم اخوة بني اسرائيل كما ان إخوة زيد لايدخل فيهم زيد نفسه وايضاً فانه قال نبياً مثلك وهذا يدل على انه صاحب شريعة عامة مثل موسى وهذا يبطل حمله على شمويل من هذا الوجه ايضاً ويبطل حمله على يوشع من ثلاثة اوجه احدها انه من بنى اسرائيل لا من اخوتهم الثانى انه لم يكن مثل موسى وفي التورية لايقوم في بنى اسرائيل مثل موسي الثالث ان يوشع نبي في زمن موسي وهذا الوعد انما هو بنبي يقيمه الله بعد موسى وبهذه الوجوه الثلثة يبطل حمله على هرون مع ان هرون توفى قبل موسى ونبأه الله مع موسي في حياته ويبطل ذلك من وجه رابع ايضاً وهو ان في هذه البشارة انه ينزل عليه كتاباً يظهر للناس من فيه وهذا لم يكن لاحد بعد موسى غير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من علامات نبوته التى أخبرت بها الانبياء المتقدمون قال تعالى * وانه لتنزيل من رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اولم يكن له آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل * فالقرآن نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر للامة من فيه ولا يصح حمل هذه البشارة على المسيح باتفاق النصارى لانها انما جاءت بواحد

Digitized by Google

من اخوة بني اسرائيل وبنو اسرائيل واخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم اله والمسيح عندهم اله معبود وهو اجل عندهم من أن يكون من اخوة العبيد والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده واخوتهم وغايته ان يكون نبيا لا غاية له فوقها وهذا ليس هو المسيح عند النصارى وأما قول المحترفين لكلام الله ان ذلك على حذف ألف الاستفهام وهو استفهام انكار والمعني أأقيم لبني اسرائيل نبياً فتلك عادة لهم معروفة في تحريف كلام الله عن مواضعه والكذب على الله وقولهم لما يبدلونه ويحرفونه هذا من عند الله وحمل هذا الكلام على الاستفهام والانكار غاية ما يكون من التحريف والتبديل وهذا التحريف والتبديل من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي أخبر بها عن الله من تحريفهم وتبديلهم فاظهر الله صدقه في ذلك لكل ذي لب وعقل فازداد أيماناً الى ايمانه وازداد الكافرون رجساً الى رجسهم

(فصل الوجه الثاني)

قال في التورية في السفر الخامس اقبل الله من سينا وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الاظهار عن يمينه وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة نبوة موسى ونبوة عيسى ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمجيئه من سينا وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ونبأه عليه أخبار عن نبوته وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس وساعير قرية معروفة هناك الى اليوم وهذه بشارة بنبوة المسيح وفاران هي مكة وشبّه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح ونبوة المسيح بعدها باشراقه وضيائه ونبوة خاتم الانبياء بعدها باستعلاء الشمس وظهور ضوءها في الآفاق ووقع الامر كما أخبر به سواء فان الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فاضاء فجره بنبوته وزاد الضياء والاشراق بنبوة المسيح وكمل الضياء واستعلن وطبق الارض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة التين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين فذكر امكنة هؤلاء الانبياء وأرضهم التي خرجوا منها والتين والزيتون والمراد به منبتهما وأرضهما وهي الارض المقدسة التي هي مظهر المسيح وطور سينين الذي كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته وهذا البلد الامين حرم الله وامنه التي هي مظهر محمد صلوات الله وسلامه عليهم فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود فاران هي أرض الشام وليست أرض الحجاز وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم وعندهم في التورية ان اسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران هكذا فطقت التورية ولفظها

Digitized by Google

واقام اسماعيل في برية فاران وانكحته أمه امرأة من أهل مصر ولا يشك علماء أهل الكتاب ان فاران سكن لآل اسماعيل فقد تضمنت التورية نبوة تنزل بارض فاران وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد اسماعيل وتضمنت انتشار أمته واتباعه حتى تملأ السهل والجبل كما سنذكره ان شاء الله ولم يبق بعد هذا شبهة أصلا ان هذه هي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي نزلت بفاران على أشرف ولد اسماعيل حتى ملأت الارض ضياء ونوراً وملأ اتباعه السهل والجبل ولا يكثر على الشعب الذي نطقت التورية بانهم عادموا الرأي والفطانة ان ينقسموا الى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند ولفظ التورية فيهم انهم لشعب عادم الرأي وليس فيهم فطانة ويقال لهؤلاء المكابرين أي نبوة خرجت من الشام فاستعلت استعلاء ضياء الشمس وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها وهل هذا الا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب

الوجه الثالث

قال في التورية في السفر الاول ان الملك ظهر لهاجر أم اسماعيل فقال ياهاجر من أين أقبلت والى أين تريدين فلما شرحت له الحال قال ارجعي فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لايحصون كثرة وها أنت تحبلين وتلدين ابناً تسميه اسماعيل لان الله قد سمع تذللك وخضوعك وولدك الكل يدوحشي الناس ويكون يده على ويكون الكل مبسوطة اليه بالخضوع وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق وان كلمته العليا وان أيدي الخلق تحت يده فمن هذا الذي ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وكذلك في السفر الاول من التورية ان الله قال لابراهيم اني جاعل ابنك اسماعيل لأمة عظيمة اذ هو من زرعك وهذه بشارة بمن جعل من ولده لأمة عظيمة وليس هو سوى محمد بن عبد الله الذي هو من حيم ولده فانه جعل لأمة عظيمة ومن تدبر هذه البشارة جزم بأن المراد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اسماعيل لم تكن يده على يد اسحق قط ولا كانت يد اسحق مبسوطة اليه بالخضوع وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك في ولد اسرائيل والعيص وهما ابنا اسحق فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقلت النبوة الى ولد اسماعيل ودانت لهم الامم وخضعت له الملوك وجعل خلافة الملك الى اهل بيته الى آخر الدهر وصارت أيديهم فوق ايدي الجميع مبسوطة اليهم بالخضوع وكذلك في التورية في السفر الاول ان الله قال لابراهيم ان في هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحق فقال ابراهيم ليت اسماعيل

Digitized by Google

هذا يجي بين يديك بمجدك فقال الله تعالى قد استجبت لك في اسمعيل واني أباركه وأنميه وأعظمه جداً جداً بما قد استجبت فيه واني أصيّره الى أمة كثيرة وأعطيه شعباً جليلا والمراد بهذا كله الخارج من نسله فانه هو الذى عظمه الله جداً جداً وصيره الى أمة كثيرة واعطاه شعباً جليلا ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك وعظم والطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمته ملؤا الآفاق واربوا فى الكثرة على نسل اسحق

الوجه الرابع

قال في التورية في السفر الخامس قال موسى لبني اسرائيل لاتطيعوا العرافين والمنجمين فسيقيم لكم الرب نبياً من اخوتكم مثلى فأطيعوا ذلك النبي ولا يجوز ان يكون هذا النبي الموعود به من أنفس بني اسرائيل لما تقدم ان اخوة القوم ليسوا أنفسهم كابقال بكر وتغلب ابناوائل ثم يقول تغلب اخوة بكر وبنوا بكر اخوة بني تغلب فلو قلت اخوة بني بكر بنوا بكر كان محالا ولو قلت لرجل أتيني برجل من اخوة بنى بكر بن وائل لكان الواجب ان يأتيك برجل من بنى تغلب ابن وائل لا بواحد من بني بكر

الوجه الخامس

ما فى الانجيل ان المسيح قال للحواريين أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق لايتكلم من قبل نفسه انما هو كما يقال له وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون لانكم معي من قبل الناس وكل شئ أعدّه الله لكم يخبركم به وفي انجيل يوحنا الفارقليط لايجيئكم مالم أذهب واذا جاء وبّخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به ويكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب وفي موضع آخر ان الفارقليط روح الحق الذي يرسله الىّ باسمى هو يعلمكم كل شئ وفى موضع آخر انى سائل الي ان يبعث اليكم فارقليطاً آخر يكون معكم الي الابد وهو يعلمكم كل شئ وفي موضع آخر ابن البشر ذاهب والفارقليط من بعده يجي لكم الاسرار ويفسر لكم كل شئ وهو يشهد لى كما شهدت له فاني أجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل قال أبو محمد بن قتيبة وهذه الاشياء على اختلافها متقاربة وانما اختلفت لان من نقلها عن المسيح صلى الله عليه وسلم فى الانجيل من الحواريين عدّة والفارقليط بلفتهم لفظ من ألفاظ الحمد اما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد ونحو ذلك وهو في الانجيل لحيشي برنطيس وفي موضع آخر ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من لاب أن يعطيكم بارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد ويتكلم بروح الحق الذي لم

يطق العالم أن يقبلوه لانهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً انى سآتيكم عن قريب وفى موضع آخر ومن يحبنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه واليه يأتي وعنده يتخذ المنزل كلمكم بهذا لأنى لست عندكم مقيماً والفارقليط روح الحق الذى يرسله أبي هو يعلمكم كل شئ وهو يذكركم كلما قلت لكم استودعتكم سلامى لاتقلق قلوبكم ولا تجزع فانى منطلق وعائد اليكم لو كنتم تحبونى كنتم تفرحون بمعنى الاب فان ثبت كلامى فيكم كان لكم كلما تريدون وفى موضع آخر اذا جاء الفارقليط الذى أبى أرسله روح الحق الذي من أبي يشهد لى قلت لكم حتي اذا كان تؤمنوا ولا تشكوا فيه وفي موضع آخر ان لى كلاماً كثيراً أريد ان أقوله لكم ولكنكم لاتستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكلما يأتي ويعرفكم جميع ماللاب وقال يوحنا قال المسيح ان أركون العالم سيأتي وليس لى شئ وقال متي قال المسيح ألم تروا ان الحجر الذي أخره البناؤن صار رأساً للزاوية من عند الله كان هذا وهو عجيب في أعيننا ومن أجل ذلك أقول لكم ان ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى تأكل ثمرتها ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ وكل من سقط هو عليه يمحقه وقد اختلف في الفارقليط في لغتهم فذكروا فيه أقوالا ترجع الى ثلثة أحدها انه الحامد والحماد او الحمد كما تقدم ورجحت طائفة هذا القول وقال الذي يقوم عليه البرهان في لغته انه الحمد والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة يكون له بارقليط جيداى حمد جيد

والقول الثاني

وعليه اكثر النصارى انه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص قالوا وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل فارق قالوا وليط كلمة ترادفها ومعناها كمعنى قول العرب رجل هو وحجر هو وفرس هو قالوا فكذلك معنى ليط في السريانية وقالت طائفة أخرى من النصارى معناه بالسريانية المعزى قالوا وكذلك هو في اللسان اليوناني ويعترض على هذين القولين بان المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية واجيب عن هذا بانه يتكلم بالعبرانية والانجيل انما نزل باللغة العبرانية وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرهما واكثر النصارى على انهُ المخلص والمسيح نفسهُ يسمونه المخلص وفي الانجيل الذي بايديهم انه قال انما اتيت لاخلص العالم والنصارى يقولون في صلاتهم لقد ولدت لنا مخلصاً ولما لم يمكن النصارى انكار هذه النصوص حرفوها انواعاً من التحريف فمنهم من قال هو روح نزلت على

Digitized by Google

الحواريين ومنهم من قال هو السن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها الآيات والعجائب ومنهم من يزعم انهُ المسيح نفسه لكونهِ جاء بعد الصلب باربعين يوماً وكونهِ قام من قبرهِ ومنهم من قال لا يعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناهُ ومن تأمل الفاظ الانجيل وسياقها علم ان تفسيرهُ بالروح باطل وابطل منهُ تفسيرهُ بالالسن النارية وابطل منهما تفسيره بالمسيح فان روح القدس مازالت تنزل على الانبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى * لا تجد واقوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم او عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه * وقال النبي صلى الله عليهِ وسلم لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين اللهم ايده بروح القدس وقال ان روح القدس معك مازلت تنافح عن نبيه واذا كان كذلك ولم يسم احد هذه الروح فارقليطاً علم ان الفارقليط امر غير هذا وايضاً فشأن هذه الروح لا زالت يؤيد بها الانبياء والصالحون وما بشر به المسيح ووعد به امر عظيم يأتي بعده اعظم من هذا وايضاً فانه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا الروح وانما تناسب رجلا يأتي بعده نظيراً لهُ فانه قال ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد فقولهُ فارقليطاً دل على انه ثانٍ لاوّلَ كان قبله وانه لم يكن معهم في حياة المسيح وانما يكون بعد وتوليه عنهم وأيضاً فانه قال يثبت معكم الى الابد وهذا انما يكون لما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر ومعلوم انه لم يرد بقاء ذاته فعلم انه بقاء شرعه وأمره والفارقليط الاول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الابد وهذا يبين ان الثاني صاحب شرع لا ينسخ بل يبقى الى الابد بخلاف الاول وهذا انما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وايضاً فانه اخبر ان هذا الفارقليط الذي اخبر به يشهد له ويعلمهم كل شيء وانه يذكرهم كل ما قال المسيح وانه يوبخ العالم على خطيئة فقال والفارقليط الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما قلت لكم وقال اذا جاء الفارقليط الذي أنا أرسله هو يشهد اني قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه وقال ان خيراً لكم ان انطلق الى أبي ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فان انطلقت ارسلته اليكم فهو يوبخ العالم على الخطيئة فان لي كلاماً كثيراً اريد ان أقول لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب فهذه الصفات

Digitized by Google

والنعوت التي تلقوها عن المسيح لا تنطبق على امر معنوي في قلب بعض الناس لا يراه احد ولا يسمع كلامه وانما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه فيشهد للمسيح ويعلمهم كل شيء ويذكرهم كما قال لهم المسيح ويوبخ العالم على الخطيئة ويرشد الناس الى جميع الحق ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتي ويعرفهم جميع ما لرب العالمين وهذا لا يكون ملكا لا يراه احد ولا يكون هدًى وعلماً في قلب بعض الناس ولا يكون الا انساناً عظيم القدر يخاطب بما أخبر به المسيح وهذا لا يكون الا بشراً رسولا بل يكون اعظم من المسيح فان المسيح اخبر انه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ويعلم ما لا يعلمه المسيح ويخبر بكلماتي وبما يستحقه الرب حيث قال ان لي كلاماً كثيراً أريد ان أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله ولكن اذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب فلا يستريب عاقل ان هذه الصفات لا تنطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته وعما اعده في الجنة لاوليائه وفي النار لاعدائه امر لا تحتمل عقول اكثر الناس معرفته على التفصيل قال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال ابن مسعود ما من رجل يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى *الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن* قال ما يؤمنك ان لو اخبرتك بها لكفرت ان يعني لو اخبرتك بتفسيرها لكفرت بها وكفرك بها تكذيبك بها فقال لهم المسيح ان لي كلاماً كثيراً اريد ان اقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله وهو الصادق المصدوق في هذا ولهذا ليس في الانجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات يوم الاخر الا امور مجملة وكذلك التورية ليس فيها من ذكر اليوم الاخر الا امور مجملة مع ان موسى صلى الله عليه وسلم كان قد مهد الارض للمسيح ومع هذا فقد قال لهم المسيح ان لي كلاماً كثيراً اريد ان اقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله ثم قال ولكن اذا جاء روح الحق فذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق وانه يخبركم بكلما يأتي وبجميع ما للرب فدل هذا على ان الفارقليط هو الذي يفعل هذا دون المسيح وكذلك كان فان محمداً صلى الله عليه وسلم ارشد الناس الى جميع الحق حتى اكمل الله به الدين واتم به النعمة ولهذا كان خاتم الانبياء فانه لم يبق نبي يأتي بعده غيره واخبر محمد صلى الله عليه

Digitized by Google

وسلم بكل ما يأتي من اشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الاعمال والجنة وانواع نعيمها والنار وانواع عذابها ولهذا كان في القرآن تفصيل امر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتي امور كثيرة لا توجد لا في التورية ولا في الانجيل وذلك تصديق قول المسيح انه يخبر بكلما يأتي وذلك يتضمن صدق المسيح وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قوله تعالى * انهم اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين * اي بمجيئه تصديق للرسل قبله فانهم اخبروا بمجيئه فجاء كما اخبروا به فتضمن مجيئه تصديقهم ثم شهد هو بصدقهم فصدقهم بقوله ومجيئه ومحمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله بين يدي الساعة كما قال بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى وكان اذا ذكر الساعة علا صوته واحمرّ وجهه واشتد غضبه وقال انا النذير العريان فاخبر من الامور التي يأتي في المستقبل بما لم يأت به نبي من الانبياء كما نعته به المسيح حيث قال انه يخبركم بكلما يأتي ولا يوجد مثل هذا اصلاً عن احد من الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فضلاً عن ان يوجد عن شيء نزل على قلب بعض الحواريين وايضاً فانه قال ويعرفكم جميع ما للرب فبين انه يعرف الناس جميع ما لله وذلك يتناول ما لله من الاسماء والصفات وما لهُ من الحقوق وما يجب من الايمان به وملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون ما يأتي به جامعاً لما يستحقه الرب وهذا لم يأت به غير محمد صلى الله عليه وسلم فانه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة هذا كله وايضاً فان المسيح قال اذا جاء الفارقليط الذي ارسله ابي فهو يشهد لي قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به فاخبر انه شهد له وهذه صفة نبي بشر به المسيح ويشهد للمسيح كما قال تعالى * واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التورية ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد * واخبر انه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين فانهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه فكيف يقول اذا اجاء فانه يشهد لي ويوصيهم بالايمان به أفترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح فهذا من اعظم جهل النصارى وضلالهم وايضاً فانه لم يوجد أحد وبخ جميع العالم من اصناف الناس على الخطيئة الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه انذر جميع العالم من اصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ولم يقتصر على مجرد الامر والنهي بل وبخهم وفزعهم وتهددهم وايضاً فانه أخبر انه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا اخبار بان

Digitized by Google

كلما يتكلم به فهو وحي يسمعه ليس هو شيئاً تعلمه من الناس او عرفه باستنباط وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم واما المسيح فكان عنده علم بما جاء به موسى قبله يشاركه به اهل الكتاب تلقاه عمن قبله ثم جاءه وحي خاص من الله فوق ما كان عنده قال تعالى * ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل * فاخبر سبحانه انه يعلمه التورية التي تعلمها بنوا اسرائيل وزاده تعليم الانجيل الذي اختص به والكتاب الذي هو الكتابة ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن تعلم قبل الوحي شيئاً من ذلك البتة كما قال تعالى * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * وهذا مطابق لقول المسيح انه لا يتكلم من تلقاء نفسه بل انما يتكلم بما يوحى اليه والله تعالى امره ان يبلغ ما انزل اليه وضمن له في تبليغ رسالاته فلهذا ارشد الناس الى جميع الحق والقى الى الناس مالم يمكن غيره من الانبياء القاؤه خوفاً ان يقتله قومه وقد أخبر المسيح بانه لم يذكر لهم جميع ما عنده وانهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بانه كان يخاف منهم اذا اخبرهم بحقائق الامور ومحمد صلى الله وسلم ايده الله سبحانه تأييداً لم يؤيده لغيره فعصمه من الناس حتى لم يخف من شيء يقوله واعطاه من البيان والعلم مالم يؤته غيره فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقايق الغيب ماليس في كتاب غيره وايدامته تأييداً اطاقت به حمل ما القاه اليهم فلم يكونوا كأهل التورية الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها ولا كأهل الانجيل الذين قال لهم المسيح ان لي كلاماً كثيراً اريد ان اقوله لكم ولكن لا تستطيعون حمله ولا ريب ان امة محمد صلى الله عليه وسلم اكمل عقولا واعظم ايماناً وانم تصديقاً وجهاداً ولهذا كانت علومهم واعمالهم القلبية وايمانهم اعظم وكانت العبادات البدنية لغيرهم اعظم وايضاً فانه اخبر عن الفارقليط انه يشهد له وانه يعلمهم كل شيء وانه يذكرهم كما قال المسيح ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له شهادة يسمعها الناس لا يكون هذا في قلب طائفة قليلة ولم يشهد احد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اظهر امر المسيح وشهد له بالحق حتى سمع شهادته له عامة اهل الارض وعلموا انه صدق المسيح ونزهه افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصارى فهو الذي شهد له بالحق ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد صلى الله عليه وسلم قال لهم ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود وجعل الله امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس شهدوا عليهم بما عملوا من الحق اذ كانوا وسطاً عدولا لا يشهدون بباطل فان الشاهد لا يكون الا عدلا بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق او نقص منه كشهادة اليهود

Digitized by Google

للنصارى في المسيح وايضا فان المعنى في الفارقليط ان كان الحامد والحماد والمحمود فهذا الوصف ظاهر في محمد صلى الله عليه وسلم فانه وامته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال وهو صاحب لواء الحمد والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته ولما كان حماداً سمي بمثل وصفه فهو محمد وزن مكرم ومقدس ومعظم وهو الذي يحمد اكثر مما يحمد غيره ويستحق ذلك فلما كان حماداً لله كان محمداً وفي شعر حسان

اغرّ عليه للنبوة خاتم من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه اذ قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

واما احمد فهو افعل التفضيل اي هو احمد من غيره اي احق بان يكون محموداً اكثر من غيره يقال هذا احمد من هذا اي هذا احق بان يحمد من هذا فيكون فيه تفضيل على غيره في كونه محموداً فلفظ محمد يقتضي زيادة في الكلمية ولفظ احمد يقتضي زيادة في الكيفية ومن الناس من يقول معناه انه اكثر حمداً لله من غيره وعلى هذا فيكون بمعنى الحامد والحماد وعلى الاول بمعنى المحمود وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية المصدر مبالغة في كثرة الحمد كما يقال رجل عدل ورضى ونظائر ذلك وبهذا يظهر سر ما اخبر به القرآن عن المسيح من قوله ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فان هذا هو معنى الفارقليط كما تقدم في التورية ماتر جمتهُ بالعربية وأما في اسماعيل فقد قبلت دعاك ها انا قد باركت فيكموا نميك واكثرهُ بماذ ماذ هكذا هذه اللفظة ماذ على وذن عمر وقد اختلف فيها علماء اهل الكتاب فطائفة يقولون معناها جداً جداً اي كثيراً فان كان هذا معناها فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً ومعلوم انه لم يعظم من بنيه اكثر مما عظم من محمد صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة اخرى بل هي صريح اسم محمد قالوا ويدل عليه ان الفاظ العبرانية قريبة من الفاظ العربية فهي اقرب اللغات الى العربية فانهم يقولون لاسمعيل سماعيل وشمعيل وشمعيتخا واباه اوثو وقد سلك قد يشخا وانت انتا واسرائيل سيرائيل فتأمل قوله في التورية قدس لي كل بكر كل اول مولود رحم في بني اسرائيل من انسان الى بهيمة لي وتأمل قوله تابى اقيم لاهيم مقارب اخيهم كاموخا يلاؤه يشماعون فان معناه نبياً اقيم لهم من وسط اخوتهم مثيلك به يؤمنون وكذلك قوله ايتم عابرتم بعبول اخيخيم بني عيصاه معناه انتم عابدون في تخم اخوتكم بني العيص ونظائر ذلك اكثر من ان يذكر فاذا اخذت

Digitized by Google

لفظة مؤذ مؤذوجدتها اقرب شيء الى لفظة محمد واذا اردت تحقيق ذلك فطابق بين الفاظ العبرانية والعربية وكذلك يقولون اصبوع او لوهوم اى اصبع الله كتب له بها التورية ويدل على ذلك اداة الباء في قوله بمأذ مأذولا مقال اعظمه مجداً جداً بخلاف اعظمه بمحمد وكذلك هو فانه عظم به وازداد به شرفاً الى شرفه بل تعظيمه بمحمد ابنه صلى الله عليه وسلم فوق تعظيم كل والد بولده العظيم القدر فالله سبحانه كبره بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى التقديرين فالنص من اظهر البشارات به أما على هذا التفسير فظاهر جداً وأما على التفسير الاول فانما كبر اسمعيل وعظم على اسحق جداً جداً بابنه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا طابقت بين معنى الفار قليط ومعنى موذموذ ومعنى محمد واحمد ونظرت الى خصال الحمد التي فيه وتسمية امته بالحامدين وافتتاح كتابه بالحمد وثنى بخصال الحمد التي فيه وفي امته وفي دينه وفي كتابه وعرفت ما خاص به العالم من انواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله بلا علم وما اعز الله به الحق واهله وقمع به الباطل وحزبه تيقنت انه الفار قليط بالاعتبارات كلها فمن هذا الذى هو روح الحق الذي لا يتكلم الا بما يوحى اليه ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجيئه ومن الذي أخبرنا بالحوادث في الازمنة المستقبلة كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزول المسيح بن مريم وظهور النار التي تحشر الناس واضعاف اضعاف ذلك من الغيوب التي قبل يوم القيامة والغيوب الواقعة من الصراط والميزان والحساب واخذ الكتب بالايمان والشمايل وتفاصيل ما في الجنة والنار مالم يذكر في التورية والانجيل غير محمد صلى الله عليه وسلم ومن الذي وبخ العالم على الخطايا سواه ومن الذي عرف الامة ما ينبغي لله حق التعريف غيره ومن الذي تكلم في هذا الباب بما لم يطق اكثر العالم ان يقبلوه غيره حق عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فساموه انواع التحريف والتأويل لعجز عقولهم عن حمله كما قال اخوه المسيح صلوات الله عليهما وسلامه ومن الذي ارسل الى جميع الخلق بالحق قولاً وعملا واعتقاداً في معرفة الله واسمائه وصفاته واحكامه وافعاله وقضائه وقدره غيره ومن هو اركون العالم الذي اتا بعد المسيح غيره واركون العالم هو عظيم العالم وكبير العالم وتأمل قول المسيح في هذه البشارة التي لا ينكرونها ان اركون العالم سيأتي وليس لي من الامر شيء كيف هي شاهدة بنبوة محمد والمسيح معاً فانه لما جاء صار الامر له دون المسيح فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لامره وصار الامر له حقيقة ولم يبق بايدي النصارى

Digitized by Google

الا دين باطل اضعاف اضعاف حقه وحقه منسوخ بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فطابق قول المسيح قول اخيه محمد صلى الله عليه وسلم ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا واماماً مقسطا فيحكم بكتاب الله بكم وقوله في اللفظ الآخر يأتيكم بكتاب ربكم فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الاول بالثاني وصدق الثاني بالاول وتأمل قوله في البشارة الاخرى المترى الي الحجر الذى أخره البناؤن صار رأساً للزاوية كيف تجده مطابقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنا داراً فاكملها واتمها الا موضع لبنة منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فكنت انا تلك اللبنة وتأمل قول المسيح في هذه البشارة ان ذلك عجيب في اعيننا وتأمل قوله فيها ان ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع الى آخر كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى * ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون * وقوله * وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وتأمل قوله في الفارقليط المبشر به يفتش لكم الاسرار ويفسر لكم كل شيء فاني اجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل وكيف تجده مطابقاً للواقع من كل وجه لقوله تعالى * ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء * ولقوله تعالى * ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون * واذا تأملت التورية والانجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لامثالها والشرح لرموزها وهذا قول المسيح اجيئكم بالامثال ويجيئكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء واذا تأملت قوله وكل شيء عده الله لكم به وتفاصيل ما اخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق المرسولين الكريمين ومطابقة الاخبار المفصلة من محمد صلى الله عليه وسلم للخبر المجمل من اخيه المسيح وتأمل قوله في الفارقليط وهو يشهد لي كما شهدت له كيف تجده منطبقاً على محمد بن عبد الله وكيف تجده شاهداً بصدق الرسولين وكيف تجده صريحا في رجل يأتي بعد المسيح يشهد له بانه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح فلقد اذن المسيح بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما أذاناً لم يؤذنه نبي قبله واعلن بتكبير ربه ان يكون له صاحبة او ولد ثم رفع صوته بشهادة ان لا اله الا الله وحده لاشريك له إلهاً واحداً احداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ثم اعلن بشهادة ان محمداً عبده ورسوله الشاهد له

Digitized by Google

بنبوته المؤيد بروح الحق الذى لايقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بما يوحى اليه ويعلمهم كل شيء ويخبرهم بما اعد الله لهم ثم رفع صوته بحي على الفلاح باتباعه والايمان به وتصديقه وانه ليس له من الامر شيء وختم التأذين بان ملكوت الله سيؤخذ ممن كذب ويدفع الى اتباعه والمؤمنين به فهلك من هلك عن بينة فاستجاب وعاش من عاش عن بينة اتباع المسيح حقا لهذا التأذين واباه الكافرون والجاحدون فقال تعالى * اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وهذه بشارة بان المسلمين لايزالون فوق النصارى الى يوم القيمة فان المسلمين هم اتباع المسيح في الحقيقة واتباع جميع الانبياء لاأعداؤه واعداؤه عباد الصليب الذين رضوا ان يكون إلهاً مصفوعاً مصلوباً مقتولا ولم يرضوا ان يكون نبياً عبداً لله وجيهاً عنده مقرباً لديه فهؤلاء اعداؤه حقا والمسلمون اتباعه حقا والمقصود ان بشارة المسيح بالنبي صلى الله عليه وسلم فوق كل بشارة لما كان اقرب الانبياء اليه واولادهما به وليس بينه وبينه نبي

(فصل) وتأمل قول المسيح ان اركون العالم سيأتي واركون العالم هو سيد العالم وعظيمه ومن الذي ساد العالم واطاعه العالم بعد المسيح غير النبي صلى الله عليه وسلم وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما كان اول امرك قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى وطابق بين هذا وبين هذه البشارات التي ذكرها المسيح فمن الذي ساد العالم باطناً وظاهراً وانقادت له القلوب والاجساد واطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته في جميع الاعصار وافضل الاقاليم والامصار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وخرت لجبهته الامم على الاذقان وبطلت به عبادة الاوثان وقامت بدعوة الرحمن واضمحلت به دعوة الشيطان واذل الكافرين والجاحدين وأعز المؤمنين وجاء بالحق وصدق المرسلين حتى اعلن بالتوحيد على رؤس الاشهاد وعبد الله وحده لاشريك له في كل حاضر وباد وامتلأت به الارض تحميداً لله وتهليلا وتسبيحاً وتكبيراً واكتست به بعد الظلم والظلام عدلا ونوراً

(فصل) وطابق بين قول المسيح ان اركون العالم سيأتيكم وقول اخيه محمد صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائي وانا خطيب الانبياء اذا وفدوا وامامهم اذا اجتمعوا ومبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدى وانا

Digitized by Google

اكرم ولد آدم على ربي

(فصل) وفي قول المسيح في هذه البشارة وليس لي من الامر شيء إشارة الى التوحيد وان الامر كله لله فتضمنت هذه البشارة اصلي الدين اثبات التوحيد واثبات النبوة وهذا الذى قاله المسيح مطابق لما جاء به اخوه محمد بن عبد الله عن ربه من قوله له ليس لك من الامر شيء فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما وجدهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة وانه لا يمكن التصديق باحدهما مع التكذيب بالآخر البتة وان المكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد تكذيباً للمسيح الذي هو المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وان آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود وهو ابطل الباطل وقد قال يوحنا في كتاب اخبار الحواريين وهو يسمونه اقراكيس قال يا أحبابي اياكم أن تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها واعلموا ان كل روح تؤمن بان يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهى من عند الله وكل روح لا تؤمن بان المسيح قد جاء وكان جسدانياً فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذي هو الآن في العالم فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول والنصارى انما تؤمن بمسيح دعا الى عبادة نفسه وأمه وانه ثالث ثلثة وانه الله وابن الله وهذا هو اخو المسيح الكذاب لو كان له وجود فان المسيح الكذاب يزعم انه الله والنصارى في الحقيقة اتباع هذا المسيح كما ان اليهود انما ينتظرون خروجه وهم يزعمون انهم ينتظرون النبي الذي بشروا به فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الايمان به انتظاراً للمسيح الدجال وهكذا كل من أعرض عن الحق يعرض عن الباطل واصل هذا ان ابليس لما أعرض عن الحق وهو السجود لآدم كبراً ان يخضع له تعوض بذلك ذل القيادة لكل فاسق مجرم من بنيه فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة والنصارى لما أنفوا ان يكون المسيح عبدا لله تعوضوا من هذه الانفة بان رضوا بجعله مصفعة اليهود ومصلوبهم الذي يسخرون منه ويهزؤن به ثم عقدوا له تاجا من الشوك بدل تاج الملك وساقوه في حبل الى خشبة الصلب يصعقون حوله ويرقصون فلا بتلك الانفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له الى اعظم الذل والضيق والقهر وكذلك انفوا ان يكون للبترك والراهب زوجة او ولد وجعلوا لله رب العالمين الولد وكذلك أنفوا ان يعبدوا الله وحده لا شريك له ويطيعوا عبده ورسوله ثم رضوا العبادة للصلب والصور المصنوعة بالايدى في الحيطان وطاعة كل من يحرم

Digitized by Google

عليهم ما شاء ويحلل لهم ما شاء ويشرع لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه ونظير هذا التعويض أنفة الجهمية ان يكون الله سبحانه فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه حتى لايكون محصوراً بزعمهم في جهة معينة ثم قالوا هو في كل مكان بذاته فحصروه في الآبار والسجون والانجاش والاحفاش وعوضوه بهذه الامكنة عن عرشه المجيد فليتأمل العاقل لعب الشيطان بعقول هذا الخلق وضحكه عليهم واستهزائه بهم

(فصل) وقول المسيح اذا انطلقت أرسلته اليكم معناه أني ارسله بدعاء ربي وطلبي منه ان يرسله كما يطلب الطالب من ولي الامر ان يرسل رسولا او يولي نائباً او يعطي حداً فيقول انا أرسلت هذا ووليته وأعطيته يعني اني كنت سبباً في ذلك فان الله سبحانه اذا قضى ان يكون الشيء فانه يقدر له أسباباً يكون بها ومن تلك الاسباب دعاء بعض عباده بان يفعل ذلك فيكون في ذلك من النعمة اجابة دعائه مضافاً الى نعمته بايجاد ما قضى كونه ومحمد صلى الله عليه وسلم قد دعا به الخليل ابوه فقال ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ مع ان الله سبحانه قد قضى بارساله واعلن باسمه قبل ذلك كما قيل له يا رسول الله متى كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد وقال اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمجدل في طينته وهذا كما قضى الله سبحانه نصره يوم بدر ومن اسباب ذلك استعانته بربه ودعاؤه وابتهاله بالنصر وكذلك مايقتضيه من انزال الغيث قد يجعله بسبب ابتهال عباده ودعائهم وتضرعهم اليه وكذلك ما يقتضيه من مغفرة ورحمة وهداية ونصر فقد يسبب له أدعية يحصل بها ممن ينال ذلك اومن غيره فلا يمتنع ان يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده ان يرسل اخاه محمداً الى العالم ويكون ذلك من اسباب الرسالة المضافة الى دعوة ابيه ابراهيم لكن ابراهيم سأل ربه ان يرسله في الدنيا فلذلك ذكره الله سبحانه واما المسيح فانما سأله بعد رفعه وصعوده الى السماء

(فصل) وتأمل قول المسيح اني لست ادعكم أيتاماً لاني سآتيكم عن قريب كيف هو مطابق لقول اخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهما ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا واماماً مقسطاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وأوصى أمته بان يقرئه السلام منه من لقيه منهم وفي حديث آخر كيف تهلك أمة أنا في اولها وعيسى في آخرها

(فصل) وقد تقدم نص التوراة تجلى الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن

من جبال فاران قال علماء الاسلام وهذا لفظ ابي محمد بن قتيبة ليس بهذا خفاء على من تدبره ولاغموض لان مجيء الله من طور سينا انزاله التورية على موسى من طور سينا كالذى هو عند اهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها تسمى من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح فلذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وجبال فاران هي جبال مكة قال وليس بين المسلمين واهل الكتاب خلاف في ان فاران هي مكة فان ادعوا انها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم قلنا أليس في التورية ان ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهما ظهر وانكشف فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الاسلام وفشا فى مشارق الارض ومغاربها فشوه قال علماء الاسلام وساعير جبال بالشام منه ظهور نبوة المسيح والى جانبه قرية بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمي اليوم ساعير ولها جبال تسمى ساعير وفى التورية ان نسل العيص كانوا سكاناً بساعير وامر الله موسى ان لا يؤذيهم قال شيخ الاسلام وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلثة حراء الذى ليس حول مكة أعلى منه وفيه ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه وحوله جبال كثيرة وذلك المكان يسمي فاران الى هذا اليوم والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران ولا يمكن احداً ان يدعى انه بعد المسيح نزل كتاب فى شئ من تلك الارض ولا بعث نبي فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه ذكر هذا في التورية على ترتيب الزمان فذكر انزال التورية ثم الانجيل ثم القرآن وهذه الكتب نور الله وهداه وقال في الاول جاء وظهر وفي الثاني اشرق وفى الثالث استعلن فكان مجيء التورية مثل طلوع الفجر ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ونزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس فى السماء ولهذا قال واستعلن من جبال فاران فان محمداً صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه فى مشرق الارض ومغربها اعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس في مشارق الارض ومغاربها اذا استعلت وتوسطت ولهذا سماه الله سراجا منيراً وسمى الشمس سراجا وهاجا والخلق يحتاجون الى السراج المنير اعظم من حاجتهم الى السراج الوهاج فان هذا يحتاجون اليه فى وقت دون وقت واما السراج

المنير فيحتاجون اليه كل وقت وفى كل مكان ليلا ونهاراً سراً وعلانية وقد ذكر الله سبحانه هذه الاماكن الثلثة فى قوله والتين والزيتون وهو في الارض المقدسة التي بعث منها المسيح وأنزل عليه فيها الانجيل وطورسينين وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً وناداه من واديه الايمن من البقعة المباركة من الشجرة التي فيه واقسم بالبلد الامين وهو مكة التي أسكن ابراهيم واسماعيل وأمه فيه وهو فاران كما تقدم ولما كان ما في التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزماني فقدم الاسبق ثم الذي يليه وأما القرآن فانه أقسم بها تعظيماً لشأنها واظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله فأقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة فبدأ بالعالي ثم انتقل الى أعلا منه ثم الى أعلا منهما فان أشرف الكتب القرآن ثم التوراة ثم الانجيل وكذلك الانبياء الثلثة

(فصل) وهذا الذى ذكره ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين ومن تأمل التوراة وجدها ناطقة به صريحة فيه فان فيها وغدا ابراهيم فاخذ الغلام واخذ خبزاً وسقاء من ماء ودفعه الى هاجر وحمله عليها وقال لها اذهبي فانطلقت هاجر ونفذ الماء الذى كان معها فطرحت الغلام تحت شجرة وجلست مقابلته على مقدار رمية الحجر لئلا تبصر الغلام حين يموت ورفعت صوتها بالبكاء وسمع الله صوت الغلام حيث هو فقال لها الملك قومى فاحملي الغلام وشدي يدك به فاني جاعله لامة عظيمة وفتح الله عينيها فبصرت ببئر ماء فسقت الغلام وملأت سقاءها وكان الله مع الغلام فتربى وسكن في برية فاران بعد ان كاد يموت من العطش وان الله سقاه من بئر ماء وقد علم بالتواتر واتفاق الامم ان اسماعيل انما ربي بمكة وهو وابوه ابراهيم بنيا البيت فعلم قطعاً ان فاران هى أرض مكة

(فصل) ومثل هذه البشارة من كلام شمعون فيما قبلوه ورضوا ترجمته جاء الله من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح أمته سوى محمد صلى الله عليه وسلم فان المسيح لم يكن بارض فاران البتة وموسى انما كلم من الطور والطور ليس من أرض فاران وان كانت التربة التي بين مكة والطور تسمى تربة فاران فلم ينزل الله فيها التوراة وبشارة التوراة قد تقدمت بجبل الطور وبشارة الانجيل بجبل ساعير

(فصل) ونظير هذا مانقلوه ورضوا ترجمته في نبوة حبقوق جاء الله من التين وظهر القدس على جبال فاران وامتلأت الارض من تحميد أحمد وملك بيمينه رقاب الامم وأثارت الارض لنوره وحملت خيله في البحر قال ابن قتيبة وزادني بعض

Digitized by Google

أهل الكتاب وستنزع فى قسيك اعراقا وترتوى السهام بأمرك يا محمد أرقوا وهذا إفصاح باسمه وصفاته فان إدعوا انه غيره فمن أحمد هذا الذى امتلأت الارض من تحميده والذى جاء من جبال فاران فملك رقاب الامم

(فصل) ومن ذلك وهو ﴿ الوجه السادس ﴾

قوله في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال ياهاجر من أين أقبلت والى أين تريدين فلما شرحت له الحال قال ارجعى فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لايحصون وها أنت تحبلين وتلدين ابنا اسمه اسماعيل لان الله قد سمع ذلك وخضوعك ولدك يكون وحش الناس يده فوق يد الجميع ويد الكل به ويكون مسكنه على تجرم جميع اخوته قال المستخرجون لهذه البشارة معلوم ان يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدى بنى اسحق بل كان فى أيدى بني اسحق النبوة والكتاب وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبني اسماعيل فوقهم يد ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى من أعز أهل الارض ولم يكن لاحد عليهم يد ولذلك كانوا مع يوشع الى زمن داود وملك سليمان الملك الذى لم يؤت احداً مثله فلم يكن يد بني اسماعيل عليهم ثم بعث الله المسيح فكفروا به وكذبوه فدمر عليهم تكذيبهم اياه وزال ملكهم ولم يقم لهم بعده قائمة وقطعهم الله في الارض امما وكانوا تحت حكم الروم والفرس وقهرهم ولم يكن يد ولد اسماعيل عليهم في هذا الحال ولا كانت فوق يد الجميع الى أن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته واكرمه الله بنبوته فصارت بمبعثه يد بني اسماعيل فوق الجميع فلم يبق فى الارض سلطان اعز من سلطانهم بحيث قهروا سلطان فارس والروم والترك والديلم وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وعباد الاصنام فظهر بذلك تأويل قوله في التوراة ويكون يده فوق يد الجميع ويد الكل وهذا أمر مستمر الي آخر الدهر قالت اليهود نحن لا ننكر هذا ولكن إن هذه بشارة بملكه وظهوره وقهره لا برسالته ونبوته قالت المسلمون الملك ملكان ملك ليس معه نبوة بل ملك جبار متسلط وملك نفسه نبوة والبشارة لم تقع بالملك الاول ولاسيما ان ادعى صاحبه النبوة والرسالة وهو كاذب مفتر على الله فهو من شر الخلق وأفجرهم وأكفرهم فهذا لا يقع البشارة بملكه وانما يقع التحذير من فتنته كما وقع التحذير من فتنة الدجال بل هذا شر من سنجاريب وبخت نصر الملوك والظلمة الفجرة الذين يكذبون على الله فالاخبار لاتكون بشارة ولا تفرح به هاجر وابراهيم

Digitized by Google

ولا بشر أحد بذلك ولا يكون ذلك اثابة لها من خضوعها وذلها وان الله قد سمع ذلك ويعظم هذا المولود ويجعله لامة عظيمة وهذا عند الجاحدين بمنزلة أن يقال انك ستلدين جبارا ظالماً طاغياً يقهر الناس بالباطل ويقتل أولياء الله ويسبي حريمهم ويأخذ أموالهم بالباطل ويبدل أديان الانبياء ويكذب على الله ونحو ذلك فمن حمل هذه البشارة على هذا فهو من أعظم الخلق بهتاناً وفرية على الله ليس هذا بمستنكر لامة الغضب وقتلة الانبياء والقوم البهت

﴿ فصل الوجه السابع ﴾ قول داود في الزبور سبحوا الله تسبيحاً جديدا وليفرح اسرائيل بخالقه ويتوب صهيون من أجل ان اصطفى الله له امته وأعطاه النصر وسدد الصالحين بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله باصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الامم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم بالقيود واشرافهم بالاغلال وهذه الصفات انما تنطبق على محمد وأمته فهم الذين يكبرون الله بأصواتهم مرتفعة فى أذانهم للصلوات الخمس وعلى الاماكن العالية قال جابر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا علونا كبرنا واذا هبطنا سبحنا فوضعت الصلاة على ذلك وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في الاذان وفي عيد الفطر وعيد النحر وفى عشرة ذى الحجة وعقيب الصلوات في أيام منى وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب انه كان يكبر بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره فيسمعونهم أهل الاسواق فيكبرون حتى ترتج منى تكبيرا وكان أبو هريرة وابن عمر يخرجان الى السوق ايام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ويكبرون أيضا على قرابينهم وضحاياهم وعند رمى الجمار وعلى الصفا والمروة وعند محاذاة الحجر الاسود وفى أدبار الصلوات الخمس وليس هذا لاحد من الامم لا أهل الكتاب ولا غيرهم سواهم فان اليهود يجمعون الناس بالبوق والنصارى بالناقوس وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة فشعار محمد ابن عبد الله وأمته وقوله بأيديهم سيوف ذات شفرتين فهى السيوف العربية التي فتح الصحابة بها البلاد وهي الى اليوم معروفة لهم وقوله يسبحونه على مضاجعهم هو نعت للمؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ومعلوم قطعا ان هذه البشارة لا تنطبق على النصاري ولا تناسبهم فانهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة ولا بايديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الامم والنصارى تعيب من يقاتل الكفار بالسيف وفيهم من يجعل هذا من أسباب التنفير عن محمد صلى الله عليه وسلم ولجهلهم وضلالهم لا يعلمون ان موسي قاتل الكفار وبعده يوشع بن نون وبعده داود

Digitized by Google

وسليمان وغيرهم من الانبياء وقبلهم ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(فصل الوجه الثامن) قول داود ومن أجل هذا بارك الله عليك الى الابد فتقلد أيها الجبار السيف لان البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك أركب كلمة الحق وسبحت التأله فأن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة والامم يخرون تحتك وليس متقلدا السيف بعد داود من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى خرت الامم تحته وقرنت شرائعه بالهيبة اما القبول والجزيه واما السيف وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وقد أخبر داود ان له ناموسا وشرائع وخاطبه بلفظ الجبار اشارة الى قوته وقهره لاعداء الله بخلاف المستضعف المقهور وهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ونبي الملحمة وامته اشداء على الكفار رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين بخلاف الاذلاء المقهورين المستكبرين الذين يذلون لاعداء الله ويتكبرون عن قبول الحق

﴿ فصل الوجه التاسع ﴾ قول داود في مزمور اخوان الله سبحانه أظهر من صهيون اكليلا محمودا وضرب الاكليل مثلا للرياسة والامامة ومحمود هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال فى صفته ويجوز من البحر الى البحر ومن لدن الانهار الى منقطع الارض وانه ليخر أهل الجزائر بين يديه على بركهم ويلحس أعداؤه التراب تأتيه ملوك الارض وتسجد له وتدين له الامم بالطاعة والانقياد ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلي عليه فى كل وقت ويبارك ولا يشكل على عاقل يدبر أمور الممالك والنبوات وصرف سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وسير امته من بعده ان هذه الاوصاف لا تنطبق الا عليه وعلى أمته لا على المسيح ولا على نبي غيره فانه حاز من البحر الرومى الى البحر الفارسى ومن لدن الانهار وجيحون وسيحون والفرات الى منقطع الارض بالغرب وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لى منها وهو الذى يصلى عليه ويبارك في كل وقت وفي كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها وهو الذى خرت اهل الجزائر بين يديه أهل جزيرة العرب وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة الاندلس واهل جزيرة قبرص وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق فيهم الا من أسلم وأدى الجزية عن يد وهم صاغرون بخلاف ملوك الروم فان فيهم من لم يسلم ولم يؤد الجزية فلهذا ذكر فى البشارة ملوك الفرس خاصة ودانت له الامم التى سمعت به وبامته وانقذ الضعفاء من

Digitized by Google

الحجازيين وهذا بخلاف المسيح فانه لم يتمكن هذا التمكن في كتابه ولا من اتبعه بعد رفعه الى السماء ولا حازوا ذكر ولا يصلون عليه ويباركون في اليوم والليلة فان القوم يدّعون الاهيته ويصلون له

﴿ فصل الوجه العاشر ﴾ قوله في مزمور آخر لترتاح البوادي وقراها ولتصر أرض قيدار مروجا ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه في الجو فمن أهل البوادي من الامم سوى امة محمد ومن قيدار غير ولد اسماعيل أحداً جداده صلى الله عليه وسلم ومن سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب ومن هذا الذي دام ذكره الى الابد غيره

﴿ فصل الوجه الحادي عشر ﴾ قوله في مزمور آخر أن ربنا عظيم محمودا جدا وفي مكان آخر الهنا قدوس ومحمد قد عم الارض كلها فرحاً فقد نص داود على اسم محمد وبلده وان كلمته قد عمت الارض

﴿ فصل الوجه الثاني عشر ﴾ قوله في الزبور لداود سيولد لك ولد أدعى له أباً ويدعى لي إبناً اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس انه لبشر وهذه اخبار عن المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهورهما بزمن طويل يريد انه ابعث محمداً حتى يعلم الناس ان المسيح لبشر ليس إلهاً وانه ابن البشر لا ابن خالق البشر فبعث الله هادي الامة وكاشف الغمة فبين للامم حقيقة امر المسيح وانه عبد كريم ونبي مرسل لا كما ادعته فيه النصارى ولا كما رمته به اليهود

﴿ فصل الوجه الثالث عشر ﴾ قوله في نبوة شعيا قيل لي قم نظارا فانظر ما ترى يخبر به قلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل واصنامها للبحر وصاحب الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح وراكب الجمل هو محمد صلوات الله وسلامه عليهما وهو اشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار وبمحمد صلى الله عليه وسلم سقطت اصنام بابل لا بالمسيح ولم يزل في اقليم بابل من يعبد الاوثان من عهد ابراهيم الخليل الى ان سقطت بمحمد صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل الوجه الرابع عشر ﴾ قوله في سورة شعيا انه قال عن مكة ارفعي الى ما حولك نظرك فستبتهجين وتفرحين من اجل ان الله يصير اليك ذخائر البحر وتحج اليك عساكر الامم حتى تعم بك قطر الابل المؤلفة ويضيق ارضك عن المقطرات التي تجتمع اليك وتساق اليك كباش مدين ويأتيك اهل سبأ ويسير اليك اغنام فاران وتخدمك رجل بناوت يريد سدنة الكعبة وهم اولاد بنت ابن اسماعيل قالوا فهذه الصفات كلها

Digitized by Google

حصلت لمكة فانها حملت اليها ذخائر البحر وحج اليها عساكر الامم وسيق اليها اغنام فاران هدايا واضاحي وقر بين وضاقت الارض عن قطارات الابل المؤبلة الحاملة للناس وازوادهم واتاها اهل سبأ وهم اهل اليمن (فصل الوجه الخامس عشر) قول شعيا في مكه ايضاً وقد اقسمت بنفس كقسمي ايام نوح اني اغرق الارض بالطوفان اني لا أسخط عليك ولا ارفضك وان الجبال تزول والتلاع منحطة ورحمتي عليك لاتزول ثم قال يامسكينة يامضطهدة ها انا ذا بان بالحسن حجارتك ومزاينك بالجواهر ومكلل باللؤلؤ سقفك وبالزبرجد ابوابك وتبعدين من الظلم فلا تخافي ومن الضعف فلا تضعفي وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفاجين معها ويسميك الله اسماً جديداً يريد أنه سماها المسجد الحرام فقومي فاشرقي فانه قد دنا نورك واقر الله عينك انظري بعينك حولك فانهم مجتمعون يأتونك بنوك وبناتك عدوا فحينئذ تسرين وتزهدين ويخاف عدوك وليتسع قلبك وكل غنم قيدار تجمع اليك وسادات بناوت يخدمونك وبناوتهم اولاد بنت بن اسماعيل وقيدار جد النبي صلى الله عليه وسلم وهو اخو بنت ابن اسماعيل ثم قال ويفتح ابوابك الليل والنهار لا تغلق ويتخذونك قبلة وتدعين بعد ذلك مدينة الرب

(فصل الوجه السادس عشر) قوله ايضاً في مكة سري واهتزي ايتها العاقر التي لم تلد وانطلقي بالتسبيح وافرحي ولم تحبلي فان أهلك يكونون اكثر من أهلي يعني باهله بيت المقدس ويعني بالعاقر مكه لانها لم تلد قبل محمد النبي صلى الله عليه وسلم نبياً ولا يجوز ان يريد بالعاقر بيت المقدس لانه بيت الانبياء ومعدن الوحي وقد ولد انبياء كثيراً

(فصل الوجه السابع عشر) قول شعيا ايضاً لمكه شرفها الله اني اعطي البادية كرامة لبنان وبنيها الكترمال وهما الشام وبيت المقدس يريد اجعل الكرامة أني كانت هناك بالوحي فظهور الانبياء للبادية بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالحج ثم قال ويشق بالبادية مياه وسواق في الارض الفلاة ويكون بالفيافي والاماكن العطاش ينابيع ومياه ويصير هناك محجة وطريق الحرم لايمر به انجاس الامم والجاهل به لايفعل هناك ولايكون بها سباع ولا اسد ويكون هناك ممر المخلصين

(فصل الوجه الثامن عشر) قول شعيا ايضاً في كتابه عن الحرم ان الذئب والجمل فيه يرتعان معاً اشارة الى امنه الذي خصه الله به دون بقاع الارض ولذلك سماه البلد الامين وقال * او لم يروا انما جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم * وقال يعدد نعمه على أهله * لأيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب

Digitized by Google

هذا البيت الذى اطعمهم من جوع و آمنهم من خوف *

(فصل الوجه التاسع عشر) قول شعيا ايضاً معلناً باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني جعلت امرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الابد فهل بقى بعد ذلك لزايغ مقال او لطاعن مجال وقوله يا قدوس الرب معناه يا من طهره الرب وخلصه واصطفاه وقوله اسمك موجود من الابد مطابق لقول داود في مزمور له اسمك موجود قبل الشمس

(فصل الوجه العشرون) قول شعيا في ذكر الحجر الاسود قال الرب والسيد ها انذا مؤسس بصيهون حجراً في زاوية ركن منه فمن كان مؤمناً فلا يستعجلنا واجعل العدل مثل الشاقول والصدق مثل الميزان فيهلك الذين ولعوا بالكذب فصهيون هي مكة عند اهل الكتاب وهذا الحجر الاسود الذى يقبله الملوك فمن دونهم وهو مما اختص به محمد وامته

(فصل الوجه الحادى والعشرون) قول شعيا فى موضع آخر انه ستملأ البادية والمدن قصوراً الى قيدار ومن رؤس الجبال فيعدون هم الذين يجعلون لله الكرامة ويثبتون تسبيحه فى البر والبحر وقال ارفع علماً لجميع الامم منه بعيد فيصفر بهم من اقصى الارض فاذا هم سراع يأتون وبنوا قيدار هم العرب لان قيدار هو ابن اسماعيل باجماع الناس والعلم الذي يرفع هو النبوة والصفير بهم دعائهم من اقاص الارض الى الحج فاذا هم سراع يأتون وهذا مطابق لقوله عز وجل * واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق

(فصل الوجه الثاني والعشرون) قول شعيا في موضع آخر سأبعث من الصبا قوما يأتون من المشرق مجيبين افواجاً كالصعيد كثرة ومثل الطيان الذى يدوس برجله الطين والصبا يأتي من نحو مطلع الشمس بعث الله سبحانه من هناك قوما من اهل المشرق مجيبين بالتلبية كالتراب كثرة وقوله ومثل الطيان الذي يدوس برجله الطين اما ان يراد به الهرولة بالطواف والسعي واما ان يراد به رجال قدكلت ارجلهم من المشي

(فصل الوجه الثالث والعشرون) قول في كتاب شعيا ايضاً عبدي وخيرتي ورضا نفسى افيض عليه روحي او قال انزل عليه روحى فيظهر في الامم عدلى ويوصى الامم بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته يفتح عيون العمى العور ويسمع الاذن الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطى غيره لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى اللهو ولا يسمع في الاسواق صوته ركن للمتواضعين وهو نور الله الذى لا يطفى ولا يخصم حتى

Digitized by Google

يثبت في الارض حجتي وينقطع به المعذرة فمن وجد بهـذا الوصف غير محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فلو اجتمع اهل الارض لم يقدروا ان يذكروا نبياً جمع هذه الاوصاف كلها وهي باقية في امته الى يوم القيمة غيره لم يجدوا الى ذلك سبيلا فقوله عبدى مطابق لقوله في القرآن * وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا * وقوله * تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نزيراً * وقوله * وانه لما قام عبد الله يدعوه * وقوله * سبحان الذي اسرى بعبده ليلا * وقوله وخيرني ورضا نفسي مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم وقوله لا يضحك مطابق لوصفه الذى كان عليه صلى الله عليه وسلم قالت عائشه ما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى تبدوا لهواته انما كان يتبسم تبسماً وهذا لان كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل بخلاف التبسم فانه من حسن الخلق وكمال الادراك واما صفته صلى الله عليه وسلم في بعض الكتب المتقدمة بانه الضحوك القتال فالمراد به انه لايمنعه ضحكه وحسن خلقه عن القتل اذا كان جداً لله وحقاً له ولايمنعه ذلك عن تبسمه في موضعه فيعطى كل حال ما يليق بتلك الحال فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق وكثرته من الخفة والطيش والاعتدال بين ذلك وقوله انزل عليه روحي مطابق لقوله تعالى * وكذلك اوحينا اليك روحاً من أمرنا * وقوله * يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لااله الا أنا فاتقون * وقوله * يلقي الروح على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * فسمى الوحي روحاً لان حياة القلوب والارواح به كما ان حياة الابدان بالارواح وقوله فيظهر في الامم عدلى مطابق قوله تعالى * فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع اهوائهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم * وقوله عن أهل الكتاب * فان حاجوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط * وقوله يوصى الامم بالوصايا مطابق لقوله تعالى * شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه * وقوله في سورة الانعام * قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً * الى قوله * ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ثم قال * ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده * الى قوله ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * ثم قال * وان هـذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

Digitized by Google

فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون * ووصاياه صلى الله تعالى عليه وسلم في عهوده الى الأمة بتقوى الله وعبادته وحده لا شريك له والتمسك بما بعثه الله به من الهدي ودين الحق والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه * وقوله ولا تسمع صوته يعني ليس بصخاب لا له قور كمال من ليس له حلم ولا وقار * وقوله يفتح العيون العمي والآذان الصم والقلوب اشارة الى تكميل مراتب العلم والهدي الحاصل بدعوته في القلوب والأبصار والأسماع فبينوا بذلك أحوال الصم البكم العمى الذين لهم قلوب لا يعقلون بها فان الهدي يصل الى العبد من هذه الأبواب الثلاثة وهي مغلقة عن كل أحد لا تفتح إلا على أيدي الرسل ففتح الله بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الأعين العمى فأبصرت بالله والآذان الصم فسمعت عن الله والقلوب الغلف فعقلت عن الله فانقادت لطاعته عقلا وقولا وعملا وسلكت سبل مرضاته ذللا * وقوله وما أعطيه فلا أعطي غيره مطابق لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلي ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل لقد أعطي هذا النبي ما لم يعط نبي قبله ان عينيه ينامان وقلبه يقظان * فمن ذلك انه بعث الى الخلق عامة وختم به ديوان الأنبياء وأنزل عليه القرآن الذي لم ينزل من السماء كتاب يشبهه ولا يقاربه وأنزل على قلبه محفوظاً متلواً وضمن له حفظه الى أن يأتي الله بأمره وأوتي جوامع الكلم ونصر بالرعب في قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر وجعلت صفوف امته في الصلاة على مثال صفوف الملائكة في السماء وجعلت الارض له ولأمته مسجداً وطهوراً وأسري به الى أن جاوز السموات السبع ورأي ما لم يره بشر قبله ورفع على سائر النبيين وجعل سيد ولد آدم وانتشرت دعوته في مشارق الارض ومغاربها واتبعه على دينه اتباع أكثر من اتباع سائر النبيين من عهد نوح الى المسيح فأمته ثلثا أهل الجنة وخصه بالوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وبالمقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون وبالشفاعة العظمى التي يتأخر عنها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسي وأعز الله به الحق وأهله عزاً لم يعزه بأحد قبله وأذل به الباطل وحزبه ذلا لم يحصل بأحد قبله وآتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الالهية ما لم يؤته نبي قبله وجعلت الحسنة منه ومن أمته بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وصلى عليه هو وجميع ملائكته عليهم صلوات الله وسلامه وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما وقرن اسمه باسمه فاذا ذكر

Digitized by Google

الله ذكر معه كما في الخطبة والتشهد والأذان فلا يصح لأحد أذان ولا خطبة ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله ولم يجعل لاحد معه أمراً يطاع لا ممن قبله ولا ممن هو كائن بعده الى أن يطوى الدنيا ومن عليها وأغلق أبواب الجنة الا ممن سلك خلقه واقتدي به وجعل لواء الحمد بيده فآدم وجميع الانبياء تحت لوائه يوم القيامة وجعله أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها فلا يدخلها من الاولين والآخرين الا بعد شفاعته وأعطى من اليقين والايمان والصبر والثبات والقوة فى أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه والشكر له والتبوع في مرضاته وطاعته ظاهرا وباطنا سرا وعلانية فى نفسه وفى الخلق مالم يعطه نبي غيره ومن عرف أحوال العالم وما بين الانبياء وأممهم تبين له ان الامر فوق ذلك فاذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر انه يكون أبداً *قوله ولا يضعف ولا يغلب هكذا كان حاله صلوات الله وسلامه عليه ماضعف في ذات الله قط ولا في حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه واجتماع أهل الارض على حربه بل هو أقوى الخلق وأثبتهم جاشا وأشجعهم قلبا حتى انه يوم أحد قتل أصحابه وجرحوا وما ضعف ولا استكان بل خرج من الغد فى طلب عدوه على شدة الفرح حتي أرعب منه العدو وكر خاسئاً على كثرة عددهم وعددهم وضعف أصحابه وكذلك يوم حنين أفرد عن الناس في نفر يسير دون العشرة والعدو قد أحاطوا به وهم ألوف مؤلفة فجعل يثب في العدو ويقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

ويتقدم اليهم ثم أخذ قبضة من التراب فرمي بها وجوههم فولوا منهزمين ومن تأمل سيرته وحروبه علم أنه لم يطرق العالم أشجع منه ولا أثبت ولا أصبر وكان أصحابه مع انهم أشجع الامم اذا احمز البأس واشتد الحرب اتقوا به وتترسوا به فكان أقربهم الى العدو وأشجعهم هو الذي يكون قريبا منه * وقوله ولا يميل الى اللهو هكذا كانت سيرته كان أبعد الناس من اللهو واللعب بل أمره كله جد وحزم وعزم مجلسه مجلس حياء وكرم وعلم وإيمان ووقار وسكينة * وقوله ولا يسمع في الاسواق صوته أي ليس من الصاخبين في الاسواق فى طلب الدنيا والحرص عليها كحال أهلها الطالبين لها * وقوله ركن للمتواضعين فان من تأمل سيرته وجده أعظم الناس تواضعا للصغير والكبير والمسكين والارملة والحر والعبد يجلس معهم على التراب ويجيب دعوتهم ويسمع كلامهم وينطلق مع أحدهم فى حاجته ويخصف نعله ويخيط له ثوبه ويأخذ له حقه ممن لا يستطيع

Digitized by Google

أن يطالبه به * وقوله وهو نور الله الذي لايطفئ ولا يخمص حتى تثبت في الارض حجتي وينقطع به العذر هذا مطابق لحاله وأمره ولما شهد به القرآن في غير موضع كقوله تعالى * يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * وقوله * يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً * وقوله يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام * وقوله * يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا * وقوله * فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * ونظائره في القرآن كثيرة * وقوله حتى ينقطع به العذر وتثبت به الحجة مطابق لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * وقوله * والمرسلات عرفا الى قوله فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً * وقوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين * وقوله * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدي منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدي ورحمة * فالحجة انما قامت على الخلق بالرسل وبهم انقطعت المعذرة فلا يمكن من بلغته دعوتهم وخالفها ان يعتذر الى الله يوم القيامة إذ ليس له عذر يقبل منه

(فصل) وهذه البشارة مطابقة لما في صحيح البخاري انه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن * يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيراً * وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لاإله الا الله * وقوله إن هذا في التوراة لايريد به التوراة المعينة التي هي كتاب موسى فان لفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور يراد به الكتب المعينة تارة ويراد به الجنس تارة فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وبلفظ التوراة عن القرآن وبلفظ الانجيل عن القرآن أيضا وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان مابين أن تسرج دابته الى أن يركبها يقرأ القرآن فالمراد به قرآنه وهو الزبور وكذلك قوله في البشارة التي في التوراة نبياً أقيم لبني اسرائيل من إخوتهم أنزل

Digitized by Google

عليه توراة مثل توراة موسى وكذلك في صفة أمته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أناجيلهم في صدورهم فقوله أخبرني بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إما ان يريد به التوراة المعينة وليست المبدلة التي في ايدي اليهود أو جنس الكتب المتقدمة وعلى التقديرين فاجابة عبد الله بن عمرو بما هو في التوراة أي التي هي أعم من الكتاب المعين فان هذا الذي ذكره ليس في التوراة المعينة بل هو في كتاب شعيا كما حكيناه عنه وقد ترجوم أيضاً بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة عبدى ورسولى الذي سرت به نفسي انزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلى ويوصيهم بالوصايا لايضحك ولايسمع صوته في الاسواق يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما أعطيه لا أعطيه أحدا يحمد الله حمداً جديداً يأتي به من أقطار الارض وتفرح البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوي مشفح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفي أثر سلطانه على كتفيه * وقوله مشفح بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرم وهي لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنا ولفظا مقارباً كمطابقة مود مود بل أشد مطابقة ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانية فانها بين الحاء والهاء وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة ولايستريب عالم من علمائهم منصف انها مطابقة لاسم محمد قال أبو محمد ابن قتيبة مشفح محمد بغير شك واعتباره انهم يقولون شفحالاها اذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد شفحاً فشفح محمد بغير شك وقد قال لي ولغيري بعض من أسلم من علمائهم (ان مئد مئد هو محمد) وهو بكسر الميم والهمزة وبعضهم يفتح الميم ويدنيها من الضمة قال ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد وإن سكتنا عن إيراد ذلك واذا ضربنا عن هذا صفحاً فمن هذا الذي انطبقت عليه وعلى أمته هذه الصفات سواه ومن هذا الذي أثر سلطانه وهو خاتم النبوة على كتفيه رآه الناس عياناً مثل زر الحجلة فاذا بعد الحق الا الضلال وبعد البصيرة الا العمي ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور فصفات هذا النبي ومخرجه ومبعثه وعلاماته وصفات أمته في كتبهم يقرؤنها في كنايسهم ويدرسونها في مجالسهم لاينكرها منهم عالم ولا يأباها جاهل ولكنهم يقولون لم يظهر بعد وسيظهر ونتبعه قال ابن اسحاق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن

Digitized by Google

سلمة يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه نبي مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير ماجاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله عز وجل * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * وقال أبو العالية كان اليهود اذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآيات فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * وقال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه قالوا وكما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال اليهود وكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا ظلمنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله وعرفنا ماكانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات التي في البقرة ولقد جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

(فصل الوجه الرابع والعشرون) قوله في كتاب شعيا أشكر حبيبي وابن أحد فلهذا جاء ذكره في نبوة شعيا أكثر من غيرها من النبوات واعلن شعيا بذكره ووصفه ووصف أمته ونادى بها في نبوته سرا وجهرا لمعرفته بقدره ومنزلته عند الله وقال شعيا أيضا إنا سمعنا من أطراف الارض صوت محمد وهذا إفصاح منه باسمه صلى الله عليه وسلم فليرنا أهل الكتاب نبيا نصت الانبياء على اسمه وصفته ونعته وسيرته وصفة أمته وأحوالهم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل الوجه الخامس والعشرون) قول حبقوق في كتابه إن الله جاء من اليمن والقدوس من جبال فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده وشعاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزة تسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجنادة قام فمسح الارض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي فتزعزعت اسوار مدين ولقد حاز المساعي القديمة ثم قال زجرك في الانهار واحتدام صوتك في البحار

Digitized by Google

وكبت الخيول وعلوت مراكب الانقياء وستنزع في قسيك اعراقا وترتوي السهام بأمرك يا محمد إرتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت وانحرف عنك شؤبوب السيل وتحيرت المهاري رفعت أيديها وجلا وخوفا وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك تدوخ الارض وتدوس الأمم لأنك ظهرت لخلاص أمتك وإنقاذ تراث آبائك فمن رام صرف هذه البشارة عن محمد فقد رام ستر الشمس بالنهار وتغطية البحار وأني يقدر على ذلك وقد وصفه بصفات عينت شخصه وأزالت عن الحيران لبسه بل قد صرح باسمه مرتين حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين وأخبر بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تصلح إلا له ولا تنزل إلا عليه فمن حاول صرفها عنه فقد حاول صرف الانهار العظيمة عن مجراها وحبسها عن غايتها ومنتهاها وهيهات ماتروم المبطلون والجاحدون ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فمن الذي امتلأت الارض من حمده وحمد أمته لله في صلواتهم وخطبهم وادبار صلواتهم وعلى السراء والضراء وجميع الاحوال سواء حتى سماهم الله قبل ظهورهم الحامدين ومن الذي كان وجهه كأن الشمس والقمر تجريان فيه في ضيائه ونوره

لو لم يقل إني رسول أما * شاهده في وجهه ينطق

قد عود الطير عادات وثقن به * فهن يتبعنه في كل مرتحل

ومن الذي سارت المنايا أمامه وصحبت سباع الطير جنوده لعلمها بما يقرب من ذبح الكفار لله الواحد القهار

يتطايرون بقربه قربانهم * بدماء من علقوا من الكفار

ومن الذي تضعضعت له الجبال وانخفضت له الروابي وداس الامم ودوخ العالم وانتفعت بنبوته الممالك وخلص الأمة من الشرك والكفر والجهل والظلم سواه

(فصل الوجه السادس والعشرون) قوله في كتاب حزقيل يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وان الله مظهرهم عليكم وباعث فيهم نبياً وينزل عليه كتاباً ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين يوقعون بكم وتكون عاقبتكم الى النار فمن الذي أظهره الله على اليهود حتى قهرهم وأذلهم وأوقع بهم وأنزل عليه كتاباً ومن هم بنو قيدار غير بني اسماعيل الذين خرجوا معه وهم جماعات الشعوب ومن الذي نزلت عليه وعلى أمته الملائكة على خيل بيض يوم بدر ويوم الاحزاب ويوم

Digitized by Google

حنين حتى عاينوها عياناً تقاتل بين يديه وعن يمينه وعن شماله حتى غلب ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ليس معهم غير فرسين ألف رجل مقنعين في الحديد معدودين من فرسان العرب فأصبحوا بين قتيل وأسير ومنهزم

﴿ فصل الوجه السابع والعشرون ﴾ قول دانيال وذكره باسمه الصريح من غير تعريض ولا تلويح وقال سينزع فى قسيك اعراقاً وترتوى السهام بأمرك يامحمد إرتواء وقال دانيال النبي أيضاً حين سأله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم أنسيها رأيت أيها الملك صنما عظيما قائماً بين يديك رأسه من ذهب وساعداه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد ورجلاه من الخزف فبينا أنت متعجب منه إذ أقبلت صخرة فدقت ذلك الصنم فتفتت وتلاشا وعاد رفاتا ثم نسفته الرياح وذهب وتحول ذلك الحجر إنساناً عظيما ملأ الارض فهذا مارأيت ايها الملك فقال بخت نصر صدقت فما تأويلها قال أنت الرأس الذي رأيته من الذهب ويقوم بعدك ولدك وهو الذى رأيته من الفضة وهو دونك وتقوم بعده مملكة اخري هي دونه وهي تشبه النحاس وبعدها مملكة قوية مثل الحديد واما الرجلان اللذان رأيت من خزف فمملكة ضعيفة واما الحجر العظيم الذي رأيته دق الصنم ففتته فهو نبي يقيمه إله الارض والسماء بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الارض وامها حتى تمتلئ الارض منه ومن امته ويدوم سلطان ذلك النبي الى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك أيها الملك ومعلوم ان هذا منطبق على محمد بن عبد الله حذو القذة بالقذة لاعلى المسيح ولاعلى نبي سواه فهو الذي بعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الارض وأمها حتى امتلأت الارض من أمته وسلطانه دائم الى آخر الدهر لا يقدر أحد أن يزيله كما ازال سلطان اليهود من الارض وازال سلطان النصارى عن خيار الارض ووسطها فصار في بعض اطرافها وازال سلطان المجوس وعباد الاصنام وسلطان الصابئين

(فصل الوجه الثامن والعشرون) قول دانيال ايضاً سألت الله وتضرعت اليه أن يبين لى مايكون من بني اسرائيل وهل يتوب عليهم ويرد اليهم ملكهم ويبعث فيهم الانبياء أو يجعل ذلك في غيرهم فظهر لى الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال السلام عليك يادانيال إن الله يقول إن بنى اسرائيل اغضبونى وتمردوا على وعبدوا من دوني آلهة اخرى وصاروا من بعد العلم الى الجهل ومن بعد الصدق الى الكذب فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبي ذراريهم وهدم مسجدهم وحرق كتبهم وكذلك يفعل من بعده بهم وانا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثراتهم فلا يزالون في سخطي

Digitized by Google

حتى ابعث مسيحي ابن العذراء البتول فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى ابعث نبي بني اسماعيل الذى بشرت به هاجر وارسلت إليها ملاكي فبشرها فأوحى الى ذلك النبي واعلمه الاسماء وازينه بالتقوى واجعل البر شعاره والتقوى ضميره والصدق قوله والوفاء طبيعته والقصد سيرته والرشد سلته اخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض مافيها اسري به الى وأرقيه من سماء الى سماء حتي يعلو فادنيه واسلم عليه واوحى اليه وأرقيه ثم ارده الى عبادى بالسرور والغبطة حافظا لما استودع صادقا بما امر يدعوا الى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق رؤف بمن والاه رحيم بمن آمن به خشن على من عاداه فيدعوا قومه الى توحيدي وعبادتي ويخبرهم بمارأي من آياتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قضية رسول الله صلي الله عليه وسلم مما أملاه عليه الملك حتي وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصاري يقرؤنها ويقرون بها ويقولون لم يظهر صاحبها بعد قال ابو العالية فأنا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم واخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم وكان اهل الناحية إن اجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون فكتب ابو موسي الاشعري في ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به

(فصل الوجه التاسع والعشرون) قال كعب وذكر صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في التوراة ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة أحمد عبدي المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة يعفو ويغفر مولده بمكة ومهجرته طابا وملكه بالشام وأمته الحامدون يحمدون الله على كل نجد ويسبحونه في كل منزلة ويوضيؤن أطرافهم ويأتزرون على أنصافهم وهم رعاة الشمس ومؤذنهم في جو السماء وصفتهم في القتال وصفتهم في الصلاة سواء رهبان بالليل أسد بالنهار ولهم دوي كدوي النحل يصلون الصلاة حيث ماأدركتهم ولو على كناسة

(فصل الوجه الثلاثون) قال ابن أبي الزناد حدثني عبد الرحمن بن الحارث عن عمر بن حفص وكان من خيار الناس قال كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الاسلام فيها اسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تبار هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يتزرون على أوساطهم ويغسلون أطرافهم ويخوضون البحور الى أعدائهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ماهلكوا بالطوفان وفي ثمود ماهلكوا بالصيحة

Digitized by Google

(فصل الوجه الحادى والثلاثون) قال شعيا وذكر قصة العرب فقال ويدوسون الأمم دياس البيادر وينزل البلاء بمشركى العرب وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موتورة من شدة الملحمة وهذا إخبار عما حل بعبدة الأوثان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر ويوم حنين وفي غيرهما من الوقائع

(فصل الوجه الثاني والثلاثون) قوله في الانجيل الذى بأيدي النصاري عن يوحنا ان المسيح قال للحواريين من أبغضني فقد أبغض الرب ولولا إني صنعت لهم صنائع لم يصنعها أحد لم يكن لهم ذنب ولكن من الآن بطروا فلابد أن تتم الكلمة التي في الناموس لانهم أبغضوني مجانا فلو قد جاء المنجمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القسط فهو شهيد علىّ وأنتم أيضاً لانكم قديما كنتم معى هذا قولي لكم لكيلا تشكوا اذا جاء والمنجمنا بالسريانية وتفسيره بالرومية البارقليط وهو بالعبرانيـة الحماد والمحمود والحمد كما تقدم

(فصل الوجه الثالث والثلاثون) قوله في الانجيل أيضا إن المسيح قال لليهود وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لم نساعدهم على قتل الأنبياء فأتموا كيل آبائكم يا ثعابين بني الأفاعي كيف لكم النجاة من عذاب النار يؤيد ذلك ماورد في سورة يس فارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وذلك محقق انه بعد رفع المسيح وقد تقدم الكلام على معنى وسأبث اليكم أنبياء وعلماء تقتلون منهـم وتصلبون وتجلدون وتطلبونهم من مدينة الى أخري ليتكامل عليكم دماء المؤمنين المهرقة على الارض من دم هابيل الصالح الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه عند المذبح انه سيأتي جميع ماوصفت على هذه الامة ياأورشلم التي تقتل الانبياء وترجم من بعث اليك قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريجها تحت جناحها وكرهت أنت ذلك سأنفر عليكم بيتكم وأنا أقول لاترونى الآن حتي يأتى من يقولون له مبارك يأتي على إسم الله ● فاخبرهم المسيح انهم لابد أن يستوفوا الصاع الذى قدر لهم وانه سيقفر عليهم بيتهم أى يخليه منهم وانه يذهب عنهم فلا يرونه حتي يأتى المبارك الذي يأتي على إسم الله فهو الذى انتقم بعده لدماء المؤمنين وهذا نظير قوله في الموضع الآخر إن خيراً لكم أن أذهب عنكم حتى يأتيكم الفارقليط فانه لايجيء مالم أذهب وقوله أيضا ابن البشر ذاهب والفارقليط من بعده وفى موضع آخر أنا أذهب وسيأتيك البارقليط والبارقليط والمبارك الذي جاء بعد المسيح هو محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقريره

(فصل الوجه الرابـع والثلاثون) قوله في انجيل متى انه لما حبس يحيي بن زكريا

Digitized by Google

بعث تلاميذه الى المسيح وقال لهم قولوا له أنت أيلياء أم نتوقع غيرك فقال المسيح الحق اليقين أقول لكم انه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا وإن التوراة وكتب الأنبياء تتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى وأما الآن فان شئتم فاقبلوا فان أيل مزمع أن يأتي فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع وهذه بشارة بمجيء الله سبحانه الذى هو أيل بالعبرانية ومجيئه هو مجيء رسوله وكتابه ودينه كما في التوراة جاء الله من طور سينا قال بعض عباد الصليب انما بشر بالياس النبي وهذا لا ينكر من جهل أمة الضلال وعباد خشبة الصليب التي نحتتها أيدي اليهود فان الياس قد تقدم إرساله على المسيح بدهور متطاولة

(فصل الوجه الخامس والثلاثون) قوله في نبوة أرميا قبل أن أخلقك قد عظمتك من قبل أن أصورك فى البطن رأستك وجعلتك نبياً للأجناس كلهم فهذه بشارة على لسان أرميا لمن بعده وهو إما المسيح وإما محمد صلوات الله وسلامه عليهما لا يعدوهما الى غيرهما ومحمد أولى بها لان المسيح انما كان نبياً لبني اسرائيل وحده كما قال تعالى ورسولا الى بني اسرائيل والنصارى تقر بهذا ولم يدع المسيح انه رسول الى جميع أجناس أهل الارض فان الأنبياء من عهد موسى الى المسيح انما كانوا يبعثون الى قومهم بل عندهم في الانجيل ان المسيح قال للحواريين لا تسلكوا في سبيل الاجناس ولكن اختصروا على الغنم الرابضة من نسل اسرائيل واما محمد بن عبد الله فهو الذي بعثه الله الى جميع أجناس الارض وطوائف بني آدم وهذه البشارة مطابقة لقوله تعالى * قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً * ولقوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الأسود والأحمر وقوله صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وقد اعترف النصاري بهذه البشارة ولم ينكروها لكن قال بعض زعمائهم إنها بشارة بموسى بن عمران والياس واليسع وانهم سيأتون في آخر الزمان وهذا من أعظم البهت والجراءة على الله والافتراء عليه فانه لا يأتى من قد مات الى يوم الميقات المعلوم

(فصل الوجه السادس والثلاثون) قول المسيح في الانجيل الذى بأيديهم وقد ضرب مثل الدنيا فقال كمثل رجل إغترس كرماً وسيج حوله وجعل فيه معصرة وشيد فيه قصراً ووكل به أعواناً وتغرب عنه فلما دنا أوان قطافه بعث الى أعوانه الموكلين بالكرم ثم ضرب مثلا للأنبياء ولنفسه ثم للنبي الموكل آخرا بالكرم ثم أفصح عن أمته فقال وأقول لكم سيزاح عنكم ملك الله وتعطاه الأمة المطيعة العاملة ثم

Digitized by Google

ضرب لنبي هذه الأمة مثلا بصخرة وقال من سقط على هذه الصخرة سينكسر ومن سقطت عليه ينهشم وهذه صفة محمد ومن ناواه وحاربه من الناس لاتنطبق على أحد بعد المسيح سواه

(فصل الوجه السابع والثلاثون) قول شعيا في صحفه لتفرح أرض البادية العطشي وتبتهج البراري والفلوات لانها ستعطي بأحمد محاسن لبنان ومثل حسن الدساكير وتالله ما بعد هذا الا المكابرة وجحد الحق بعد ماتبين

(فصل الوجه الثامن والثلاثون) قول حزقيل في صحفه التي بأيديهم يقول الله عز وجل بعد ما ذكر معاصي بني اسرائيل وشبههم بكرمة غذاها وقال لم تلبث الكرمة ان قلعت بالسخطة ورما بها على الارض وأحرقت السمائم ثمارها فعند ذلك غرس في البدو وفي الارض المهملة العطشي وخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب وهذا تصريح لاتلويح به صلى الله عليه وسلم وببلده وهي مكة العطشى المهملة من النبوة قبله من عهد إسماعيل

(فصل الوجه التاسع والثلاثون) ما في صحف دانيال وقد بعث الكلدانيين والكلدانيين فقال لا تمتد دعوتهم ولا يتم قرباتهم وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل ولا يقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة وفي التوراة ما يشبه هذا وهذا التصريح بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم فان الذين اتبعوه بعد موته أضعاف أضعاف الذين اتبعوه في حياته وهذه دعوته قد مرت عليها القرون من السنين وهي باقية مستمرة وكذلك الى آخر الدهر ولم يقع هذا الملك قط فضلا عن كذاب مفتر على الله وأنبيائه مفسد للعالم مغير لدعوة الرسل ومن يظن هذا بالله فقد ظن به أسوأ الظن وقدح في علمه وقدرته وحكمته وقد جرت لي مناظرة بمصر مع اكبر من يشير اليه اليهود بالعلم والرياسة فقلت في اثناء الكلام اتم بتكذيبكم محمداً صلى الله عليه وسلم قد شتمتم الله اعظم شتيمة فعجب من ذلك وقال مثلك يقول هذا الكلام فقلت له اسمع الآن تقريره اذا قلتم ان محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي انه رسول الله أرسله الى الخلق كافة ويقول أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحي الى كذا ولم يكن من ذلك شيء ويقول انه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم ولم يكن من ذلك شيء وهو يدأب في تغيير دين الانبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم فلا يخلو إما أن تقولوا ان الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده

Digitized by Google

ويعلمه أو تقولوا انه خفي عنه ولم يعلم به فان قلتم لم يعلم به نسبتموه الى أقبح الجهل وكان من علم ذلك أعلم منه وان قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما ان يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك اولا فان لم يكن قادراً فقد نسبتموه الى اقبح العجز المنافي للربوبية وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلي كلمته ويجيب دعاءه ويمكنه من اعدائه ويظهر على يديه من انواع المعجزات والكرامات ماتزيد على الالف ولا يقصده احد بسوء إلا أظفره به ولا يدعوه بدعوة الا استجابها له فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لايليق نسبته الى آحاد العقلاء فضلا عن رب الارض والسماء فكيف وهو شهد له باقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد قلت فما لك لاتدخل في دينه قال انما بعث للأميين الذين لا كتاب لهم وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه قلت له غلبت كل الغلب فانه قد علم الخاص والعام انه أخبر انه رسول الله الى جميع الخلق وان من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب واذا صحت رسالته لزم تصديقه في كل ما أخبر به فأمسك ولم يحر جواباً وقريب من هذه المناظرة ماجرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب قال له المسلم في التوراة التي بأيديكم الى اليوم ان الله قال لموسى اني أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامي على فيه فمن عصاه انتقمت منه قال له اليهودي ذلك يوشع بن نون فقال المسلم هذا محال من وجوه • أحدها انه قال عندك في آخر التوراة انه قال لايقوم في بني اسرائيل نبي مثل موسى • الثاني انه قال من اخوتهم واخوة بني اسرائيل إما العرب وإما الروم فان العرب بنو اسماعيل والروم بنو العيص وهو لاء اخوة بني اسرائيل فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوي أيوب وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة فلم يبق الا العرب وهم بنو اسماعيل وهم اخوة بني اسرائيل وقد قال الله في التوراة حين ذكر اسماعيل جد العرب انه يضع فسطاطه في وسط بلاد اخوته وهم بنو اسرائيل وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذي نصب فسطاطه وملك أمته في وسط بلاد بني اسرائيل وهي الشام التي هي مظهر ملكه كما تقدم من قوله وملكه بالشام فقال له اليهودي فعندكم في القرآن والى مدين أخاهم شعيباً والى عاد أخاهم هوداً والى ثمود أخاهم صالحاً والعرب تقول ياأخا بني تميم للواحد منهم فهكذا قوله أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم قال المسلم الفرق

Digitized by Google

بين الموضعين ظاهر فانه من المحال أن يقال ان بني اسرائيل اخوة بني اسرائيل وبنو تميم اخوة بني تميم وبنو هاشم اخوة بني هاشم هذا مالا يعقل في لغة أمة من الأمم بخلاف قولك زيد أخو بني تميم وهود أخو عاد وصالح أخو ثمود أي واحد منهم فهو أخوهم في النسب ولو قيل عاد أخو عاد وثمود أخو ثمود ومدين أخو مدين لكان نقضاً وكان نظير قولك بنو اسرائيل أخوة بني اسرائيل فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح قال اليهودي فقد أخبر انه سيقيم هذا النبي لبني اسرائيل ومحمد انما أقيم للعرب ولم يقم لبني اسرائيل فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث اليهم لا إلى غيرهم قال المسلم هذا من دلائل صدقه فانه ادعى انه رسول الله الى أهل الأرض كتابيهم وأميهم ونص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا انه مرسل الى العرب والأميين خاصة والنبي صلى الله عليه وسلم خص بالذكر لحاجة المخاطب الى ذكره لئلا يتوهم السامع انه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد فكان في تعيين بني اسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم انه مبعوث الى العرب خاصة وقد قال تعالى * لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك * وهؤلاء قومه ولم ينف ذلك أن يكون نذيراً لغيرهم فلو أمكنك أن تذكر عنه انه ادعى انه رسول الى العرب خاصة لكان ذلك حجة فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى انه مرسل الى بني اسرائيل وغيرهم فلا حجة لك قال اليهودي ان أسلافنا من اليهود كلهم على انه ادعى ذلك ولكن العيسوية منا تزعم انه نبي العرب خاصة ولسنا نقول بقولهم ثم التفت الى يهودي معه فقال نحن قد جري شأننا على اليهودية وتالله ما أدري كيف أتخلص من هذا العربي إلا أنه أقل مايجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء

(فصل) وقال محمد بن سعد في الطبقات حدثنا معاوية بن صالح عن أبي فروة عن ابن عباس انه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نجده محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة ويكون ملكه بالشام ليس بفحاش ولا صخاب بالأسواق ولا يكافئ السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح * وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن أبي صالح قال قال كعب نجد مكتوباً محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر وأمته الحامدون يكبرون الله في كل نجد ويحمدونه في كل منزلة يأتزرون على انصافهم

Digitized by Google

ويتوضؤن على أطرافهم مناديهم ينادى في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام * قال الدارمي وأخبرنا زيد بن عوف حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ذكوان أبي صالح عن كعب قال في السطر الاول محمد رسول الله عبدي المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة ومهجرته بطيبة وملكه بالشام وفي السطر الثاني محمد رسول الله أمته الحامدون يحمدون الله في كل حال ومنزلة ويكبرونه على كل شرف وعلى الشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة يأتزرون على أوساطهم ويوضؤن اطرافهم وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل * وقال عاصم بن عمر بن قتادة عن نملة بن أبي نملة عن أبيه قال كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته واسمه ومهاجره فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا * وذكر أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث سليمان بن سحيم الحذري وربيح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال سمعت مالك بن سنان يقول جئت بني عبد الاشهل يوماً لاتحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة من الحرب فسمعت يوشع اليهودي يقول اظلكم خروج نبي يقال له احمد يخرج من الحرم فقال له خليفة بن ثعلبة الاشهلي كالمستهزئ به ما صفته فقال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يلبس الشملة ويركب الحمار وهذا البلد مهاجره قال فرجعت الى قومي بني خدرة وانا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلا منا يقول هذا وحده يقوله كل يهود يثرب تقول هذا قال أبي فخرجت حتى جئت بني قريظة فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقال الزبير بن باطا قد طلع الكوكب الاحمر لم يطلع الا بخروج نبي وظهوره ولم يبق أحد الا احمد هذه مهاجره قال ابو سعيد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبي هذا الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها انما هم لهم تبع وقال النضر بن سلمة حدثنا يحيى ابن ابراهيم عن صالح بن محمد عن أبيه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن مسلمة قال لم يكن في بني عبد الأشهل الا يهودي واحد يقال له يوشع فسمعته يقول واني لغلام قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ثم أشار بيده الى بيت الله الحرام فمن أدركه فليصدقه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسداً وبغياً * قال النضر وحدثنا عبد الجبار

ابن سعيد عن أبي بكر بن عبد الله العامري عن سلم بن يسار عن عمارة بن خزيمة ابن ثابت قال ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد من أبي عامر الراهب كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذه دار هجرته ثم خرج الى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ثم خرج الى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مهاجره يثرب فرجع أبو عامر وهو يقول أما على دين الحنيفية وأقام مترهبا ولبس المسوح وزعم انه على دين ابراهيم وانه ينتظر خروج النبي فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم يخرج اليه وأقام على ما كان عليه فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسده وبغى ونافق وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم بعثت قال بالحنيفية قال أنت تخلطها بغيرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتيت بها بيضاء أين ما كان يخبرك الاحبار من اليهود والنصاري من صفتي فقال لست الذي وصفوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبت فقال ما كذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاذب أماته الله وحيدا طريدا قال آمين ثم رجع الى مكة وكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا وقال الواقدي حدثني محمد بن سعد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد العزيز في جماعة كل حدثني بطائفة من الحديث عن المغيرة بن شعبة انه دخل على المقوقس وانه قال له ان محمداً نبي مرسل ولو أصاب القبط والروم اتبعوه قال المغيرة فأقمت بالاسكندرية لا ادع كنيسة الا دخلتها وسألت أساقفتها من قبطها وروميها عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكان أسقف من القبط وهو رأس كنيسة أبي محيس كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم لم أر أحداً قط يصلي الخمس أشد اجتهادا منه فقلت أخبرني هل بقي أحد من الانبياء قال نعم وهو آخرهم ليس بينه وبين عيسي أحد وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه وهو النبي الامي العربي اسمه احمد ليس بالطويل ولا بالقصير في عينيه حمرة وليس بالابيض ولا بالادم يغشى شعره ويلبس ما غلظ من الثياب ويجتزي بما لقي من الطعام سيفه على عاتقه ولا يبالي من لاقى يباشر القتال بنفسه ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم هم له أشد حبا من أولادهم وآبائهم يخرج من أرض القرظ ومن حرم يأتي والى حرم يهاجر الى أرض مسبخة ونخل يدين بدين ابراهيم يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ويخص بما لا يخص به الانبياء قبله وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث هذا الى الناس كافة وجعلت له الارض مسجدا وطهورا أينما أدركته الصلاة تيمم وصلي ومن

Digitized by Google

كان قبلهم مشدد عليهم لايصلون الا في الكنائس والبيع وقال الطبراني حدثنا علي ابن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد ابن زيد عن أبيه عن جده سعيد بن زيد ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا الى راهب بالموصل فقال لزيد من أين أقبلت قال من بيت ابراهيم قال وما تلتمس قال ألتمس الدين قال ارجع فانه يوشك أن يظهر الدين الذي تطالب في أرضك فرجع وهو يقول (لبيك حقاً حقاً * تعبداورقا) وقال ابن قتيبة في كتاب الاسلام حدثني يزيد بن عمرو حدثنا العلاء بن الفضل حدثني أبي عن أبيه عبد الملك ابن أبي سوية عن أبي سوية عن أبيه خليفة بن عبدة المنقري قال سألت محمد بن عدي كيف سماك أبوك عدي محمدا قال أما اني قد سألت أبي عما سألتني عنه فقال خرجت رابع أربعة من بني تميم وأنا أحدهم ومجاشع بن دارم ويزيد بن عمرو بن ربيعة واسامة بن مالك بن جندب الى يزيد بن جفنة الغساني فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقرية ديراني فأشرف علينا وقال ان هذه اللغة ماهي لاهل هذه البلد قلنا نعم نحن قوم من مضر قال من أي المضريين قلنا من خندف قال أما إنه سيبعث فيكم وشيكا نبي فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين واسمه محمد فلما انصرفنا من عند ابن أبي جفنة الغساني وصرنا الى أهلنا ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً * وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنيسة فاذا هو بيهود وإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا وفي ناحيتها رجل مريض فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالكم امسكتم قال المريض انهم اتوا على صفة نبي فأمسكوا ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذه صفتك وصفة امتك أشهد أن لا إله الا الله وأنك رسول الله ثم مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه خذوا أخاكم * وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر قال حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما قدم تبع المدينة ونزل بفناء بعث الى أحبار اليهود فقال اني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية ويرجع الامر إلي فقال له شموال اليهودي وهو يومئذ أعلمهم أيها الملك ان هذا بلد يكون اليه مهاجر نبي من بني اسماعيل مولده بمكة اسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك هذا الذي أنت به يكون به من القتلى

والجراح كثير في أصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما تزعمون قال يسير اليه قومه فيقتلون هاهنا قال فأين قبره قال بهذا البلد قال فاذا قوتل لمن تكون الدائرة قال تكون له مرة وعليه مرة وبهذا المكان الذي أنت به يكون غلبه ويقتل أصحابه قتلا لم يقتلوا في موطن ثم تكون له العاقبة ويظهر فلا ينازعه هذا الامر أحد قال وماصفته قال رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينيه حمرة يركب البعير ويلبس الشملة سيفه على عاتقه لايبالي من لاقى من أخ أوابن عم أوعم حتي يظهر أمره قال تبع مالي هذه البلدة من سبيل وما يكون خرابها على يدي فخرج تبع منصرفاً الى اليمن قال يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يهود يثرب يخبرونه وان تبع مات مسلماً * وقال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال كان الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود يقول إني وجدت سفراً كان أبي يكتمه على فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ صفته كذا وكذا فيحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث بعد فماهو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة فصمد الى ذلك السفر فمحاه وكتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وقال ليس به * قال محمد بن عمر وحدثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحبار يهود ولد أحمد الليلة هذا الكوكب قد طلع فلما تنبأ قالوا تنبأ أحمد قد طلع الكوكب كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه فما منعهم إلا الحسد والبغي * وقال محمد بن سعد أخبرنا على بن محمد عن أبي عبيدة بن عبد الله وعبد الله بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل كان فيكم من مولود هذه الليلة قالوا لا نعلمه قال انظروا يامعشر قريش واحصوا ماأقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة محمد وهو أحمد وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه فلما صاروا في منازلهم ذكروه لاهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً فأتوا اليهودي في منزله فقالوا علمت أنه ولد فينا غلام فقال أبعد خبري أم قبله فقالوا قبله وإسمه محمد قال فاذهبوا بنا اليه فخرجوا حتي أتوا أمه فأخرجته اليهم فرأي الشامة في ظهره فغشي على

Digitized by Google

اليهودي ثم أفاق فقالوا مالك ويلك فقال ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم فازت العرب بالنبوة أفرحتم يامعشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق الى المغرب * قال ابن سعد وأخبرنا على بن محمد بن على بن مجاهد عن محمد بن اسحق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس فقال أخرجوا الى أعلمكم فقالوا عبد الله بن صوريا فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوي وظللهم من الغمام أتعلم أني رسول الله قال اللهم نعم وان القوم ليعرفون ما أعرف وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكن حسدوك قال فما يمنعك أنت قال أكره خلاف قومي عسي أن يتبعوك ويسلموا فأسلم * وقال أبو الشيخ الاصبهاني حدثنا أبو يحيي الرازي حدثنا سهيل بن عثمان حدثنا على بن مسهر عن داود عن الشعبي قال قال عمر بن الخطاب كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة التوراة للقرآن وموافقة القرآن للتوراة فقالوا يا عمر ما أحد أحب الينا منك لانك تغشانا قلت إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك فقلت أنشدكم الله وما أنزل عليكم من الكتاب أتعلمون أنه رسول الله فقال سيدهم قد نشدكم الله فأخبروه فقالوا أنت سيدنا فأخبره فقال إنا نعلم أنه رسول الله قلت فأني أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه قالوا إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة عدونا جبريل وهو ملك الغظاظة والغلظة وسلمنا ميكائيل وهو ملك الرأفة واللين قلت فاني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل ولا لميكائيل أن يعادى سلم جبريل ولا أن يسالم عدوه ثم قمت فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أقرئك آيات نزلت على قلبي من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك الآية فقلت والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود قال عمر فلقد رأيتني أشد في دين الله من حجر * وذكر أبو نعيم من حديث عمرو بن عبسة قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها على الباطل يعبدون الحجارة وهي لا تضر ولا تنفع فرأيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه يأتي بأفضل الدين فاذا سمعت به فاتبعه فلم يكن لي هم الا مكة آتيها فاسأل هل حدث فيها خبر فيقولون لا فاني لقاعد إذ مر بي راكب فقلت من أين جئت قال من مكة قلت هل حدث حدث فيها قال نعم رجل رغب

Digitized by Google

عن آلهة قومه ودعا الى غيرها قلت صاحبي الذي أريد فشددت راحلتي وجئت فأسلمت * وقال عبد الغني بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل وعن الضحاك عن ابن عباس أن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم العاقب والسيد فأنزل الله عز وجل (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) الآية فقالوا أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا الى بني قريظة والنضير وبني قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وهو النبي الذي نجده في التوراة والانجيل فصالحوه على ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب ودراهم * وقال يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن يونس بن أبي سلم عن عكرمة أن ناساً من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به فذلك قوله تعالى (وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وقال ابن سعد حدثنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن موسى بن يعقوب الزامي عن سهل مولى عثمة أنه كان نصرانياً وكان يتيما في حجر عمه وكان يقرأ الانجيل قال فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة أنكرت كتابتها فاذا هي ملصقة ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أنه لا قصير ولا طويل أبيض بين كتفيه خاتم النبوة يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرقوعاً وهو من ذرية اسماعيل اسمه أحمد قال فجاء عمي فرأى الورقة فضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة فقلت فيها نعت النبي أحمد فقال انه لم يأت بعد * وقال وهب أوحى الله الى شعيا أني مبتعث نبياً أفتح به آذاناً صما وقلوباً غلفاً أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والوفاء والصدق طبيعته والعفو والمغفرة والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى أمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وأكثر به بعد القلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم مختلفة واجعل أمته خير أمة وهم رعاة الشمس طوبى لتلك القلوب * وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عثمان بن عبد الرحمن أن رجلا من أهل الشام من النصارى قدم مكة فأتى على نسوة قد اجتمعن في يوم عيد من أعيادهم وقد غاب أزواجهن في بعض أمورهم فقال يانساء تيماء انه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد أيتما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً فلتفعل فحفظت خديجة حديثه * وقال عبد المنعم بن

Digitized by Google

ادريس عن أبيه عن وهب قال في قصة داود ومما أوحى الله اليه في الزبور ياداود انه سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمد صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبدا ولا يغضبني أبداً قد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا الى كل صلاة كما افترضت على الانبياء قبلهم وأمرتهم بالحج كما أمرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد كما امرت الرسل قبلهم ياداود انى فضلت محمداً وامته على الامم كلها اعطيتهم ست خصال لم اعطها غيرهم من الامم لا أواخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب ركبوه على غير عمد اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة ولهم فى المدخور عندي أضعافاً مضاعفة وأفضل من ذلك وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا واسترجعوا الصلاة والرحمة والهدي فان دعوني استجبت لهم ياداود من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله الا أنا وحدى لاشريك لى صادقا بها فهو معي في جنتي وكرامتى ومن لقيني وقد كذب محمداً وكذب بما جاء به واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صباً وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره في قبره ثم ادخله في الدرك الاسفل من النار * وقال عفان حدثنا همام عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن مطرف بن مالك انه قد شهدت فتح تستر مع الاشعري فأصبنا قبر دانيال بالسوس وكانوا اذا استسقوا خرجوا فاستسقوا به فوجدوا معه ربعة فطلبها نصراني من الحيرة يسمى نعيم فقرأها وفي أسفلها (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فأسلم منهم يومئذ اثنان وأربعون حبراً وذلك في خلافة معاوية فأتحفهم معاوية وأعطاهم * قال همام فأخبرني بسطام بن مسلم أن معاوية بن قرة قال تذاكرنا الكتاب الى من صار فرعلينا شهر بن حوشب فدعوناه فقال على الخبير سقطتم ان الكتاب كان عند كعب فلما احتضر قال ألا رجل أئتمنه على أمانة يؤديها قال شهر فقال ابن عم لي يكني أبا البيد أنا فدفع اليه الكتاب فقال اذا بلغت موضع كذا فاركب قرقوراً ثم اقذق به في البحر ففعل فانفرج الماء فقذفه فيه ورجع الى كعب فأخبره فقال صدقت انه من التوراة التي أنزلها الله عز وجل

(فصل) ومن ذلك أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي ونحن نذكر بعضها * قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال كان أمية قد نظر في الكتب

Digitized by Google

وقرأها ولبس المسوح تعبداً وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر والاوثان والتمس الدين وطمع في النبوة لانه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قيل له هذا الذي كنت تبشر به وتقول فيه فحسده عدو الله وقال أنا كنت أرجو ان أكونه فانزل الله عز وجل فيه (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) وهو الذي يقول

كل دين يوم القيامة عند الـــله الادين الحنيفة زور

قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال كان أمية بن أبي الصلت يلتمس الدين ويطمع في النبوة فخرج الى الشأم فمر بكنيسة وكان معه جماعة من العرب من قريش وغيرهم فقال أمية ان لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني فدخل الكنيسة ثم خرج اليهم كاسفاً متغيراً فرمى بنفسه فاقاموا عليه حتى سري عنه ثم مضوا فقضوا حوائجهم ثم رجعوا فلما صاروا الى الكنيسة قال لهم انتظروني ودخل الكنيسة فأبطأ ثم خرج أسوأ من حاله الأول فقال له أبو سفيان بن حرب قد شققت على رفقتك فقال خلوني فاني أرتاد لنفسي وأنظر لمعادي ان ههنا راهباً عالماً أخبرني أنه سيكون بعد عيسي ست رجفات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة فخرجت وأنا أطمع أن أكون نبياً وأخاف أن تخطئني فأصابني ما رأيت فلما رجعت أتيته فقال قد كانت الرجفة وقد بعث نبي من العرب فأيست من النبوة فأصابني ما رأيت إذ فاتني ما كنت أطمع فيه * قال وقال الزهري خرج أمية في سفر فنزلوا منزلا فأم أمية وجها وصعد في كثيب فرفعت له كنيسة فانتهى اليها فاذا شيخ جالس فقال لامية حين رآه انك لمتبوع فمن أين يأتيك رفيك قال من شـق الايسر قال فأي الثياب أحب اليه أن تلقاه فيها قال السواد قال كدت تكون نبي العرب ولست به هذا خاطر من الجن وليس بملك وان نبي العرب صاحب هذا الامر يأتيه الملك من شقه الايمن وأحب الثياب اليه أن يلقاه فيها البياض قال الزهري وأتي أمية أبا بكر فقال له يا أبا بكر عمي الخبر فهل أحسست شيئاً قال لا والله قال قد وجدته يخرج في هذا العام * وقال عمر بن شبة سمعت خالد بن يزيد يقول إن أمية وأبا سـفيان بن حرب اصطحبا في تجارة الى الشام فذكر نحو الحديث الاول وزاد فيه فخرج من عند الراهب وهو يعتل فقال له أبو سفيان إن بك لشراً فما قصتك قال خـير أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سنه فذكر سنا قال اخـبرني عن ماله فذكر مالا فقال له وضعته قال أبو سفيان بل رفعته فقال ان صاحب هـذا الامر ليس بشيخ ولا ذي مال قال

Digitized by Google

وكان الراهب أيأسه وأخبره ان الأمر لرجل من قريش * قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني رجل من أهل الكوفة قال كان أمية نائما فجاءه طائران فوقع أحدهما على باب البيت ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائر فقال له الطائر الآخر اوعى قال نعم قال أزكى قال أبي * وقال الزهري دخل يوماً أمية بن أبي الصلت على أخيه وقال تهيأ إدماثها فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت واذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه فقال الطائر الآخر للذي على صدره أوعي قال وعي قال أقبل قال أبي قال فرد قلبه في موضعه ثم مضي فاتبعهما أمية طرفه وقال * لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما * لابرئ فاعتذر ولاذو عشيرة فانتصر فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه حتى أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الاعلى للواقع اوعي قال وعي قال اقبل قال ابي ونهض فاتبعهما امية بصره فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما لامال لى يغنيني ولاعشيرة تحميني فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ثم أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الاعلى اوعى قال وعى قال اقبل قال ابي ونهض فاتبعه امية بصره فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما محفوف بالنعم محوط بالذنب قال فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه وأخرج قلبه فشقه فقال الاعلى أوعي قال وعى قال أقبل قال أبي قال ونهض فاتبعهما طرفه فقال لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما

إن تغفر اللهم تغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره فقلت ياأخي هل تجد شيأ قال لاولكني أجد حرا في صدري ثم أنشأ يقول

ليتني كنت قبل ماقد بدالى * في قلال الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينيك واحذر * غولة الدهر إن للدهر غولا

* وقال مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان بن حرب عن ابيه قال خرجت أنا وامية بن ابي الصلت تجاراً الى الشام فكان كلما نزلنا منزلا اخرج منه سفرا يقرؤه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قري النصاري فراوه فعرفوه واهدوا له وذهبوا ومضى معهم الي بيعتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح نفسه واستخرج ثوبين اسودين فلبسهما ثم قال يا ابا سفيان هل لك في عالم من علماء النصاري اليه تناهى علم الكتب تسأله عما بدالك قلت لافمضي هو وحده وجاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فو الله مانام ولا قام حتي اصبح واصبح كئيبا حزينا مايكلمنا ولا نكلمه فسرنا ليلتين على مابه من الهم فقلت له مارأيت مثل الذى رجعت به من

عند صاحبك قال لمنقابي قلت وهل لك من منقاب قال أي والله لاموتن ولا حاسبن قلت فهل انت قابل امانى قال على ماذا قلت على انك لاتبعث ولا تحاسب فضحك وقال بلى والله لتبعثن ولتحاسبن ولتدخلن فريق فى الجنة وفريق في السعير قلت فيأيهما أنت أأخبرك صاحبك قال لاعلم لصاحبي بذلك فيّ ولا في نفسه فكنا في ذلك ليلتنا يعجب منا ونضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين ثم ارتحلنا حتي نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤه وأهدوا له وذهب معهم الى بيعتهم ثم جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه الأسودين وذهب حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمي بنفسه على فراشه فوالله مانام ولا قام حتي أصبح مبثوثا حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه فرحلنا فسرنا ليالي ثم قال ياصخر حدثني عن عتبة ابن ربيعة اجتنب المحارم والمظالم قلت أي والله قال أو يصل الرحم ويأمر بصلتها قلت نعم قال فكريم الطرفين وسط فى العشيرة قلت نعم قال فهل تعلم فى قريش أشرف منه قلت لاوالله قال أمحوج هو قلت لابل هو ذو مال كثير قال كم أتى له من السنين قلت هو ابن سبعين سنة أو قد قاربها قال فالسن والشرف أزريا به قلت والله بل زاده خيراً قال هو ذاك ثم ان الذي رأيت لي إني جئت هذا العالم فسألته عن هذا الذى ينتظر فقال هو رجل من العرب من أهل بيت تحجه العرب فقلت فأى بيت تحجه العرب قال هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش فأصابني شئ ماأصابني مثله إذ خرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو فقلت فصفه لي فقال رجل شاب حي دخل فى الكهولة بدؤ أمره أنه يجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو كريم الطرفين متوسط فى العشيرة أكثر جنده من الملائكة قلت وما آية ذلك قال رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم رجفات كلها فيها مصيبة وبقيت رجفة عامة فيها مصيبة يخرج على أثرها فقلت هذا هو الباطل لئن بعث الله رسولا لايأخذه إلا مسنا شريفا قال أمية والذي يحلف به انه لهكذا فخرجنا حتي اذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكبا من خلفنا فاذا هو يقول أصابت الشام رجفة دثر أهلها فيها فأصابتهم مصائب عظيمة فقال أمية كيف ترى ياأبا سفيان فقلت والله ماأظن صاحبك إلا صادقا وقدمنا مكة ثم انطلقت حتي أتيت أرض الحبشة تاجرا فكنت فيها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فجاءني الناس يسلمون عليّ وفي آخرهم محمد وهند تلاعب صبيانها فسلم عليّ ورحب بي وسألني عن سفري ومقدمي ثم انطلق بي فقلت والله ان هذا الفتي لعجب ماجاءني من قريش أحد له معي بضاعة إلا سألني عنها وما بلغت

Digitized by Google

والله انزله معي لبضاعة وماهو بأغناهم عنها فقالت أو ماعلمت بشأنه فقلت وفزعت وما شأنه قالت يزعم أنه رسول الله فذكرت قول النصراني فوجمت ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية فقلت هل تذكر حديث النصراني قال نعم فقلت قد كان قال ومن قلت محمد بن عبد الله فتصبب عرقاً فقلت قد كان من أمر الرجل ما كان فأين أنت منه فقال والله لاأوتي بيتي من غير ثقيف أبداً فهذا حديث أبي سفيان عن أمية وذلك حديثه عن هرقل وهو في صحيح البخاري وكلاهما من أعلام النبوة المأخوذة عن علماء أهل الكتاب * وذكر الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمن بن عوف وهو ثقة أخبرنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب حطوا عن رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى اذا جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ماعلمك فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدون إلا لنبي واني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو في رعية الابل قال أرسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه قال فبينا هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه واذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم وقال ماجاء بكم قالوا بلغنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا قد أخبرنا خبره بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم قالوا إنا قد أخبرنا خبره بطريقك هذا قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه فهل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه وأقاموا معه قال أنشدكم الله أيكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشدهم حتى رده * وقد روى محمد بن سعد هذه القصة مطولة * قال ابن سعد حدثنا محمد بن عمر بن واقد حدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر الزهري قال محمد بن عمر وحدثنا ابن أبي حبيبة عن داود ابن الحصين قال لما خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الاولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة فلما نزل الركب بصري من الشام وبها راهب

يقال له بحيرا في صومعة له وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه فلما نزلوا على بحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به ولا يكلمهم حتى اذا كان ذلك العام ونزلوا منزلا قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم وانما حمله على دعائهم انه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله صلى الله عليه وسلم من دونهم حتى نزلوا تحت الشجرة ثم نظر الى تلك الغمامة اظلت تلك الشجرة فأخضلت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما راى بحيرا ذلك نزل من صومعته وامر بذلك الطعام فأتى به وارسل اليهم وقال إني قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش وانا احب ان تحضروه كلكم ولا تخلفو احداً منكم كبيراً ولا صغيراً حراً ولا عبداً فان هذا شيء تكرمونى به فقال رجل إن لك لشأناً يابحيرا ما كنت تصنع هذا من قبل فما شأنك اليوم قال إنى احب ان اكرمكم ولكم حق فاجتمع القوم اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحالهم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا الى القوم فلم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده وجعل ينظر فلا يري الغمامة على أحد من القوم ويراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بحيرا يامعشر قريش لا يتخلفن منكم احد عن طعامي قالوا ما تخلف احد الا غلام هو احدث القوم سناً في رحالهم فقال ادعوه ليحضر طعامى فما اقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع إني اراه من انفسكم فقال القوم هو والله اوسطنا نسباً وهو ابن اخ هذا الرجل يعنون ابا طالب وهو من ولد عبد المطلب فقال الحارث بن عبد المطلب والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه واقبل به حتى اجلسه اعلى القوم على الطعام والغمامة تسير على رأسه وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده في صفته فلما تفرقوا عن الطعام قام اليه الراهب فقال ياغلام أسئلك بحق اللات والعزي الا ما أخبرتني عما أسئلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسألني باللات والعزى فوالله ماابغضت شيئاً بغضهما قال فبالله الا اخبرتني عما اسئلك عنه قال سلنى عما بدالك فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فوافق ذلك ماعنده ثم جعل ينظر بين عينيه ثم كشف عن ظهره فرأي خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم وقالت قريش إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرا وجعل ابوطالب لما يري من الراهب يخاف على ابن اخيه فقال الراهب لابي طالب ماهذا الغلام منك قال هو ابنى قال ما ينبغي لهذا

Digitized by Google

الغلام أن يكون أبوه حياً قال فابن أخي قال فما فعل ابوه قال هلك وامه حبلى به قال فما فعلت امه قال توفيت قريبا قال صدقت ارجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن عرفوا منه ما اعرف ليبغنه عنتا فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم نجده في كتابنا واعلم أني قد اديت اليك النصيحة فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعا وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا الى بحيرا فذكروا امره فنهاهم أشد النهي وقال لهم أتجدون صفته قالوا نعم قال فما لكم اليه سبيل فصدقوه وتركوه ورجع أبوطالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفا عليه

*وذكر الحاكم والبيهقي وغيرهما من حديث عبدالله بن ادريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة عن هشام بن العاص قال ذهبت أنا ورجل آخر من قريش الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فخرجنا حتى قدمنا غوطة دمشق فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني فدخلنا عليه فاذا هو على سرير له فأرسل الينا رسول نكلمه فقلنا لا والله لا نكلم رسولا إنا بعثنا الى الملك فان أذن لنا كلمناه والا لم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فأخبره بذلك قال فأذن لنا فقال تكلموا فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام واذا عليه ثياب سوداء فقال له هشام ما هذه التي عليك فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام قلنا ومجلسك هذا فوالله لنأخذنه منك ولنأخذن ملك الملك الأعظم أخبرنا بذلك نبينا فقال لستم بهم بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل فكيف صومكم فأخبرناه فملأ وجهه سواداً فقال قوموا وبعث معنا رسولا الى الملك فخرجنا حتى اذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك فخرجنا حتى اذا قربنا من المدينة قال ان شئتم حملناكم على براذين وبغال قلنا والله لا ندخل الا عليها فارسلوا الى الملك انهم يأبون فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا حتى انتهينا الى غرفة له فاتحنا في أصلها وهو ينظر الينا فقلنا لا إله إلا الله والله أكبر والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح فارسل الينا ليس لكم ان تجهروا علينا بدينكم وأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقته من الروم وكل شيء في مجلسه احمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة فدنونا منه فضحك وقال ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم واذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام فقلنا ان تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا ان نحييك بها قال كيف تحيتكم فيما بينكم فقلنا السلام عليكم قال كيف تحيون ملككم قلنا بها قال كيف يرد عليكم قلنا بها قال فما أعظم كلامكم قلنا لا إله إلا الله والله أكبر فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد انتفضت

Digitized by Google

الغرفة حتى رفع رأسه اليها قال فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة كما قلتموها في بيوتكم تنتفض عليكم بيوتكم قلنا ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك قال وددت أنكم كما قلتموها ينتفض كل شيء عليكم واني خرجت من نصف ملكي قلنا لم قال لانه يكون ايسر لشأنها واحري ان لا يكون من امر النبوة وان تكون من حيل الناس ثم سألنا عما اراد فاخبرناه ثم قال كيف صلاتكم وصومكم فاخبرناه فقال قوموا فقمنا فأمرلنا بمنزل حسن ونزل كثير فأقمنا ثلاثاً فأرسل الينا ليلا فدخلنا عليه فاستعاد قولنا فأعدناه ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتاً وقفلا واستخرج منه حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الا ليتين لم أر مثل طول عنقه واذا ليست له لحية واذا له ضفيرتان أحسن ماخلق الله قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام واذا هو أكثر الناس شعراً ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضاء واذا له شعر قطط أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية قال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء واذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد أبيض اللحية كأنه يتبسم فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة فاذا صورة بيضاء واذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا قال والله يعلم انه قام قائما ثم جلس فقال والله انه لهو قلنا نعم انه لهو كأنما ننظر اليه فأمسك ساعة ينظر اليها ثم قال أما انه كان آخر البيوت ولكن عجلته لكم لأنظر ماعندكم ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فاذا فيها صورة أدماء سحماء واذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس مترا كب الاسنان مقلص الشفة كأنه غضبان فقال هل تعرفون من هذا قلنا لا قال هذا موسى بن عمران والى جنبه صورة تشبهه الا انه مدهان الرأس عريض الجبين في عينيه قبلة فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا هرون ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كانه غضبان فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا لوط ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل ابيض حسن الوجه أقني الانف حسن القامة يعلو وجهه نور يعرف في وجهه الخشوع يضرب الى الحمرة فقال هل تعرفون من هذا قلنا لا قال هذا اسمعيل جد نبيكم ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كانها صورة آدم كان وجهه الشمس فقال هل تعرفون هذا قلنا

Digitized by Google

لاقال هذا يوسف ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل احمر أحمش الساقين اخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفا فقال هل تعرفون هـذا قلنا لا قال هذا داود ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها رجل ضخم الاليتين طويل الرجلين راكب فرسا فقال هل تعرفون هـذا قلنا لا قال هـذا سليمان بن داود ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء واذا رجل شاب شديد سواد اللحية لين الشعر حسن الوجه حسن العينين فقال هل تعرفون هذا قلنا لا قال هذا عيسى قلنا من اين لك هذه الصور لانا نعلم انها على ما صورت عليـه الانبياء لانا رأينا صورة نبينا مثله قال ان آدم سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فانزل عليه صورهم وكانوا في خزانة آدم عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين فصارت الى دانيال ثم قال أما والله ان نفسي طابت بالخروج من ملكي واني كنت عبدا كأسرائكم ملكه حتى أموت ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرحنا فلما أتينا أبا بكر الصديق فأخبرناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا فبكى أبو بكر وقال لو أراد الله به خيراً لفعل

(فصـل) فهذه في الاخبار بنبوته مما تلقاه المسلمون من أفواه علماء أهـل الكتاب والمؤمنين منهم والاول مما نقلوه من كتبهم وعلمائهم يقرون أنه في كتبهم فالدليل بالوجه الأول يقام عليهم بشهادة من لايتهم عليهم لانه اما من عظمائهم واما ممن رغب عن رياسته وماله ووجاهته فيهم وآثر الايمان على الكفر والهدي على الضلال وهو في هذا مدع ان علماءهم يعرفون ذلك ويقرون به ولكن لايطلعون جهالهم عليه

﴿ فصل ﴾ فالاخبار والبشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة عرف من عدة طرق * أحدها ما ذكرناه وهو قليـل من كثير وغيض من فيض * الثاني إخبا ء صلى الله عليه وسلم لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وعدوا به وان الانبياء بشرت به واحتجاجه عليهم بذلك ولو كان هـذا لاوجود له البتة لكان مغريا لهم بتكذيبه منفرا لاتباعه محتجا على دعواه بما يشهد ببطلانها * الثالث أن هاتين الامتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن يخرج في آخر الزمان نعته كيت وكيت وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصاري فاما المسلمون فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم وأما اليهود فلما رأوهم عرفوه وتيقنوا انه محمد بن عبد الله فمنهم من آمن به ومنهم من جحد بنبوته وقال للاتباع انه لم يخرج بعد وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح ولاريب ان بعضها صريح فيه وبعضها ممتنع حمله عليـه وبعضها محتمل وأما بشارات المسيح

Digitized by Google

فحملوها كلها على الحواريين واذا جاءهم مايستحيل إنطباقه عليهم حرفوه أوسكتوا عنه وقالوا لاندري من المراد به * الرابع اعتراف من أسلم منهم بذلك وانه صريح في كتبهم وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وانما يغالطون في تأويلها والمراد أن كل واحد من هذه الطرق الاربعة كاف فى العلم بصحة هذه البشارات وقد قدمنا أن إقدامه صلى الله عليه وسلم على إخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتبهم بنعته وصفته وانهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكراره ذلك عليهم مرة بعد مرة في كل مجمع وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين أحدهما قيام الدليل القطعي على صدقه الثاني دعوته لهم بذلك الى تصديقه ولو لم يكن له وجود لكان ذلك من أعظم دواعي تكذيبه والتنفير عنه

﴿ فصل ﴾ وهذه الطرق يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والانجيل ولم يبدلوا شيئاً منها فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض الى التبديل والتحريف وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيراً من ألفاظ الكتابين مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير وان البشارات لكثرتها لم يمكنهم إخفاؤها كلها وتبديلها ففضحهم ماعجزوا عن كتمانه أو تبديله وكيف ينكر من الأمة الغضبية قتلة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم ونعته والبشارة به موجود في كتبهم ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته وانكار بشارة الأنبياء به ولم يفعل بهم ما فعله بهم محمد صلى الله عليه وسلم من القتل والسبي وغنيمة الأموال وتخريب الديار واجلائهم منها فكيف لا تتواصى هذه الامة بكتمان نعته وصفته وتبدله من كتبها وقد عاب الله سبحانه عليهم ذلك في غير موضع من كتابه ولعنهم عليه ومن العجب أنهم والنصارى يقرون أن التوراة كانت طول مملكة بني اسرائيل عند الكاهن الاكبر الهاروني وحده واليهود تقر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم

Digitized by Google

ومنهم من يقول على زمن بختنصر حيث ألزمهم بكتابة التوراة لطائفة من جماعته حين أسكنهم بيت المقدس وعلى تقدير الروايتين فمن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره واليهود تقر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهراً وزادوا ونقصوا والسامرة تدعى ذلك عليهم وأما الانجيل فقد تقدم ان الذي بأيدي النصارى منه أربع كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال يوحنا ومتى ومرقس ولوقا فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف اليها وعلى مافيها من ذلك فقد صرفهم الله عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بمحمد بن عبد الله وازالته وان قدروا على كتمانه عن اتباعهم وجهالهم وفي التوراة التي بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته الى الانبياء مالا يشك فيه ذو بصيرة والتوارة التي أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك ففيها عن لوط رسول الله انه خرج من المدينة وسكن في كهف الجبل ومعه إبناه فقالت الصغرى للكبرى قد شاخ أبونا فارقدي بنا معه لنأخذ منه نسلا فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى ثم فعلتا ذلك في الليلة الثانية وحملتا منه بولدين مواب وعمون فهل يحسن أن يكون نبي رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه في مثل هذه الفاحشة العظيمة في آخر عمره ثم يذيعها عنه ويحكيها للائم وفيها ان الله تجلى لموسى في طور سيناء وقال له بعد كلام كثير أدخل يدك في حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج وهذا من النمط الاول والله سبحانه لم يتجل لموسى وإنما أمره أن يدخل يده في جيبه وأخبره أنها تخرج بيضاء من غير سوء أي من غير برص وفيها أن هرون هو الذي صاغ لهم العجل وهذا ان لم يكن من زياداتهم وافترائهم فهرون اسم السامري الذى صاغه ليس هو هرون أخي موسى وفيها ان الله قال لابراهيم اذبح إبنك بكرك اسحق وهذا من بهتهم وزيادتهم في كلام الله فقد جمعوا بين النقيضين فان بكره هو اسمعيل فانه بكر أولاده واسحق انما بشر به على الكبر بعد قصة الذبح وفيها ورأى الله ان قد كثر فساد الآدميين في الارض فندم على خلقهم وقال سأذهب الآدمي الذي خلقت على الارض والخشاش وطيور السماء لاني نادم على خلقتها جداً تعالى الله عن إفك المفترين وعما يقول الظالمون علواً كبيرا وفيها أن الله سبحانه وتعالى تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الارض وفيها ان يهودا بن يعقوب النبي زوج ولده الاكبر من امرأة يقال لها تامار فكان يأتيها مستدبراً فغضب الله من فعله فأماته فزوج يهودا ولده الآخر بها فكان اذا دخل بها أمني على الأرض علماً بانه إن أولدها كان أول الاولاد يدعي باسم أخيه ومنسوباً الى أخيه فكره الله ذلك من فعله فأماته فأمرها

Digitized by Google

يهودا بالالحاق ببيت أبيها الى أن يكبر شيلا ولده ويتم عقلهثم ماتت زوجة يهودا وذهب الى منزله ليجز غنمه فلما أخبرت تامار لبست زي الزواني وجلست على طريقه فلما مر بها خالها زانية فراودها فطالبته بالأجرة فوعدها بجدى ورمي عندها عصاه وخاتمه فدخل بها فعلقت منه بولد ومن هذا الولد كان داود النبي فقد جعلوه ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك الى التوراة وكما جعلوا ولدى لوط ولدي زنا ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم الى ذينك الولدين وأما فريتهم على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم فكثير جداً كقولهم ان الله استراح في اليوم السابع من خلق السموات والارض فأنزل الله على رسوله تكذيبهم بقوله (وما مسنا من لغوب) وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وقولهم ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وقولهم لن تمسنا النار الا أياماً معدودة وقولهم ان الله تعالى بكي على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة وقولهم الذي حكيناه آنفاً ان الله ندم على خلق بني آدم وأدخلوا هذه الفرية في التوراة وقولهم عن لوط انه وطئ ابنتيه وأولدهما ولدين نسبوا اليهما جماعة من الأنبياء وقولهم في بعض دعاء صلواتهم انتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك تتجرؤا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة كأنهم يخونه بذلك ليتنحى لهم ويحتمي كأنهم يخبرونه انه قد اختار الخمول لنفسه وأحبابه فهزونه بهذا الخطاب للتباهة واشتهار الصيت قال بعض أكابرهم بعد إسلامه فتري أحدهم اذا تلي هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده ولا يشك أن كلامه يقع عند الله بموقع عظيم وانه يؤثر في ربه ويحركه لذلك ويهزه ويخيفه وعندهم في توراتهم أن موسي صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجليه كرسي منظره كمنظر البلور وهذا من كذبهم وافترائهم على الله وعلى التوراة وعندهم في توراتهم ان الله سبحانه لما رأي فساد قوم نوح وان شرهم قد عظم ندم على خلق البشر في الارض وشق عليه وعندهم في توراتهم أيضاً ان الله ندم على تمليكه شاؤل على اسرائيل وعندهم فيها ان نوحاً لما خرج من السفينة بني بيتاً مذبحاً وقرب عليه قرابين واستنشق الله رائحته من القتار فقال في ذاته لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة وان أهلك جميع الحيوان كما صنعت قال بعض علمائهم الراسخين في العلم ممن هداه الله الى الاسلام لسنا نري أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى ولا نقول أيضاً ان اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها بل الحق أولى ما اتبع قال ونحن نذكر حقيقة سبب تبديل

Digitized by Google

التوراة فأن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لايعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم انها عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البتة لان موسى صان التوراة عن بنى اسرائيل ولم يبثها فيهم خوفاً من اختلافهم من بعده في تأويل التوراة المؤدي الى انقسامهم أحزابا وانما سلمها الى عشيرته أولاد لاوي قال ودليل ذلك قول التوراة ماهذه ترجمته وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى أئمة بني لاوي وكانوا بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لان الامامة وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت فيهم ولم يبد موسى من التوراة لبنى اسرائيل إلا نصف سورة وقال الله لموسى عن هذه السورة وتكون لي هذه السورة شاهدة على بنى اسرائيل ولاتنسى هذه السورة من أفواه أولادهم وأما بقية التوراة فدفعها الى أولاد هرون وجعلها فيهم وصانها عمن سواهم فالائمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا عن التوراة فلما رأي عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ملفق منه هذه التوراة التي بأيديهم ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا غاية المبالغة وقالوا فيها ماحكاه الله عنهم في كتابه وزعموا ان النور على الارض الي الآن يظهر على قبره عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وان كان فيها أو أكثرها ماليس من التوراة التى أنزلها الله على موسى قال وهذا يدل على ان الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى وما ينبغي له ومالا يجوز عليه فلذلك نسب الى الرب تعالى مايتقدس وينتزه عنه وهذا الرجل يعرف عند اليهود بعازر الوراق ويظن بعض الناس انه الذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ويقول انه نبي ولا دليل على هاتين المقدمتين ويجب التثبت في ذلك نفياً واثباتاً فان كان هذا نبيا واسمه عزير فقد وافق صاحب التوراة في الاسم وبالجملة فنحن وكل عاقل نقطع ببراءة التوراة التى أنزلها الله على كليمه موسى من هذه الاكاذيب والمستحيلات والترهات كما نقطع ببراءة صلاة موسى وبني اسرائيل معه من هذا الذي يقولونه في صلاتهم اليوم فانهم في العشر الاول من المحرم في كل سنة يقولون في صلاتهم ما ترجمته يا أبانا أملك على جميع اهل الارض لتقول كل ذي نسمة الله إله اسرائيل قد ملك ومملكته في الكل متسلطة ويقول

Digitized by Google

فيها ايضاً وسيكون لله الملك وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً واسمه واحد ويعنون بذلك انه لايظهر كون الملك له وكونه واحداً الا إذا صارت الدولة لهم فاما مادامت الدولة لغيرهم فانه تعالى خامل الذكر عند الامم مشكوك في وحدانيته مطعون في ملكه ومعلوم قطعاً أن موسى ورب موسى بريء من هذه الصلاة براءته من تلك الترهات

(فصل) وجحودهم نبوة محمد من الكتب التي بأيديهم نظير جحدهم نبوة المسيح وقد صرحت باسمه في نص التوراة لا يزول الملك من آل يهودا والراسم من بين ظهرانيهم الى أن يأتي المسيح وكانوا أصحاب دولة حتى ظهر المسيح فكذبوه ورموه بالعظائم وبهتوه وبهتوا أمه قدس الله عليهم وأران ملكهم وكذلك قوله جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير عين نبوة المسيح وهم لاينكرون ذلك ويزعمون ان قائما يقوم فيهم من ولد داود النبي اذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الامم ولا يبقى الا اليهود وهذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذى وعدوا به قالوا ومن علامة مجيئه أن الذئب والتيس يربضان معا وان البقرة والذئب يرعيان جميعا وان الاسد يأكل التبن كالبقر فلما بعث الله المسيح كفروا به عند مبعثه وأقاموا ينتظرون متي يأكل الاسد التبن حتي تصح لهم علامة مبعث المسيح ويعتقدون أن هذا المنتظر متي جاءهم يجمعهم بامرهم الى القدس وتصير لهم الدولة ويخلو العالم من غيرهم ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة وقد عوضوا من الايمان بالمسيح ابن مريم انتظار مسيح الضلالة الدجال فانه هو الذى ينتظرونه حقاً وهم عسكره وأتبع الناس له ويكون لهم فى زمانه شوكة ودولة الى ان ينزل مسيح الهدي ابن مريم فيقتل منتظرهم ويضع هو واصحابه فيهم السيوف حتي يختبي اليهودي وراء الحجر والشجر فيقولان يامسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله فاذا نظف الارض منهم ومن عباد الصليب فحينئذ يرعى الذئب والكبش معا ويربضان معا وترعي البقرة والذئب معا ويأكل الاسد التبن ويلقى الامن في الارض هكذا أخبر به شعيا في نبوته وطابق خبره ما أخبر به النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في خروج الدجال وقتل المسيح ابن مريم له وخروج يأجوج ومأجوج فى أثره ومحقهم من الارض وإرسال البركة والأمن في الارض حتي ترعي الشاة والذئب وحتي ان الحيات والسباع لا تضر الناس فصلوات الله وسلامه على من جاء بالهدي والنور وتفصيل كل شيء وبيانه وأهل الكتاب عندهم عن انبيائهم حق كثير لايعرفونه ولا يحسنون أن يضعوه مواضعه ولقد كفى الله سبحانه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ما أنزله على الأنبياء عليهم السلام من الحق وبينه وأظهره لأمته وفصل على لسانه

Digitized by Google

ما أجمله لهم وشرح ما رمز اليهم فجاء بالحق وصدق المرسلين وتمت به نعمة الله على عباده المؤمنين فالمسلمون واليهود والنصاري تنتظر مسيحاً يجيء في آخر الزمان فمسيح اليهود هو الدجال ومسيح النصاري لاحقيقة له فانه عندهم إله وابن إله وخالق ومميت ومحيي فمسيحهم الذي ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكلل بالشوك بين اللصوص المصنوع الذي صفعته اليهود وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول عيسي بن مريم أخو عبدالله ورسوله محمد بن عبد الله فيظهر دين الله وتوحيده ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم فهذا هو الذي ينتظره المسلمون وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق واضعاً يديه على منكبي ملكين يراه الناس عياناً بأبصارهم نازلا من السماء فيحكم بكتاب الله وسنة رسوله وينفذ ما أضاءه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله صلي الله عليه وسلم ويحيي ما أماتوه وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما ابراهيم وملة سائر الانبياء وهي الاسلام الذي من يبتغي غيره ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وقد حمل رسول الله صلي الله عليه وسلم من من أدركه من أمته السلام وامره أن يقرئه إياه فأخبر عن موضع نزوله بأي بلد وبأي مكان منه وبحالة وقت نزوله وملبسه الذي عليه وانه ممصرتان أي ثوبان واخبر بما يفعل عند نزوله مفصلا حتي كأن المسلمين يشاهدونه عياناً قبل أن يروه وهذا من جملة الغيوب التي اخبر بها فوقعت مطابقة بخبره حذو القذة بالقذة فهذا منتظر المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين ولا منتظر اخوانهم من الروافض المارقين وسوف يعلم المغضوب عليهم اذا جاء منتظر المسلمين انه ليس بابن يوسف النجار ولا هو ولد زانية ولا كان طبيباً حاذقاً ماهراً في صناعته استولى على العقول بصناعته ولا كان ساحراً ممخرقا ولا تمكنوا من صلبه وتسميره وصفعه وقتله بل كانوا أهون على الله من ذلك ويعلم الضالون انه ابن البشر وانه عبد الله ورسوله ليس بإله ولا ابن الاله وانه بشر بنبوة محمد اخيه اولا وحكم بشريعته ودينه آخراً وانه عدو المغضوب عليهم والضالين وولي رسول الله واتباعه المؤمنين وما كان اولياء الارجاس الانجاس عبدة الصلبان والصور المدهونة في الحيطان إن اولياؤه إلا الموحدون عباد الرحمن اهل الاسلام والايمان الذين نزهوه وامه عما رماهما به اعداؤهما اليهود ونزهوه وخالقه ومالكه وسيده عما رماه به أهل الشرك والسب للواحد المعبود

Digitized by Google

فصل فلنرجع الى الجواب على طريق من يقول انهم غيروا الفاظ الكتب وزادوا ونقصوا كما اجبنا على طريق من يقول انما غيروا معانيها وتأولوها على غير تأويلها قال هؤلاء نحن لا ندعي ولا طائفة من المسلمين ممن يقول انه غير بعض الفاظها ان كل نسخة في العالم غيرت وبدلت بل من المسلمين من يقول انه غير بعض الفاظها قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرت بعض النسخ بعد مبعثه ولا أقولون انه غيرت كل نسخة في العالم بعد المبعث بل غير البعض وظهر عند كثير من الناس تلك النسخ المبدلة المغيرة دون التي لم تبدل والنسخ التي لم تبدل موجودة في العالم ومعلوم ان هذه مما لا يمكن نفيه والجزم بعدم وقوعه فانه لا يمكن احدا ان يعلم ان كل نسخة في العالم على لفظ واحد بسائر الالسنة ومن الذي احاط بذلك علماً أو عقلا فاهل الكتاب يعلمون ان احداً لا يمكنه ذلك واما من قال من المسلمين ان التغيير وقع في اول الامر فانهم قالوا انه وقع اولا من عازر الوراق في التوراة في بعض الامور إما عمداً وإما خطأ فانه لم يقم دليل على عصمته ولا ان تلك الفصول التي جمعها من التوراة بعد احتراقها هي عين التوراة التي انزلت على موسى وقد ذكرنا ان فيها مالا يجوز نسبته الى الله وانه مما انزله على رسوله وكليمه وتركنا كثيراً لم نذكره وأما الانجيل فهي اربعة اناجيل اخذت عن اربعة نفر اثنان منهم لم يريا المسيح اصلا واثنان رأياه واجتمعا به وهما متى ويوحنا وكل منهم يزيد وينقص ويخالف انجيله انجيل اصحابه في اشياء وفيها ذكر القول ونقيضه كما فيه انه قال ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة ولكن غيري يشهد لي وفي موضع آخر منه ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق لاني اعلم من اين جئت وإلى اين اذهب وفيه انه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال قد جزعت نفسي الآن فماذا اقول يا ابتاه سلمني من هذا الوقت وانه لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحا عظيما وقال يا إلهي لم اسلمتني فكيف يجتمع هذا مع قولكم انه هو الذي اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا واخرج بذلك آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وجميع الانبياء من جهنم بالحيلة التي دبرها على إبليس وكيف يجزع إله العالم من ذلك وكيف يسأل السلامة منه وهو الذي إختاره ورضيه وكيف يشتد صياحه ويقول يا إلهي لم اسلمتني وهو الذي أسلم نفسه وكيف لم يخلصه ابوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب واهله ام كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود وفيه ايضاً ان اليهود سألته ان يظهر لهم برهاناً انه المسيح فقال تهدمون هذا البيت يعني بيت المقدس وأبنيه لكم في

Digitized by Google

ثلاثة أيام فقالوا له بيت مبنى في خمس وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام ثم ذكرتم في الانجيل أيضا انه لما ظفرت به اليهود وحمل الى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بينة أن شاهدي زور جاءا اليه وقالا سمعناه يقول أنا قادر على بنيان بيت المقدس في ثلاثة أيام فيالله العجب كيف يدعي ان تلك المعجزة والقدرة له ويدعي أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور وفيه أيضاً لوقا ان المسيح قال لرجلين من تلامذته إذهبا الى الحصن الذى يقابلكما فاذا دخلتماه فستجدان فلواً مربوطاً لم يركبه أحد فحلاه واقبلا به الي ثم قال في انجيل متي في هذه القصة انها كانت حمارة متبعة وفيه انه قال لاتحسبوا اني قدمت لأصلح بين أهل الارض لم آت لصلاحهم لكن لألقي المحاربة بينهم انما قدمت لأفرق بين المرء وابنه والبنت وأمها حتي تصير أعداء المرء أهل بيته ثم فيه أيضا انما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس وانه قال من لطم خدك اليمين فانصب له الآخر وفيه أيضاً انه قال طوبالك ياشمعون رأس الجماعة وأنا أقول انك الحجر وعلى هذا الحجر تبني بيعتي فكلما أحللته على الارض يكون محالا في السماء وما عقدته على الارض يكون معقوداً في السماء ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول اذهب عني ياشيطان ولا تعارض فانك شيطان جاهل فكيف يكون شيطان جاهل مطاع في السموات وفي الانجيل نص انه لم تلد النساء مثل يحيي هذا في انجيل متى وفي انجيل يوحنا ان اليهود بعثت الى يحيي من يكشف عن أمره فسألوه من أنت أهو المسيح قال لا أنت الياس قال لا قالوا أنت نبي قال لا قالوا أخبرنا من أنت قال أنا صوت مناد في المفاوز ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته فانه يكون مخبراً بالكذب ومن العجب ان في انجيل متي نسبة المسيح الى انه ابن يوسف النجار ثم عد الى ابراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً ثم نسبه لوقا أيضاً في انجيله الى يوسف وعد منه الى ابراهيم نيفا وخمسين أباً فبينا هو إله تام إذ صيروه إبن الاله ثم جعلوه ابن يوسف النجار والمقصود ان هذا الاضطراب في الانجيل يشهد بان التغيير وقع فيه قطعاً ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله بل الاختلاف الكثير الذى فيه يدل على ان ذلك الاختلاف من عند غير الله وأنت اذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التى بأيدي اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافاً يقطع من وقف عليه بأنه من جهة التغيير والتبديل وكذلك نسخ الزبور مختلفة جدا ومن المعلوم ان نسخ التوراة والانجيل انما هي عند رؤساء اليهود والنصارى وليست عند عامتهم ولا يحفظونها في صدورهم كحفظ المسلمين للقرآن ولا يمتنع على الجماعة القليلة التواطئ على تغيير بعض النسخ ولا سيما اذا كان بقيتهم لايحفظونها فاذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم

أمكن ذلك ثم اذا تواصوا على أن لا يذكروا ذلك لاولادهم وأتباعهم أمكن ذلك وهذا واقع في العالم كثيراً فهؤلاء اليهود تواطئوا وتواصوا بكتمان نبوة المسيح وجحد البشارة به وتحريفها واشتهر ذلك بين طائفتهم في الارض مشارقها ومغاربها وكذلك تواطئوا على انه كان طبيبا ساحرا ممخرقا ابن زانية وتواصوا به مع رؤيتهم الآيات الباهرات التي ارسل بها وعلمهم انه أبعد خلق الله عما رمي به وشاع ما تواطئوا عليه وملؤا به كتبهم شرقا وغرباً وكذلك تواطئوا على أن لوطاً نكح ابنيه وأولدهما أولاداً وشاع ذلك فيهم جميعهم وتواطئوا على ان الله ندم وبكي على الطوفان وعض أنامله وصارع يعقوب فصرعه يعقوب وانه راقد عنهم وانهم يسئلونه أن ينتبه من رقدته وشاع ذلك في جميعهم وكذلك تواطئوا على فصول لفقوها بعد زوال مملكتهم يصلون بها مما لم يعرف عن موسي ولا عن أحد من أتباعه كقولهم في صلاتهم اللهم اضرب ببوق عظيم لمتقنا واقبضنا جميعا من أربعة أقطار الارض الى قدسك سبحانك ياجامع تشتيت قومه اسرائيل وقولهم فيها أرددّ حكامنا منا كالأولين ومشيرتنا كالابتداء وابن أورشليم قربة قدسك في أيامنا كما واعدتنا ببنائها سبحانك يابابي أورشليم ولم يكن موسي وقومه يقولون في صلاتهم شيئاً من ذلك وكذلك تواطؤهم على قولهم في صلاتهم أول العام ماحكيناه عنهم وكذلك تواطؤهم على شرع صوم احراق بيت المقدس وصوم حصاوصوم كدليا وفرضهم ذلك وصوم صلب هامان وقد اعترفوا بانهم زادوها لأسباب اقتضتها وتواطؤا بذلك على مخالفة ما نصت عليه التوراة من قوله لاتزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولاتنقصوا منه شيئاً فتواطؤا على الزيادة والنقصان وتبديل أحكام الله كما تواطئوا على تعطيل فريضة الرجم على الزاني وهو في التوراة نصاً وكذلك تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرعه لعباده تمسكا منهم باليهودية وقد أكذبتهم التوراة وسائر النبواة ومن العجائب جحدهم على الله أن ينسخ ماشرعه لئلا يلزم البداء ثم يقولون أنه ندم وبكي على الطوفان وعاد في رأيه وندم على خلق الانسان وهذه مضارعة لاخوانهم من عباد الصليب الذين نزهوا رهبانهم عن الصاحبة والولد ثم نسبوها الى الفرد الصمد ومن ذلك تواطؤهم على ان الملك يعود اليهم ويرجع الملك كله الى ملة اليهودية ويصيرون قاهرين لجميع أهل الملك ومن ذلك تواطؤهم على تعطيل أحكام التوراة وفرائضها وتركها في جل أمورهم الا اليسير منها وهم معترفون بذلك وانه أكبر أسباب زوال ملكهم وعزهم فكيف ينكر من طائفة تواطئت على تكذيب المسيح وجحد نبوته وبهته وبهت أمه والكذب الصريح على الله وعلي أنبيائه وتعطيل أحكام الله والاستبدال بها وعلي قتلهم أنبياء الله ان يتواطؤا على

Digitized by Google

تحريف بعض التوراة وكتمان نعت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته فيها * واما امة الضلال وعباد الصليب والصور المزوقة في الحيطان واخوان الخنازير وشاتموا خالقهم ورازقهم اقبح شتم وجاعلوه مصفعة اليهود وتواطؤهم على ذلك وعلى ضروب المستحيلات وانواع الاباطيل فلا إله إلا الله الذي ابرز للوجود مثل هذه الامة التي هي أضل من الحمير ومن جميع الانعام السائمة وخلى بينهم وبين سبه وشتمه وتكذيب عبده ورسوله ومعاداة حزبه وأوليائه وموالاة الشيطان والتعوض بعبادة الصور والصلبان عن عبادة الرحمن وعن قول الله أكبر بالتصليب على الوجه وعن قراءة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين باللهم اعطنا خبزنا الملائم لنا وعن السجود للواحد القهار بالسجود للصور المدهونة في الحائط بالاحمر والاصفر واللازورد فهذا بعض شأن هاتين الأمتين اللتين عندهما آثار النبوة والكتاب فالظن بسائر الامم الذين ليس عندهم من النبوة والكتاب حس ولاخبر ولا عين ولا اثر * قال السائل إن قلتم ان عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم فهلا أتي ابن سلام وأصحابه الذين اسلموا بالنسخ التي لهم كي تكون شاهدة علينا والجواب من وجوه

(أحدها) ان شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته بل آياتها وشواهدها متنوعة متعددة جداً ونعته وصفته في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها وجمهور أهل الارض لم يكن اسلامهم من الشواهد والاخبار التي في كتبهم وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوها بل أسلموا للشواهد التي عاينوها والآيات التي شاهدوها وجاءت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية عاضدة من باب تقوية البينة وقد تم النصاب بدونها فهؤلاء العرب من أولهم الى آخرهم لم يتوقف اسلامهم على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد وان كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الانصار يسمعون من اليهود صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته ومخرجه فلما عاينوه وأبصروه وعرفوه بالنعت الذي أخبرهم به اليهود فسبقوهم اليه فشرق أعداء الله بريقهم وغصوا بماثهم وقالوا ليس هذا الذي كنا نعدهم به فالعلم بنبوة محمد والمسيح وموسى لا يتوقف على العلم بها فاذا عرفت النبي صلى الله عليه وسلم بطريق من الطرق ثبتت نبوته ووجب اتباعه وان لم يكن من قبله بشر به فاذا علمت نبوته بما قام عليها من البراهين فاما أن يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته واما أن لا يكون لازماً فان لم يكن لازماً لم يجب

Digitized by Google

وقوعه ولا يتوقف تصديق النبي عليه بل يجب تصديقه بدونه وان كان لازماً علم قطعا أنه قد وقع وعدم نقله الينا لايدل على عدم وقوعه إذلايلزم من وجود الشيء نقله العام ولا الخاص وليس كلما أخبر به تعالى والمسيح وغيرهما من الانبياء المتقدمين وصل الينا وهذا مما يعلم بالاضطرار فلو قدر ان البشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم ليست في الكتب الموجودة بأيديكم لم يلزم أن لا يكون المسيح وغيره بشر به ولم ينفك ويمكن أن يكون في كتب غير هذه المشهورة المتداولة بينكم فلم يزل عند كل أمة كتب لايطلع عليها الا بعض خاصتهم فضلا عن جميع عامتهم ويمكن انه كان في بعضها فأزيل منه وبدل ونسخت النسخ من هذه التي قد غيرت واشتهرت بحيث لايعرف غيرها وأخفى أمر تلك النسخ الاولى وهذا كله ممكن لاسيما من الامة التي تواطأت على تبديل دين نبيها وشريعته هذا كله على تقدير عدم البشارة به في شيء من كتبهم أصلا ونحن قد ذكرنا من البشارات التي في كتبهم مالا يمكن لمن له أدنا معرفة منهم جحده والمكابرة فيه وان أمكنهم المغالطة بالتأويل عند رعاعهم وجهالهم

﴿ الوجه الثاني ﴾ أن عبد الله بن سلام قد قابل اليهود ووافقهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان ذكره ونعته وصفته في كتبهم وانهم يعلمون انه رسول الله وقد شهدوا بانه أعلمهم وابن أعلمهم وخيرهم وابن خيرهم فلم يضر قولهم بعد ذلك انه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم كما اذا شهد على رجل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعدله وقال إنه مقبول الشهادة عدل رضى لايشهد الا بالحق وشهادته جائزة على فلما أدى الشهادة قال انه كاذب شاهد زور ومعلوم ان هذا لايقدح في شهادته واما كعب الاحبار فقد ملأ الدنيا من الاخبار بما في التبوات المتقدمة من البشارة وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى وأذن بها على رؤس الملاء صدقه مسلموا أهل الكتاب عليها وأقروا على ما أخبر به وانه كان أوسعهم علما بما في كتب الانبياء وقد كان الصحابة يمتحنون ماينقله ويزنونه بما يعرفون صحته فيعلمون صدقه وشهدوا له بانه اصدق الذين يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم فهم ونحن اليوم ننوب عن عبدالله بن سلام وقد اوجدناكم هذه البشارات في كتبكم فهي شاهدة لنا عليكم والكتب بايديكم فأتوا بها فاتلوها ان كنتم صادقين وعندنا ممن وفقه الله للاسلام منكم من يوافقكم ويقابلكم ويحاققكم عليها والا فاشهدوا علي أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون به عليكم من الكفر والتكذيب والجحد للحق ومعاداة الله ورسوله

Digitized by Google

﴿ الوجه الثالث ﴾ انه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة بغاية البيان والصراحة لكان في بهتكم وعنادكم وكذبكم مايدفع في وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ماوجد اليه سبيلا فاذا جاءكم مالاقبل لكم به قلتم ليس به ولم يأت بعد وقلتم نحن لانفارق حكم التوراة ولا نتبع نبي الاميين وقد صرخ اسلافكم الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاينوه أنه رسول حقا وانه المبشر به الموعود على ألسنة الانبياء المتقدمين وقال من قال له منهم في وجهه نشهد انك نبي فقال ما يمنعكم من اتباعي قالوا إنا نخاف أن يقتلنا يهود وقد قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقد جاءكم بآيات هي أعظم من بشارات الانبياء به وأظهر بحيث كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر فما زادكم ذلك إلا نفوراً وتكذيباً وإباء لقبول الحق فلو أنزل الله اليكم ملائكته وكلمكم الموتى وشهدله بالنبوة كل رطب ويابس لغلبت عليكم الشقوة وصرتم الى ماسبق لكم في أم الكتاب وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد من الحسد من آيات الانبياء ما رأوا وما زادهم ذلك إلا تكذيباً وعناداً فاسلافكم وقدوتكم في تكذيب الانبياء من الامم لايحصيهم إلا الله حتى كأنكم تواصيتم بذلك وأوصى به الاول للآخر واقتدى به الآخر بالاول وقال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وهبنا ضربنا عن أخبار الانبياء المتقدمين به صفحاً أفليس في الآيات والبراهين التي ظهرت على يديه مايشهد بصحة نبوته وسنذكر منها بعد الفراغ من الاجوبة طرفا يقطع المعذرة ويقيم الحجة والله المستعان * قال السائل انكم نسبتم الأمتين العظيمتين المذكورتين الى اختيار الكفر على الايمان للغرض المذكور فان سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض لأنهم قليلون جداً وأضداده كثيرون لايحصيهم عدد والجواب من وجوه (أحدها) إنا قد بينا أن جمهور هاتين الامتين المذكورتين آمن به وصدقه وقد كانوا ملأ الارض وهذه الشام ومصر وما جاورها واتصل بهما من أعمالهما والجزيرة والموصل وأعمالهما وأكثر بلاد المغرب وكثير من بلاد المشرق كانوا كلهم نصارى فأصبحت هذه البلاد كلها مسلمين فالمتخلف من هاتين الامتين عن الايمان به أقل القليل بالاضافة الى من آمن به وصدقه وهؤلاء عباد الاوثان كلهم أطبقوا على الاسلام الا من كان منهم في أطراف الارض بحيث لم تصل اليه الدعوة وهذه أمة المجوس توازي هاتين الامتين كثرة وشوكة وعدداً دخلوا في دينه وبقي من بقي منهم كما بقيتم أنتم تحت الذلة

Digitized by Google

والجزية (الثاني) أنه قد بينا أن الغرض الحامل لهم على الكفر ليس هو مجرد المأكلة والرياسة فقط وان كان من جملة الاغراض بل منهم من حمله ذلك ومنهم من حمله الحسد ومنهم من حمله الكبر ومنهم من حمله الهوى ومنهم من حمله محبة الفه للدين الذي نشأ عليه وجبل بطبعه فصار انتقاله عنه كمفارقة الانسان ما يطبع عليه وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولي على أكثر بني آدم في إيثارهم ماعتادوه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والديانات على ماهو خير منه وأرفق بكثير ومنهم من حمله التقليد والجهل وهم الاتباع الذين ليس لهم علم ومنهم من حمله الخوف من فوات محبوب أو حصول مرهوب فلم ينسب هاتين الامتين الى الغرض المذكور وحده (الثالث) إنا قد بينا ان الامم الذين كانوا عليهم كانوا أكثر عدداً وأغزر عقولا منهم وكلهم اختاروا العمى على الهدى والكفر على الايمان وبعد البصيرة فلهاتين الأمتين سلف كثير وهم أكثر الخلق (الرابع) ان عبد الله بن سلام وذويه إنما أسلموا في وقت شدة من الامر وقلة من المسلمين وضعف وحاجة وأهل الارض مطبقون على عداوتهم واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والحلقة والسلاح ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ ذاك قد أووا الى المدينة واعداؤهم يتطلبونهم في كل وجه وقد بذلوا الرغائب لمن جاءهم بهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وخادمهما فاستخفوا ثلاثا في غار تحت الارض ثم خرجوا بعد ثلاث على غير الطريق الى أن قدموا المدينة والشوكة والعدد والعدة فيها لليهود والمشركين فأسلم عبد الله بن سلام حين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لما رأى أعلام النبوة التي كان يعرفها وشاهدها فيه وترك الاغراض التي منعت المغضوب عليهم من الاسلام من الرياسة والمال والجاه بينهم وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم فعلم أنهم إن علموا باسلامه اخرجوه من تلك الرياسة والسيادة فأحب ان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أدخلني بعض بيوتك وسلهم عني ففعل وسألهم عنه فاخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم فخرج عليهم وذكرهم وأوقفهم على انهم يعلمون انه رسول الله وقابلهم بذلك فسبوه وقدحوا فيه وانكروا رياسته وسيادته وعلمه فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثر عرض الدنيا والرياسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأئمة الغضب والقوم البهت وهكذا شأن من اسلم من اليهود حينئذ واما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته وقال ان هؤلاء القوم قد عظمونا ورأسونا ومولونا

Digitized by Google

فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عياناً ولقد ناظرت بعض علماء النصاري معظم يوم فلما تبين له الحق بهت فقلت له وأنا وهو خاليين مايمنعك الآن من إتباع الحق فقال لى اذا قدمت على هؤلاء الحمير فرشوا الشقاق تحت حوافر دابتي وحكموني في أموالهم ونسائهم ولم يعصوني فيما آمرهم به وأنا لا اعرف صنعة ولا احفظ قرآنا ولا نحواً ولا فقهاً ولو أسلمت لدرت في الاسواق اتكفف الناس فمن الذي يطيب نفساً بهذا فقلت هذا لا يكون وكيف تظن بالله انك اذا آثرت رضاه على هواك يخزيك ويذلك ويجوجك ولو فرضنا ان ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه اتم العوض عما فاتك فقال حتي يأذن الله فقلت القدر لايحتج به ولوكان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجة للمشركين على تكذيب الرسل ولا سيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به فقال دعنا الآن من هذا وأمسك (الخامس) ان جوابك في نفس سؤالك فانك أعترفت ان عبد الله بن سلام وذويه كانوا قليلين جداً وأضدادهم لايحصون كثرة ومعلوم ان الغرض الداعي لموافقة الجمهور الذين لايحصون كثرة وهم أولوا القوة والشوكة أقوي من الغرض الداعي لموافقة الأقلين المستضعفين والله الموفق

(فصل) قال السائل تدخل علينا الريبة من جهة عبدالله بن سلام وأصحابه وهو انكم قد بنيتم أكثر شرائعكم في الحلال والحرام والامر والنهى على أحاديث عوام من الصحابة الذين ليس لهم بحث في علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم فابن سلام هو وأصحابه أولى ان يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم لانهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده ولا نراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والامر والنهي الا شيئاً يسيراً جداً وهو ضعيف عندكم والجواب من وجوه * (أحدها) ان هذا بهت من قائله فانا لم نبن أساس شريعتنا في الحلال والحرام والامر والنهي الا على كتاب ربنا المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي تحدي به الامم كلها على اختلاف علومها وأجناسها وطبائعها وهو في غاية الضعف وأعداؤها طبق الارض أن يعارضوه بمثله فيكونوا أولى بالحق منه ويظهر لديه صدقهم فعجزوا عن ذلك فتحداهم بان يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا فتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا هذا وأعداؤه الادنون اليه أفصح الخلق وهم أهل البلاغة والفصاحة واللسن والنظم والنثر والخطب وأنواع الكلام فما منهم من فاه في معارضته ببنت شفة وكانوا احرص الناس على تكذيبه وأشدهم أذي له بالقول

Digitized by Google

والفعل والتغير عنه بكل طريق فما نقل عن أحد منهم سورة واحدة عارضه بها الا مسيلمة الكذاب بمثل قوله ياضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين ومثل والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً فالخابزات خبزا اهالة وسمناً وأمثال هذه الالفاظ التي هي بالفاظ أهل المجون والمعتوهين أشبه منها بالفاظ العقلاء فالمسلمون انما بنوا أساس دينهم ومعالم حلالهم وحرامهم على الكتاب الذي لم ينزل من السماء كتاب أعظم منه فيه بيان كل شيء وتفصيل كل شيء وهدي ورحمة وشفاء لما في الصدور به هدي الله رسوله وأمته فهو أساس دينهم * (الثاني) أن قولكم ان المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة من أعظم البهت وأفحش الكذب فانهم وان كانوا أميين فقد بعث الله فيهم رسوله ذكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة وفضلهم في العلم والعمل والهدي والمعارف الالهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الامم فلم تبق أمة من الامم تدانيهم في فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم فلو قيس ماعند جميع الامم من معرفة وعلم وهدى وبصيرة الى ماعندهم لم يظهر له نسبة اليه بوجه ما وان كان غيرهم من الامم أعلم بالحساب والهندسة والكم المتصل والكم المنفصل والنبض والقارورة والبول والقطة ووزن الانهار ونقوش الحيطان ووضع الآلات العجيبة وصناعة الكيميا وعلم الفلاحة وعلم الهيئة وتسيير الكواكب وعلم الموسيقا والالحان وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع وبين ظنون كاذبة وبين علم نفعه في العاجلة وليس من زاد المعاد * فان أردتم أن الصحابة كانوا عواماً في هذه العلوم فنعم اذاً (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها) وإن أردتم أنهم كانوا عواماً في العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ودينه وشرعه وتفاصيله وتفاصيل مابعد الموت وعلم سعادة النفوس وشقاوتها وعلم صلاح القلوب وأمراضها فمن بهت نبيهم بما بهته به وجحد نبوته ورسالته التي هي للبصائر أظهر من الشمس للأبصار لم ينكر له أن يبهت أصحابه ويجحد فضلهم ومعرفتهم وينكر ماخصهم الله به وميزهم على من قبلهم ومن هو كائن من بعدهم الى يوم القيامة وكيف يكونون عواماً في ذلك وهم أذكى الناس فطرة وأزكاهم نفوساً وهم يتلقونه غضاً طرياً ومحضاً لم يشب عن نبيهم وهم أحرص الناس عليه وأشوقهم اليه وخبر السماء يأتيهم على لسانه في ساعات الليل والنهار والحضر والسفر وكتابهم قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين وعلم ماكان من المبدأ والمعاد وتخليق العالم وأحوال الامم الماضية والانبياء وسيرهم وأحوالهم مع أممهم ودرجاتهم في منازلهم عند الله وعددهم وعدد المسلمين منهم وذكر كتبهم وأنواع العقوبات التي عذب الله

Digitized by Google

بها أعداءهم وما أكرم به اتباعهم وذكر الملائكة وأصنافهم وأنواعهم وما وكلوا به واستعملوا فيه وذكر اليوم الآخر وتفاصيل أحواله وذكر الجنة وتفاصيل نعيمها والنار وتفاصيل عذابها وذكر البرزخ وتفاصيل أحوال الخلق فيه وذكر اشراط الساعة والاخبار بها مفصلا بما لم يتضمنه كتاب غيره من حين قامت الدنيا والى أن يرث الله الارض ومن عليها كما أخبر به المسيح عنه من قوله في الانجيل وقد بشرهم به فقال وكل شيء أعده الله تعالى لكم يخبركم به وفي موضع آخر منه ويخبركم بالحوادث والغيوب وفي موضع آخر ويعلمكم كل شيء وفي موضع آخر منه يحيي لكم الاسرار ويفسر لكم كل شيء وأجيئكم بالامثال وهو يجيئكم بالتأويل وفي موضع آخر إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذلك يرشدكم الى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكلما يأتي ويعرفكم جميع ما للاب فمن هذا علمه بشهادة المسيح وأصحابه يتلقون ذلك جميعه عنه وهم أذكى الخلق وأحفظهم وأحرصهم كيف تدانيهم أمة من الامم في هذه العلوم والمعارف ولقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبهم حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى وصعد فخطبهم حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى وخطبهم حتى حضرت المغرب فلم يدع شيئاً الى قيام الساعة الا أخبرهم به فكان أعلمهم أحفظهم وخطبهم مرة أخرى خطبة فذكر بدأ الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم وقال يهودي لسلمان لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة قال أجل فهذا اليهودي كان أعلم بنبينا من هذا السائل وطائفته وكيف يدعى في أصحاب نبينا أنهم عوام وهذه العلوم النافعة المبثوثة في الامة على كثرتها واتساعها وتفنن ضروبها إنما هي منهم مأخوذة ومن كلامهم وفتاويهم مستنبطة وهذا عبد الله بن عباس كان من صبيانهم وفتيانهم وقد طبق الارض علماً وبلغت فتاويه نحواً من ثلاثين سفراً وكان بحراً لا ينزف لو نزل به أهل الارض لاوسعهم علماً وكان اذا أخذ في الحلال والحرام والفرائض يقول القائل لا يحسن سواه فاذا أخذ في تفسير القرآن ومعانيه يقول السامع لايحسن سواه فاذا أخذ في السنة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول القائل لا يحسن سواه فاذا أخذ في القصص وأخبار الامم وسير الماضين فكذلك فاذا أخذ في أنساب العرب وقبائلها وأصولها وفروعها فكذلك فاذا أخذ في الشعر والغريب فكذلك * قال مجاهد العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وقال قتادة في قوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك

من ربك هو الحق) قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولما حضر معاذ الموت قيل له أوصنا قال أجلسوني ان العلم والايمان عند أربعة رهط عند عويمر أبي الدرداء وعند سلمان الفارسي وعند عبد الله بن مسعود وعند عبد الله بن سلام فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه عاشر عشرة في الجنة * وقال أبو اسحق السبيعي قال عبد الله علماء الارض ثلاثة فرجل بالشام وآخر بالكوفة وآخر بالمدينة فأما هذان فيسألان الذي بالمدينة والذي بالمدينة لا يسألهما عن شئ * وقيل لعلي بن أبي طالب حدثنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن أيهم قال عن عبد الله بن مسعود قال قرأ القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى بذلك قالوا فحدثنا عن حذيفة قال أعلم أصحاب محمد بالمنافقين قالوا فأبوذر قال كنيف ملأ علماً عجن فيه قالوا فعمار قال مؤمن نسي اذا ذكرته ذكر خاط الله الايمان بلحمه ودمه ليس للنار فيه نصيب قالوا فأبو موسى قال صبغ في العلم صبغة قالوا فسلمان قال علم العلم الاول والآخر بحر لا ينزح هو منا أهل البيت قالوا فحدثنا عن نفسك يا أمير المؤمنين قال إياها أردتم كنت اذا سئلت أعطيت واذا سكت ابتديت وقال مسروق شافهت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم ينتهي الى ستة الى علي وعبد الله وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب ثم شافهت الستة فوجدت علمهم ينتهي الى علي وعبد الله * وقال مسروق جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا كالاخاذ الاخاذ يروي الراكب والاخاذ يروي الراكبين والاخاذ العشرة والاخاذ لو نزل به أهل الارض لأصدرهم وان عبد الله من تلك الاخاذ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر فقالوا فما أولت ذلك يارسول الله قال العلم * وقال عبد الله أرى أن عمر بن الخطاب قد ذهب بتسعة أعشار العلم * وقال عبد الله إني لأحب عمر ولو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة الميزان ووضع علم أهل الارض في كفة لرجح علم عمر * وقال حذيفة بن اليمان كأن علم الناس مع علم عمر دس في حجر * وقال الشعبي قضاة هذه الامة أربعة عمر وعلي وزيد وأبو موسى * وقال قبيصة بن جابر ما رأيت رجلا قط أعلم بالله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله من عمر * وقال علي بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء فقلت انك ترسلني الى قوم يكون فيهم الاحداث وليس لي علم بالقضاء قال فضرب في صدري وقال ان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك قال فما شككت في قضاء بين اثنين بعده * وفي

Digitized by Google

الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال لي ياغلام هل من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال فهل من شاة لم ينز عليها الفحل قال فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص قال ثم أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول فمسح رأسي قال رحمك الله انك غليم معلم * وقال عتبة بن عامر ما أرى أحداً أعلم بما أنزل على محمد من عبد الله فقال أبو موسى إن تقل ذاك فانه كان يسمع حين لا نسمع ويدخل حين لا ندخل * وقال مسروق قال عبد الله ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما انزلت ولو إني أعلم أن رجلا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الابل والمطايا لأتيته * وقال عبد الله بن بريدة في قوله عز وجل (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً) قال هو عبد الله بن مسعود * وقيل لمسروق كانت عائشة تحسن الفرائض قال والله لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئلونها عن الفرائض * وقال أبو موسى ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديثاً قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً * وقال شهر بن حوشب كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا اليه هيبة له * وقال علي بن أبي طالب أبو ذر وعاء ملئ علماً ثم وكي عليه فلم يخرج منه شئ حتى قبض * وقال مسروق قدمت المدينة فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين في العلم ولما بلغ أبا الدرداء موت عبد الله بن مسعود قال أما إنه لم يخلف بعده مثله * وقال أبو الدرداء إن من الناس من أوتى علماً ولم يؤت حلماً وشداد بن أوس ممن أوتي علماً وحلماً ولما مات زيد بن ثابت قام ابن عباس على قبره وقال هكذا يذهب العلم * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس وقال اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب * وقال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس لقد مات رباني هذه الأمة * وقال عبد الله بن عتبة ما رأيت أحداً أعلم بالسنة ولا أجلد رأياً ولا أثقب نظراً حين ينظر من ابن عباس * وكان عمر بن الخطاب يقول له قد طرأت علينا عضل أقضية أنت لها ولأمثالها ثم يقول عبد الله وعمر عمر في جده وحسن نظره للمسلمين * وقال عطاء بن أبي رباح ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقهاً وأعظم جفنة إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر يصدرهم كلهم في واد واسع * وكان عمر بن الخطاب يسأله مع الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له رسول الله صلى

Digitized by Google

الله عليه وسلم أن يزيده الله علماً وفقهاً * وقال عبد الله بن مسعود لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ماعشيره منا رجل أي مابلغ عشيره * وقال ابن عباس ماسألني أحد عن مسئلة إلا عرفت أنه فقيه أو غير فقيه وقيل له أني أصبت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول وكان يسمى البحر من كثرة علمه * وقال طاوس أدركت نحو خمسين من أصحاب رسول الله اذا ذكر لهم ابن عباس شيئاً فخالفوه لم يزل بهم حتى يقررهم * وقال الاعمش كان ابن عباس إذا رأيته قلت أجمل الناس فاذا تكلم قلت أفصح الناس فاذا حدث قلت أعلم الناس * وقال مجاهد كان ابن عباس إذا فسر الشئ رأيت عليه النور * وقال ابن سيرين كانوا يرون أن الرجل الواحد يعلم من العلم مالايعلمه الناس أجمعون * وقال ابن عون فكأنه رآني أنكرت ذلك قال فقال أليس أبو بكر كان يعلم مالايعلم الناس ثم كان عمر يعلم مالايعلم الناس * وقال عبد الله بن مسعود لو وضع علم أحياء العرب في كفة وعلم عمر في كفة لرجح بهم علم عمر قال الاعمش فذكرت ذلك لابراهيم فقال عبد الله إنما كنا نحسبه قد ذهب بتسعة أعشار العلم * وقال سعيد بن المسيب ماأعلم أحداً من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من عمر بن الخطاب وقال الشعبي قضاة الناس أربعة عمر وعلي وزيد بن ثابت وأبو موسى الاشعري * وكانت عائشة رضي الله عنها مقدمة في العلم بالفرائض والسنن والاحكام والحلال والحرام والتفسير * قال عروة بن الزبير ماجالست أحداً قط كان أعلم بقضاء ولا بحديث الجاهلية ولا أروى للشعر ولا أعلم بفريضة ولا طب من عائشة * وقال عطاء كانت عائشة أعلم الناس وأفقه الناس * وقال البخاري في تاريخه روي العلم عن أبي هريرة ثمانمائة رجل مابين صاحب وتابع * وقال عبد الله بن مسعود إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه لرسالته ثم نظر في قلوب العباد فاصطفى من بعد قلب محمد قلوب أصحابه فجعلوا وزراءه * وقال ابن عباس في قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن مسعود من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فان الحي لايؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد أبر هذه الامة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لاقامة دينه وصحبة نبيه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم * وقد أثنى سبحانه عليهم بما لم يثنه على أمة من قبلهم من الامم سواهم فقال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) أي عدولا خياراً (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) وقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس

Digitized by Google

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآذره فاستغلظ فاستوي على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وهم محمد وأصحابه * وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عزوجل * وقال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) * وقال مالك عن نافع كان ابن عباس وابن عمر يجلسان للناس عند قدوم الحاج وكنت أجلس إلى هذا يوماً وإلى هذا يوماً فكان ابن عباس يجيب ويفتي فى كل مايسأل عنه وكان ابن عمر يرد أكثر مما يفتي * قال مالك وسمعت أن معاذ ابن جبل إمام العلماء بربوة يعني يكون أمامهم يوم القيامة برمية بحجر * وقال مالك أقام ابن عمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك وكان من أئمة الدين وقال عمر لجرير يرحمك الله إن كنت لسيداً في الجاهلية فقيهاً في الاسلام * وقال محمد بن المنكدر ماقدم البصرة أحد أفضل من عمران بن حصين * وكان لجابر بن عبد الله حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ عنه العلم وإنما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد والقلوب بالعلم والقرآن فملؤا الدنيا خيراً وعلماً والناس اليوم في بقايا أثر علمهم * قال الشافعي في رسالته وقد ذكر الصحابة فعظمهم وأثني عليهم ثم قال وهم فوقي في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر أستدرك به علم وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا ومن أدركنا ممن نرضي أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا فيه سنة إلى قولهم ان اجتمعوا أو قول بعضهم إن تفرقوا وكذلك نقول ولم نخرج من أقاويلهم كلهم * وقال الشافعي وقد أثني الله على الصحابة في التوراة والانجيل والقرآن وسبق لهم على لسان نبيهم صلي الله عليه وسلم من الفضل ماليس لأحد بعدهم * وقال أبو حنيفة إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وإذا جاء عن الصحابة نختار من قولهم ولم نخرج عنه * وقال ابن القاسم سمعت مالكا يقول لما دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام نظر اليهم رجل

Digitized by Google

من أهل الكتاب فقال ما كان أصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً من هؤلاء * وقد شهد لهم الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى بانهم خير القرون على الاطلاق كما شهد لهم ربهم تبارك وتعالى بانهم خير الأمم على الاطلاق وعلماؤهم وتلاميذهم هم الذين ملاؤا الأرض علماً فعلماء الاسلام كلهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وهلم جرا وهؤلاء الائمة الأربعة الذين طبق عامهم الارض شرقاً وغرباً هم تلاميذ تلاميذهم وخيار ماعندهم ما كان عن الصحابة وخيار الفقه ما كان عنهم وأصح التفسير ما أخذ عنهم ٠٠ وأما كلامهم في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقضائه وقدره ففي أعلى المراتب فمن وقف عليه وعرف ماقالته الأنبياء عرف انه مشتق منه مترجم عنه وكل علم نافع في الأمة فهو مستنبط من كلامهم ومأخوذ عنهم وهؤلاء تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم قد طبقت تصانيفهم وفتاويهم الارض فهذا مالك جمعت فتاويه في عدة أسفار وكذلك أبوحنيفة وهذه تصانيف الشافعي تقارب المائة وهذا الامام أحمد بلغت فتاويه وتآليفه نحو مائة سفر وفتاويه عندنا في نحو عشرين سفراً وغالب تصانيفه بل كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وهذا غلامهم المتأخر شيخ الاسلام ابن تيمية جمع بعض أصحابه فتاواه في ثلاثين مجلداً ورأيتها في الديار المصرية وهذه تآليف أئمة الاسلام التي لايحصيها إلا الله وكلهم من أولهم الى آخرهم يقر للصحابة بالعلم والفضل ويعترف بان عامه بالنسبة إلى علومهم كعلومهم بالنسبة الى علم نبيهم * وفي الثقفيات حدثنا قتيبة بن سعيد عن سعيد بن عبد الرحمن المعافري عن أبيه أن كعباً رأى حبر اليهود يبكي فقال له مايبكيك قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله ان أخبرتك ما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال رب اني أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب فانشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمراً قالوا نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب فانشدك الله اتجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني اجد امة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله واذا هبط حمد الله الصعيد طهورهم والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون

Digitized by Google

من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غراً محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسي قال الحبر نعم قال كعب فانشدك الله أتجد في كتاب الله ان موسي نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب فاصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة احمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله أتجد في كتاب الله ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم أحد إلا من بريء من الحسنات مثل ما بريء الحجر من ورق الشجر قال موسى فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى قال الحبر نعم فلما عجب موسي من الخير الذي أعطي الله محمداً وأمته قال ليتني من أصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن ياموسي إني اصطفيتك على الناس الآية * ومن قوم موسي أمة يهدون بالحق وبه يعدلون * وكتبنا له في الألواح الآية قال فرضي موسي كل الرضا وهذه الفصول بعضها في هذه التوراة التي بايديهم وبعضها في نبوة شعيا وبعضها في نبوة غيره والتوراة أعم من التوراة المعينة وقد كان الله سبحانه كتب لموسي في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فلما كسرها رفع منها الكثير وبقي خير كثير فلا يقدح في هذا النقل جهل أكثر أهل الكتاب به فلا زال في العلم الموروث عن الانبياء شيء لا يعرفه الا الآحاد من الناس أو الواحد وهذه الامة على قرب عهدها بنبيها في العلم الموروث عنه ما لا يعرفه الا الافراد القليلون جداً من أمته وسائر الناس منكر له وجاهل به * وسمع كعب رجلا يقول رأيت في المنام كأن الناس جمعوا للحساب فدعي الأنبياء فجاء مع كل نبي أمة ورأيت لكل نبي نورين ولكل من اتبعه نوراً يمشي بين يديه فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما فقال كعب من حدثك بهذا قال رؤيا رأيتها في منامي قال أنت رأيت هذا في منامك قال نعم قال والذي نفسي بيده إنها لصفة محمد وأمته وصفة الانبياء وأممهم لكأنما قرأتها من كتاب الله * وفي بعض الكتب القديمة ان عيسي بن مريم صلوات الله وسلامه عليه قيل له ياروح الله هل بعد هذه الامة أمة قال نعم قيل وأية أمة قال أمة أحمد قيل ياروح الله وما أمة أحمد قال علماء حكماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضي الله منهم باليسير من العمل يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله * وقال كعب علماء هذه الآمة

كأنبياء بني اسرائيل وفيه حديث مرفوع لا أعرف حاله * ثم نقول وما يدريكم معاشر المثلثة وعباد الصلبان وأمة اللعنة والغضب بالفقه والعلم وتسمي هذا الاسم حيث تسلبونه أصحاب محمد الذين هم وتلاميذهم كأنبياء بني اسرائيل وهل يميز بين العلماء والجهال ويعرف مقادير العلماء الا من هو من جملتهم ومعدود في زمرتهم فأما طائفة شبه الله علماءهم بالحمير التي تحمل أسفارا وطائفة علماؤها يقولون في الله مالا ترضاه أمة من الأمم فيمن تعظمه وتجله وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتر على الله وعلى أنبيائه فمثلها مثل عريان يحارب شاكي السلاح ومن سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالأحجار ولا يستكثر على من قال في الله ورسوله ماقال أن يقول في أعلم الخلق أنهم عوام فليهن أمة الغضب عالم المشنا والتلمود وما فيهما من الكذب على الله وعلى كليمه موسى وما يحدث لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت وليهنهم علوم دلتهم على أن الله ندم على خلق البشر حتى شق عليه وبكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة ودلتهم على أن يناجوا في صلاتهم بقولهم يا إلهنا إنتبه من رقدتك كمتنام يخونه حتى يتنحى لهم وينفذ دولتهم وليهن أمة الضلال علومهم التي فارقوا بها جميع شرائع الأنبياء وخالفوا بها المسيح خلافاً تحققه علماؤهم في كل أمره كما ستمر بك وعلومهم التي قالوا بها في رب العالمين ماقالوا مما كادت السموات تنشق منه والأرض تنفطر والجبال تنهد لولا إن أمسكها الحليم الصبور وعلومهم التي دلتهم على التثليث وعبادة خشبة الصلب والصور المدهونة بالسيرقون والزنجفر ودلتهم على قول عالمهم أفريم أن اليد التي جبلت طينة آدم هي التي علقت على الصلبوت وأن البشر الذي ذرعت به السموات هو الذي سمر على الخشبة وقول عالمهم عرنقودس من لم يقل ان مريم والدة الله فهو خارج عن ولاية الله * قال السائل نري في دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه كالزنا واللواط والخيانة والحسد والبخل والغرور والجبن والتكبر والخيلاء وقلة الورع واليقين وقلة الرحمة والمروءة والحمية وكثرة الهلع والتكالب على الدنيا والكسل في الخيرات وهذا الحال يكذب لسان المقال والجواب من وجوه * أحدها أن يقال ماذا على الرسل الكرام من معاصي أممهم وأتباعهم وهل يقدح ذلك شيئاً في نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم وهل سلم من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعصية بعض أتباعهم لهم وهل هذا إلا من أقبح التعنت وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب تنال به غاية عافيته فقال لو كنت طبيباً لم يكن فلان

Digitized by Google

وفلان وفلان مرضي وهل يلزم الرسل أن يشفوا جميع المرضي بحيث لايبقي في العالم مريض هل يعنت أحد من الناس الرسل بمثل هذا التعنت • الوجه الثاني أن الذنوب والمعاصي أمر مشترك بين الأمم لم يزل في العالم من طبقات بني آدم عالمهم وجاهلهم وزاهدهم في الدنيا وراغبهم وآمرهم ومأمورهم وليس ذلك أمراً خصصت به هذه الأمة حتى يقدح به فيها وفي نبيها • الوجه الثالث أن الذنوب والمعاصي لاتنافي الايمان بالرسل بل يجتمع في العبد الاسلام والايمان والذنوب والمعاصي فيكون فيه هذا وهذا فالمعاصي لاتنافي الايمان بالرسل وان قدحت في كماله وتمامه • الوجه الرابع أن الذنوب تغفر بالتوبة النصوح فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء وعدد الرمل والحصا ثم تاب منها تاب الله عليه قال تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) فهذا في حق التائب فان التوبة تجب ماقبلها والتائب من الذنب كمن لاذنب له والتوحيد تكفير الذنوب كما في الحديث الصحيح الالهي ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحد إن قوي التوحيد على محو آثارها بالكلية وإلا فما معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم وأما المشركون والكفار فان شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة ولا يكفر لهم شيء من ذنوبهم قال تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى في حق الكفار والمشركين (وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الله أن يقبل من مشرك عملا فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح والتوحيد الخالص والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لها وشفاعة الشافعين في الموحدين في آخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فانه يحبط جميع الحسنات بحيث لاتبقى معه حسنة • الوجه الخامس أن يقال لمورد هذا السؤال إن كان من الأمة الغضبية إخوان القرود ألا يستحي من إيراد هذا السؤال من آباؤه وأسلافه كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات مالم يره غيرهم من الأمم وقد فاق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ولما ذهب لميقات ربه لم يمهلوه أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ وغلب أخوه هرون معهم ولم يقدر على الانكار عليهم وكانوا مع مشاهدتهم تلك الآيات

Digitized by Google

والعجائب يهمون برجم موسى وأخيه هرون في كثير من الأوقات والوحي بين أظهرهم ولما ندبهم الى الجهاد قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وآذوا موسي انواع الأذى حتي قالوا إنه آدر (أى منتفخ الخصية) ولهذا يغتسل وحده واغتسل يوماً ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فعدا خلفه عرياناً حتي نظر بنو إسرائيل إلى عورته فرأوه احسن خلق الله متجرداً ولما مات اخوه هرون قالوا إن موسى قتله وغيبه فرفعت الملائكة لهم تابوته بين السماء والارض حتى عاينوه ميتاً وآثروا العود إلى مصر وإلى العبودية ليشبعوا من اكل اللحم والبصل والقثاء والعدس هكذا عندهم والذي حكاه الله عنهم أنهم آثروا ذلك علي المن والسلوي وإنهما كهم على الزنا وموسي بين اظهرهم وعدوهم بازائهم حتي ضعفوا عنهم ولم يظفروا بهم وهذا معروف عندهم وعبادتهم الاصنام بعد عصر يوشع بن نون معروف وتحيلهم على صيد الحيتان في يوم السبت لاتنسه حتي مسخوا قردة خاسئين وقتلهم الأنبياء بغير حق حتي قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً في أول النهار وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنما وذلك أمر معروف وقتلهم يحيي بن زكريا ونشرهم أباه بالمنشار وإصرارهم على العظام واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة ورميهم لوطاً بانه وطئ ابنتيه وأولدهما ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتي الشق الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب وهذا لو رآه أشقى الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه وطاعتهم للخارج على ولد سليمان بن داود لما وضع لهم كبشين من ذهب فعكفت جماعتهم على عبادتهما الى أن جرت الحرب بينهم وبين المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان وقتل منهم في معركة واحدة ألوف مؤلفة أفلا يستحي عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم أولا تستحي ذرية قتلة الانبياء من تعيير المجاهدين لاعداء الله فاين ذرية من سيوف آبائهم تقطر من دماء الانبياء ممن تقطر سيوفهم من دماء الكفار والمشركين أولا يستحي من يقول في صلاته لربه انتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك يخيه بذلك ويحميه من تعيير من يقول في صلاته الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصا والرمال والتراب والانفاس مابلغت مبلغ قتل نبي واحد ولا وصلت الى قول إخوان القرود إن الله فقير ونحن أغنياء وقولهم عزير بن الله وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم ان الله بكي على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت الملائكة تعوده وقولهم أنه عض أنامله على ذلك وقولهم أنه ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأي من

Digitized by Google

معاصيهم وظلمهم وأعظم من ذلك نسبة هذا كله الى التوراة التي أنزلها على كليمه فلو بلغت ذنوب المسلمين مابلغت لكانت في جنب ذلك كتفلة في بحر ولا تنس قصة أسلافهم مع شاؤل الخارج على داود فان سوادهم الاعظم انضم اليه وشدوا معه على حرب داود ثم لما عادوا الى طاعة داود وجاءت وفودهم وعساكرهم مستغفرين معتذرين بحيث احتصموا في السبق اليه فنبغ منهم شخص ونادي بأعلى صوته لانصيب لنا في داود ولاحظ في شاؤل ليمض كل منكم الى خبائه يا اسرائيليين فلم يكن باوشك من أن ذهب جميع عسكر بني اسرائيل الى أخيتهم بسبب كلمته ولما قتل هذا الصائح عادت العساكر جميعها الى خدمة داود فما كان القوم الا مثل هيج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصى

فصل وهذه الامة الغضبية وان كانوا مفترقين افتراقاً كثيرا فيجمعهم فرقتان القرابون والربانيون وكان لهم أسلاف فقهاء وهم صنفوا لهم كتابين أحدهما يسمي المشنا ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة والثاني يسمى التلمود ومبلغه قريب من نصف حمل بغل ولم تكن المؤلفون له في عصر واحد وانما ألفوه في جيل بعد جيل فلما نظر متأخروهم الى ذلك وانه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه وفي الزيادات المتأخرة ماينقض كثيرا من أوله علموا أنهم ان لم يقفلوا باب الزيادة والا أدي الى الخلل الفاحش فقطعوا الزيادة وحظروها على فقهائهم وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوقف الكتاب على ذلك المقدار وكان فقهاؤهم غيروا ملتهم وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبائح من لم يكن على دينهم لانهم علموا أن دينهم لايبقى عليهم مع كونهم تحت الذل والعبودية وقهر الامم لهم الا أن يصدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم وغيروا عليهم مناكحتهم والاكل من ذبائحهم ولم يمكنهم ذلك الابحجة يبتدعونها من أنفسهم ويكذبون فيها على الله فان التوراة انما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الامم لئلا يوافقون أزواجهن في عبادة الاصنام والكفر بالله وانما حرمت عليهم أكل ذبائح الامم التي يذبحونها قربانا للاصنام لأنه سمي عليها غير اسم الله فاما ماذكر عليه اسم الله وذبح لله فلم تتعلق التوراة بتحريمه البتة بل نطقت بأباحة أكلهم من أيدي غيرهم من الامم وموسي إنما نهاهم عن مناكحة عباد الاصنام خاصة وأكل مايذبحونه باسم الاصنام قالوا التوراة حرمت علينا أكل الطريفا قيل لهم الطريفا هي الفريسة التي يفترسها الأسد والذئب أوغيرهما من السباع كما قال في التوراة ولحم في الصحراء فريسة لاتأكلوا وللكلب القوه فلما نظر فقهاؤهم الى أن التوراة غير ناطقة بتحريم ماكل الامم عليهم إلا عباد الاصنام وصرحت التوراة

Digitized by Google

بأن تحريم مؤاكلتهم ومخالطتهم خوف استدراج المخالطة الى المناكحة والمناكحة قد تستتبع الانتقال من دينهم الى دينهم وموافقتهم في عبادة الاوثان ووجدوا جميع هذا واضحاً في التوراة احتالوا كتابا سموه هلكث شحيطا وتفسيره علم الذباحة ووضعوا فى هذا الكتاب من الآصار والاغلال ماشغلوهم به عما هم من الذل والصغار والخزي فامروهم فيه أن ينفخوا الرئة حتى يملؤها هواء ويتأملونها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا فان خرج منها الهواء حرموه وان كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه وأمروا الذي يتفقد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه فان وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو أحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرموه ولم يأكلوه وسموه طريفا ومعني هذه اللفظة عندهم أنه نجس حرام وهذه التسمية عدوان منهم فان معناها في لغتهم هي الفريسة التي يفترسها السبع ليس لها معني في لغتهم سواه وكذلك عندهم في التوراة ان إخوة يوسف لما جاؤا بقميصه ملطخاً بالدم قال يعقوب في جملة كلام طاروف طوراف يوسيف تفسيره وحش ردي أكله افتراساً افترس يوسف وفي التوراة ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا فهذا الذي حرمته التوراة من الطريفا وهذا نزل عليهم وهم في التيه وقد اشتد قرمهم الى اللحم فنعوا من أكل الفريسة والميتة ثم اختلفوا في خرافات وهذيانات تتعلق بالرئة وقالوا ما كان من الذبيح سليما من هذه الشروط فهو دخيا وتفسيره طاهر وما كان خارجاً عن ذلك فهو طريفا وتفسيره نجس حرام ثم قالوا معني قوله في التوراة ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوه للكلب ألقوه يعني اذا ذبحتم ذبيحة ولم يوجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم قالوا ومعنى قوله للكلب القوه أي لمن ليس على ملتكم فهو الكلب فأطعموه إياه بالثمن فتأمل هذا التحريف والكذب على الله وعلى التوراة وعلى موسي وكذلك كذبهم الله على لسان رسوله في تحريم ذلك فقال في السورة المدنية التي خاطب فيها أهل الكتاب (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) وقال في الانعام (قل لاأجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الاأن يكون ميتة أو دما مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم) فهذا تحريم زائد على تحريم الاربعة المتقدمة وقال في

Digitized by Google

سورة النحل وهي بعد هذه السورة نزولا (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصناعليك من قبل) فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن فلما نظر القرابون منهم وهم أصحاب عانان وبنيامين الى هذه المحالات الشنيعة والافتراء الفاحش والكذب البارد على الله وعلى التوراة وعلى موسى وان أصحاب التلمود والمشنا كذابون على الله وعلى التوراة وعلى موسى وانهم أصحاب حماقات ورقاعات وان أتباعهم ومشايخهم يزعمون أن الفقهاء منهم كانوا اذا اختلفوا في مسئلة من هذه المسائل وغيرها يوحي الله اليهم بصوت يسمعونه الحق فى هذه المسئلة مع الفقيه فلان ويسمون هذا الصوت بث قول فلما نظر القرابون الى هذا الكذب والالحاد قالوا قد فسق هؤلاء ولا يجوز قبول خبر فاسق ولا فتواه فخلفوهم في سائر ما أصلوه من الامور التي لم ينطق بها نص التوراة وأما تلك الترهات التي الفها فقهاؤهم الذين يسمونهم الحخاميم في علم الذباحة ورتبوها ونسبوها الى الله فاطرحها القرابون كلها وألقوها وصاروا لايحرمون شيئاً من الذبائح التي يتولون ذبحها البتة ولهم فقهاء أصحاب تصانيف الا أنهم لا يبالغون فى الكذب على الله وهم أصحاب ظواهر مجردة والاولون أصحاب استنباط وقياسات . والفرقة الثانية يقال لهم الربانون وهم أكثر عددا وفيهم الحخاميم الكذابون على الله الذين زعموا ان الله كان يخاطب جميعهم فى كل مسئلة بالصوت الذي يسمونه بث قول وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الامم فان الحخاميم أو هموهم بأن الذبائح لايحل منها الا ماكان على الشروط التي ذكروها فان سائر الامم لاتعرف هذا وانه شئ خصوا به وميزوا بهم عمن سواهم وان الله شرفهم به كرامة لهم فصار الواحد منهم ينظر الى من ليس على نحلته كما ينظر الى الدابة وينظر الى ذبائحه كما ينظر الى الميتة واما القرابون فاكثرهم خرجوا الى دين الاسلام ونفعهم تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها الى ان لم يبق منهم إلا القليل لأنهم أقرب استعدادا لقبول الاسلام لامرين .. أحدهما اساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله وطعنهم عليهم .. الثانى تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها وابطال معانيها واما أولئك الربانون فان فقهاءهم وخخاميمهم حصروهم فى مثل سم الخياط بما وضعوا لهم من التشديدات والآصار والاغلال المضافة الى الآصار والاغلال التي شرعها الله عقوبة لهم وكان لهم في ذلك مقاصد .. منها انهم قصدوا بذلك مبالغتهم فى مضادة مذاهب الامم حتى لايختلطوا بهم فيؤدي اختلاطهم بهم الى موافقتهم والخروج من السبت واليهودية .. القصد الثاني أن اليهود مبددون في شرق الارض وغربها وجنوبها وشمالها كما قال تعالى (وقطعناهم فى الارض

أعما) وما من جماعة منهم فى بلدة الا اذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة فى دينه والمبالغة فى الاحتياط فان كان من فقهائهم شرع فى إنكار أشياء عليهم يوهمهم قلة دينهم وعلمهم وكلما شددعليهم قالوا هذا هو العالم فأعلمهم أعظمهم تشديداً عليهم فتواه أول ماينزل عليهم لا يأكل من أطعمتهم وذبائحهم ويتأمل سكين الذباح ويشرع فى الانكار عليه ببعض أمره ويقول لا آكل الا من ذبيحة يدي فتراهم معه فى عذاب ويقولون هذا عالم غريب قدم علينا فلا يزال ينكر عليهم الحلال ويشدد عليهم الآصار والاغلال ويفتح لهم أبواب المكر والاحتيال وكلما فعل هذا قالوا هذا هو العالم الرباني والحبر الفاضل فاذا رآه رئيسهم قد مشي حاله وقبل بينهم مقاله آزر نفسه معه لانه اذا ازدري به وطعن عليه لم يقبل منه فان الناس فى الغالب يميلون مع الغريب وينسبه أصحابه الى الجهل وقلة الدين ولا يصدقونه لأنهم يرون القادم قد شدد عليهم وضيق وكلما كان الرجل أعظم تضييقاً وتشديداً كان أفقه عندهم فينصرف عن هذا الرأى فيأخذ في مدحه وشكره فيقول لقد عظم الله ثواب فلان إذ قوي ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة وشيداساسه واحكم سياج الشرع فيبلغ القادم قوله فيقول ماعندكم أفقه منه ولا اعلم بالتوراة ولذا لقيه يقول لقد زين الله بك أهل بلدنا ونعش بك هذه الطائفة وان كان القادم عليهم حبراً من أحبارهم فهناك تري العجب العجيب من الناموس التي تراه يعتمده والسنن التي يحدثها ولا يعترض عليه أحد بل تراهم مسلمين له وهو يحتلب درّهم ويجتلب درهمهم واذا بلغه عن يهودى طعن عليه صبر عليه حتى يرى منه جلوسا على قارعة الطريق يوم السبت أو يبلغه انه يشتري من مسلم لبناً أو خمراً أو خرج عن بعض أحكام المشنا والتلمود فحرمه بين ملأ اليهود وأباحهم عرضه ونسبه الى الخروج عن اليهودية فيضيق به البلدعلى هذه الحال فلا يسعه إلاأن يصلح مابينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال فيقول لليهود إن فلاناً قد أبصر رشده وراجع الحق وأقلع عما كان فيه وهو اليوم يهودى على الوضع فيعودون له بالتعظيم والاكرام * وأذكر لك مسئلة من مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ تعرف بمسئلة البياما والجالوس وهي ان عندهم في التوراة اذا أقام اخوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا تصير امرأة الميت الى رجل أجنبي بل ابن حميها ينكحها وأول ولد يولدها ينسب الى أخيه الدارج فان أبي ان ينكحها خرجت متشكية الى مشيخة قومه قائلة قد أبي ابن حمي أن يستبقى إسما لأخيه في بني اسرائيل ولم يرد نكاحي فيحضره ويكلفه أن يقف

Digitized by Google

ويقول ماأردت نكاحها فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق في وجهه وتنادى عليه كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه ويدعي فيما بعد بالخلوع النعل وينتبز بنوه بهذا اللقب وفي هذا كالتلجئة له الى نكاحها لانه اذا علم انه قد فرض على المرأة وعليه ذلك فربما استحيا وخجل من شيل نعله من رجله والبصق في وجهه ونبزه باللقب المستكره الذى يبقى عليه وعلى أولاده عاره ولم يجد بداً من نكاحها فان كان من الزهد فيها والكراهة لها بحيث يرى ان هذا كله أسهل عليه من أن يبتلى بها وهان عليه هذا كله فى التخلص منها لم يكره على نكاحها هذا عندهم فى التوراة ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو أن يكون مريداً للمرأة محباً لها وهى فى غاية الكراهة له فأحدثوا لهذا الفرع حكما فى غاية الظلم والفضيحة فاذا جاءت الى الحاكم أحضروه معها ولقنوها ان تقول ان ابن حمي لا يقيم لاخيه إسما فى بني اسرائيل ولم يرد نكاحي وهو عاشق لها فيلزمونها بالكذب عليه وانها أرادته فامتنع فاذا قالت ذلك ألزمه الحاكم ان يقوم ويقول ماأردت نكاحها ونكاحها غاية سؤله وأمنيته فيأمرونه بالكذب عليها فيخرج نعله من رجله الا انه لامساك هنا ولاضرب بل يبصق فى وجهه وينادي عليه هذا جزاء من لا يبني بيت أخيه فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتي أقاموه مقام الخزي وألزموه بالكذب والبصاق فى وجهه والعتاب على ذنب جره غيره كما قيل

وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

أفلا يستحي من تعيير المسلمين من هذا شرعه ودينه ولا يستبعد اصطلاح الامة الغضبية على المحال واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال فان الدولة اذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها ودرست معالم دينها وآثارها وتعذر الوقوف على الصواب الذي كان عليه أولها وأسلافها لأن زوال الدولة عن الامة انما يكون بتتابع الغارات وخراب البلاد واحراقها وجلاء أهلها عنها فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها الى ان تستحيل رسوم دياناتها وتضمحل أصول شرعها وتتلاشى قواعد دينها وكلما كانت الامة أقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالاذلال والصغار كان حظها من اندراس دينها أوفر وهذه الامة الغضبية أوفر الامم حظاً من ذلك فانها من أقدم الأمم عهدا واستولت عليها سائر الأمم من الكنعانيين والكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصاري ومامن هذه الامم أمة الا وقصدت استئصالهم واحراق كتبهم وتخريب بلادهم حتى لم يبق لهم مدينة ولا جيش ولا حصن الا بأرض الحجاز وخيبر فأعز

ما كانوا هناك فلما قام الاسلام واستعلن الرب تعالى من جبال فاران صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبي وتخريب الديار ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فكتب الله عليهم الجلاء وشتتهم ومزقهم بالاسلام كل ممزق ومع هذا فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين ولا آمن فان الذي نالهم من النصاري والفرس وعباد الأصنام لم ينلهم من المسلمين مثله وكذلك الذى نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في طلبهم وعبدوا الأصنام وأحضروا من البلاد سدنة الأصنام لتعظيمها وتعظيم رسومها في العبادة وبنوا لها البيع والهياكل وعكفوا على عبادتها وتركوا لها أحكام التوراة وشرع موسى أزمنة طويلة وأعصاراً متصلة فاذا كان هذا شأنهم مع ملوكهم فما الظن بشأنهم مع أعدائهم أشد الأعداء عليهم كالنصارى الذين عندهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وكالفرس والكلدانيين وغيرهم وكثيراً مامنعهم ملوك الفرس من الختان وجعلوهم قلفاً وكثيراً مامنعوهم من الصلاة لمعرفتهم بان معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار وعلى بلادهم بالخراب إلا أرض كنعان فلما رأوا أن صلاتهم هكذا منعوهم من الصلاة فرأت اليهود أن الفرس قد جدوا فى منعهم من الصلاة اخترعوا أدعية مزجوا بها صلاتهم سموها الخزانة وضعوا لها ألحاناً عديدة وصاروا يجتمعون على تلحينها وتلاوتها والفرق بين الخزانة والصلاة أن الصلاة بغير لحن ويكون المصلى فيها وحده والخزانة بلحن يشاركه غيره فيه فكانت الفرس إذا أنكروا ذلك عليهم قالت اليهود نحن نغني ونتوح على أنفسنا فيخلون بينهم وبين ذلك فجاءت دولة الاسلام فأمنوا فيها غاية الأمن وتمكنوا من صلاتهم في كنائسهم واستمرت الخزانة سنة فيهم في الأعياد والمواسم والأفراح وتعوضوا بها عن الصلاة والعجب أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم ومسخ أسلافهم قردة لقتلهم الأنبياء وعدوانهم في السبت وخروجهم عن شريعة موسي والتوراة وتعطيلهم لأحكامها يقولون في كل يوم في صلاتهم محبة الدهر أحبنا ياإلهنا ياأبانا أنت أبونا منقذنا ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه وأنهم سيقيم الله لهم نبياً من آل داود اذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود وهو بزعمهم المسيح الذي وعدوا به وينبهون الله بزعمهم من رقدته فى صلاتهم ويخونه ويحمونه تعالى الله عن إفكهم وضلالهم علواً كبيراً وضلال هذه الأمة الغضبية وكذبها

Digitized by Google

وافتراؤها على الله ودينه وأنبيائه لامزيد عليه وأما أكلهم الربا والسحت والرشا واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت وشدة الحرص على الدنيا وقسوة القلوب والذل والصغار والحزى والتحيل على الاغراض الفاسدة ورمي البرآء بالعيوب والطعن على الأنبياء فأرخص شيء عندهم وماعيروا به المسلمين مما ذكروه ومما لم يذكروه فهو في بعضهم وليس فى جميعهم ونبيهم وكتابه ودينه وشرعه بريء منه وما عليه من معاصى أمته وذنوبهم فالى الله إيابهم وعلى الله حسابهم * وإن كان المعير للمسلمين من أمة الضلال وعباد الصليب والصور المدهونة في الحيطان والسقوف فيقال له ألا يستحي من أصل دينه الذى يدين به اعتقاده أن رب السموات والارض تبارك وتعالى نزل عن كرسى عظمته وعرشه ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض فالتحم ببطنها وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم طمث ثم خرج الى القماط والسرير كلما بكي ألقمته أمه ثديها ثم انتقل الى المكتب بين الصبيان ثم آل أمره الى لطم اليهود خديه وصفعهم قفاه وبصقهم في وجهه ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصبة في يده استخفافاً به وانتهاكا لحرمته ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه فشدوه عليه وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب هذا وهو بزعمهم خلق السموات والأرض وقسم الأرزاق والآجال ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه مانالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن فى الجحيم ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس فان روح آدم وابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن إبليس في النار حتى خلصهامن سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه وأما قولهم في مريم فانهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة ووالدته في الحقيقة لا أم لابن الله إلا هي ولا والدة له غيرها ولا أب لابنها إلا الله ولا ولد له سواه وان الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وإبنه من بين سائر النساء ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطيء الرجال لها ولكن اختصت من النساء بأنها حبلت بابن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ولا والد له سواه وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تعالى والد إبنها وإبنها عن يمينه والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر ومغفرة الذنوب وأن يكون لهم عند إبنها ووالده الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها ولا ينكرون ذلك عليهم سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً ويقولون في دعائهم ياوالدة الاله إشفعي لنا

Digitized by Google

وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ويسألونها مايسأل الاله من العافية والرزق والمغفرة حتى إن اليعقوبية تقول في مناجاتهم لها يامريم يا والدة الاله كوني لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً والنسطورية تقول ياوالدة المسيح كوني لنا كذلك ويقولون لليعقوبية لا تقولوا ياوالدة الاله وقولوا ياوالدة المسيح فقالت لهم اليعقوبية المسيح عندنا وعندكم إله في الحقيقة فأى فرق بيننا وبينكم في ذلك ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد هذا والاوقاح الارجاس من هذه الامة تعتقد أن الله سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده وتخطاها كما يتخطى الرجل المرأة قال النظام بعد أن حكى ذلك عنهم وهم يفصحون بهذا عند من يثقون به وقد قال ابن الاخشيد هذا عنهم في المعونة وقال اليه يشيرون ألا ترى أنهم يقولون من لم يكن والداً يكون عقيما والعقم آفة وعيب وهذا قول جميعهم والى المباضعة يشيرون ومن خالط القوم وطاولهم وباطنهم عرف ذلك منهم فهذا كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له ولهذا قال فيهم أحد الخلفاء الراشدين أهينوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك وكذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك أما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد وأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته فلو أتى الموحدون بكل ذنب وفعلوا كل قبيح وارتكبوا كل معصية ما بلغت مثقال ذرة في هذا الكفر العظيم برب العالمين ومسبته هذا السب وقول العظائم فيه فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعله بهم اذا لقوه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ويسأل المسيح على رؤس الاشهاد وهم يسمعون (ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فيقول المسيح مكذباً لهم ومتبرأ منهم (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) فهذا اصل دينهم واساسه الذي قام عليه .. واما فروعه وشرائعه فهم مخالفون للمسيح في جميعها وا كثر ذلك بشهادتهم وإقرارهم ولكن يحيلون على البتاركة والاساقفة فان المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة ويغتسل من الجنابة ويوجب غسل الحائض وطوائف

Digitized by Google

النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب وان الانسان يقوم من على بطن المرأة ويبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر والبول والنجو يحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره فضلا عن أن يفسو أو يضرط ويقولون ان الصلاة بالجنابة والبول والغائط افضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذ ابعد من صلاة المسلمين واليهود واقرب الى مخالفة الأمتين ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه وهذه الصلاة رب العالمين بريء منها وكذلك المسيح وسائر النبيين فان هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة وحاش المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الحواريين والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الانبياء وبنو اسرائيل يقرؤنه في صلاتهم من التوراة والزبور وطوائف النصارى إنما يقرؤن في صلاتهم كلاما قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم يجري مجرى النوح والاغاني فيقولون هذا قداس فلان وفلان ينسبونه الى الذين وضعوه وهم يصلون الى الشرق • وما صلى المسيح الى الشرق قط وما صلى الى أن توفاه الله الا الى بيت المقدس وهي قبلة داود والانبياء قبله وقبلة بني اسرائيل • والمسيح اختتن وأوجب الختان كما أوجبه موسى وهرون والانبياء قبل المسيح • والمسيح حرم الخنزير ولعن آكله وبالغ في ذمه والنصارى تقر بذلك وانى الله ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة والنصارى تتقرب اليه بأكله • والمسيح ماشرع لهم هذا الصوم الذى يصومونه قط ولا صامه في عمره مرة واحدة ولا أحد من أصحابه ولا صام صوم العذارى في عمره ولا أكل في الصوم ما يأكلونه ولا حرم فيه ما يحرمونه ولا عطل السبت يوماً واحد حتى لقى الله ولا اتخذ الأحد عيدا قط والنصارى تقر أنه رقى مريم المجد لانية فأخرج منها سبع شياطين وان الشياطين قالت له أين نأوى فقال لها اسلكي هذه الدابة النجسة يعني الخنزير فهذه حكاية النصارى عنه وهم يزعمون أن الخنزير من أطهر الدواب وأحلها والمسيح سار في الذبائح والمناكح والطلاق والمواريث والحدود سيرة الانبياء قبله وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في الآخرة لأن القس والراهب يغفره لهم فكلما أذنب أحدهم ذنبا أهدى للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره ليغفر له به واذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قبل ذلك منها وتبرك به • وهم يقرون أن المسيح قال انما جئتكم لاعمل بالتوراة وبوصايا الانبياء قبلي وما جئت ناقضا بل متمما ولأن تقع السماء على الارض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ومن نقض شيئاً من ذلك يدعا ناقضا

Digitized by Google

في ملكوت السماء وما زال هو وأصحابه كذلك الى أن خرج من الدنيا وقال لاصحابه اعملوا بما رأيتموني أعمل وأرضوا من الناس بما رضيتكم به ووصوا الناس بما وصيتكم به وكونوا معهم كما كنت معكم وكونوا لهم كما كنت لكم وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب الى الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح أنه ساحر مجنون ممخرق ولد زانية فقالوا هو إله تام وهو ابن الله ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة ورأوهم يجتنبون مؤاكلة الحائض وملامستها جملة فجامعوها ورأوهم يحرمون الخنزير فاباحوه وجعلوه شعار دينهم ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل الى البعوضة وقالوا كل ماشئت ودع ماشئت لا حرج ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لاساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ماشاؤا ويحللوا ماشاؤا ويحرموا ماشاؤا ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموهم الاحد وأحلوا السبت مع اقرارهم بان المسيح كان يعظم السبت ويحفظه ورأوهم ينفرون من الصليب فان في التوراة ملعون من تعلق بالصليب والنصاري تقر بهذا فعبدوا هم الصليب كما ان في التوراة تحريم الخنزير نصا فتعبدوا هم باكله وفيها الامر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع اقرار النصاري بأن المسيح قال لاصحابه إنما جئتكم لاعمل بالتوراة ووصايا الانبياء قبلي وما جئت ناقضا بل متمما ولان تقع السماء على الارض أيسر عند الله من أن أنقض شريعة موسي فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود ومناقضتهم وانضاف الى هذا السبب مافي كتابهم المعروف بافركسيس ان قوماً من النصاري خرجوا من بيت المقدس وأنطاكية وغيرها من الشام فدعوا الناس الى دين المسيح الصحيح ودعوهم الى العمل بالتوراة وتحريم ذبائح من ليس من أهلها والى الختان واقامة السبت وتحريم الخنزير وتحريم ماحرمته التوراة فشق ذلك على الامم وأستثقلوه فاجتمع النصارى ببيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الامم فيحببوهم في دين المسيح ويدخلوهم فيه فاتفق رأيهم على مداخلة الامم والترخيص لهم والاختلاط بهم وأكل ذبائحهم والانحطاط في أهوائهم والتخلق بأخلاقهم وأنشاء شريعة تكون بين شريعة الانجيل وما عليه الامم وأنشأوا في ذلك كتاباً فهذا أحد مجامعهم الكبار وكانوا كلما أرادوا إحداث شيء اجتمعوا مجمعاً وافترقوا فيه على مايريدون

Digitized by Google

إحداثه الى أن اجتمعوا المجمع الذي لم يجتمع لهم أكبر منه في عهد قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانية الفندقية وفي زمنه بدل دين المسيح وهو الذي أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد وكان عدتهم زهاء الفي رجل فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم وهو أصل الاصول عند جميع طوائفهم لايتم لاحد منهم نصرانية إلا به ويسمونه سنهودس وهي الأمانة ولفظها نؤمن بالله الاب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد اليسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول وولدته وأخذ وصلب وقتل أيام فيلاطس الرومي ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والاحياء ونؤمن بالرب الواحد روح القدس روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية وبقيام أبداننا والحياة الدائمة الى أبد الآبدين فصرحوا فيها بأن المسيح رب وابن الله وإنه بكر ليس له ولد غيره وأنه ليس بمصنوع أي ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق وانه إله حق انسل وولد من إله حق وانه مساو لأبيه في الجوهر وانه بيده اتقنت العوالم وهذه اليد التي أتقنت العوالم بها عندهم هي التي ذاقت حر المسامير كما صرحوا به في كتبهم وهذه ألفاظهم قالوا وقد قال القدوة عندنا أن اليد التي سمرها اليهود في الخشبة هي اليد التي عجنت طين آدم وخلقته وهي اليد التي شبرت السماء وهي اليد التي كتبت التوراة لموسى قالوا وقد وصفوا صنيع اليهود به وهذه ألفاظهم وإنهم لطموا الاله وضربوه على رأسه قالوا وفي بشارة الانبياء به أن الاله تحبل به امرأة عذراء وتلده ويؤخذ ويصلب ويقتل قالوا وأما سنودس دون الأثم قد اجتمع عليه سبعمائة من الاباء وهم القدوة وفيه أن مريم حبلت بالاله وولدته وأرضعته وسقته وأطعمته قالوا وعندنا وإن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه وابن مريم وربها وخالقها ورازقها قالوا وقد قال علماؤنا ومن هو القدوة عند جميع طوائفنا اليسوع في البدأ ولم يزل كلمة والكلمة لم تزل الله والله هو الكلمة فذاك الذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله هذه ألفاظهم قالوا فالقديم الازلي خالق السموات والارض

Digitized by Google

هو الذي عاينه الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم وهو الذي حبلت به مريم وخاطب الناس من بطنها حيث قال الأعمى ومن هو حتى أومن به قال هو المخاطب لك أبن مريم فقال آمنت بك وخر ساجداً قالوا فالذي حبلت به مريم هو الله وابن الله وكلمة الله وقالوا وهو الذي ولد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكتفت يداه وسمر وبصق في وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لاجل خلاص النصارى من خطاياهم قالوا وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولا عبد صالح بل هو رب الانبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة قالوا وليس مع أمه بمعنى الخلق والتدبير واللطف والمعونة فانه لايكون لها بذلك مزية على سائر الاناث ولا الحيوانات ولكنه معها بحبلها به واحتواء بطنها عليه فلهذا فارقت جميع أناث الحيوان وفارق إبنها جميع الخلق فصار الله وابنه الذي نزل من السماء وحبلت به مريم وولدته إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً ورباً واحداً وخالقاً واحداً لايقع بينهما فرق ولايبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه لافي حبل ولا في ولادة ولا في حال نوم ولا مرض ولا صلب ولا موت ولا دفن بل هو متحد به في حال الحبل فهو في تلك الحال مسيح واحد وخالق واحد وإله واحد ورب واحد وفي حال الولادة كذلك وفي حال الصلب والموت كذلك قالوا فمنا من يطلق في لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول مريم حبلت بالاله ومات الاله ومنا من يمتنع من هذه العبارة لبشاعة لفظها ويعطي معناها وحقيقتها ويقول مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة وولدت المسيح في الحقيقة وهي أم المسيح في الحقيقة والمسيح إله في الحقيقة ورب في الحقيقة وابن الله في الحقيقة وكلمة الله في الحقيقة لاابن لله في الحقيقة سواه ولا أب للمسيح في الحقيقة إلا هو قالوا فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال حبلت بالاله وولدت الاله وقتل الاله وصلب ومات ودفن وان منعوا اللفظ والعبارة قالوا وإنما منعنا هذه العبارة التي أطلقها إخواننا لئلا يتوهم علينا اذا قلنا حبلت بالاله وولدت الاله وألم الاله أن هذا كله حل ونزل بالاله الذى هو أب ولكنا نقول حل هذا كله ونزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيه فنحن واخواننا في الحقيقة شيء واحد لا فرق بيننا الا في العبارة فقط قالوا فهذا حقيقة ديننا وإيماننا والآباء والقدوة قد قالوه قبلنا وسنوه لنا ومهدوه وهم أعلم بالمسيح منا ولا تختلف المثلثة عباد الصليب من أولهم الى آخرهم أن المسيح ليس بنبي ولاعبد صالح ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه وانه إله تام من إله تام وانه خالق السموات والارضين والاولين والآخرين

Digitized by Google

ورازقهم ومحييهم ومميتهم وباعثهم من القبور وحاشرهم ومحاسبهم ومثيبهم ومعاقبهم والنصاري تعتقد أن الاب انخلع من ملكه كله وجعله لابنه فهو الذي يخلق ويرزق ويميت ويحي ويدبر أمر السموات والارض ألا تراهم يقولون في أمانتهم ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع الى قولهم بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الى قولهم وهو مستعد للمجيء تارة أخري لفصل القضاء بين الاموات والاحياء ويقولون في صلواتهم ومناجاتهم أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا وقد تضمن هذا كله تكذيبهم الصريح للمسيح وإن أوهمتهم ظنونهم الكاذبة أنهم يصدقونه فان المسيح قال لهم إن الله ربي وربكم وإلهي وإلهكم فشهد على نفسه أنه عبد مربوب مصنوع كما أنهم كذلك وانه مثلهم في العبودية والحاجة والفاقة الى الله وذكر أنه رسول الله الى خلقه كما أرسل الانبياء قبله ففي انجيل يوحنا أن المسيح قال في دعائه ان الحياة الدائمة إنما تجب للناس بان يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وانك أرسلت اليسوع المسيح وهذا حقيقة شهادة المسلمين أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وقال لبني إسرائيل تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذى سمعت الله يقوله فذكر ماغايته أنه رجل بلغهم ماقاله الله ولم يقل وانا إله ولا ابن الاله على معني النوالد وقال اني لم أجيء لا عمل بمشيئة نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني وقال ان الكلام الذي تسمعونه مني ليس من تلقاء نفسي ولكن من الذى أرسلني والويل لى إن قلت شيئاً من تلقاء نفسى ولكن بمشيئة من أرسلني وكان يواصل العبادة من الصلاة والصوم ويقول ماجئت لأخدم إنما جئت لأخدم فأنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله الله بها وهي منزلة الخدام وقال لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم ولكن الذى أرسلني هو الذي يلى ذلك منهم كل هذا بالانجيل الذى بأيدى النصارى ٠٠ وفيه أن المسيح قال يارب قد علموا إنك قد أرسلتني وقد ذكرت لهم اسمك فأخبر أن الله ربه وانه عبده ورسوله ٠ وفيه أن الله الواحد رب كل شيء أرسل ابن البشر الى جميع العالم ليقبلوا الى الحق ٠ وفيه انه قال ان الاعمال التى أعمل هي الشاهدات لي بان الله أرسلني الى هذا العالم ٠ وفيه ما أبعدني وأتعبنى ان أحدثت شيئاً من قبل نفسي ولكن أتكلم وأجيب بما علمني ربي ٠ وقال ان الله مسحنى وأرسلني وأنا عبد الله وإنما اعبد الله الواحد ليوم الخلاص ٠ وقال ان الله عزوجل ما أكل ولا يأكل وما شرب ولا يشرب ولم ينم ولا ينام وما ولد ولا يلد وما رآه أحد إلا مات وبهذا يظهر لك سر قوله تعالى في القرآن ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام تذكيراً للنصارى بما قال لهم

Digitized by Google

المسيح • وقال في دعائه لما سأل ربه أن يحي الميت أنا أشكرك وأحمدك لانك تجيب دعاني في هذا الوقت وفي كل وقت فأسئلك أن تحي هذا الميت ليعلم بنو اسرائيل أنك أرسلتني وانك تجيب دعائي • وفي الانجيل ان المسيح حين خرج من السامرية ولحق بجليل قال لم يكرم أحد من الانبياء في وطنه فلم يزد على دعوي النبوة • وفي انجيل لوقا لم يقتل أحد من الانبياء في وطنه فكيف تقتلوني • وفي انجيل مرقس ان رجلا أقبل الى المسيح وقال أيها المعلم الصالح أي خير أعمل لأنال الحياة الدائمة فقال له المسيح لم قلت صالحاً إنما الصالح الله وحده وقد عرفت الشروط لا تسرق ولا تزن ولا تشهد بالزور ولا تخن واكرم أباك وأمك • وفي انجيل يوحنا ان اليهود لما أرادوا قبضه رفع بصره الى السماء وقال قد دنا الوقت يا إلهي فشرفني لديك واجعل لي سبيلا أن أملك كل من ملكتني الحياة الدائمة وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلها واحداً وبالمسيح الذي بعثت وقد عظمتك على أهل الارض واحتملت الذي أمرتني به فشرفني فلم يدع سوى أنه عبد مرسل مأمور مبعوث • وفي انجيل متي لا تنسبوا أباكم الذي على الارض فان أباكم الذي في السماء وحده ولا تدعوا معلمين فانما معلمكم المسيح وحده والاب في لغتهم الرب المربي أي لا تقولوا إلهكم وربكم في الارض ولكنه في السماء ثم أنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله بها ربه ومالكه وهو ان غايته انه يعلم في الارض وإلههم هو الذي في السماء • وفي انجيل لوقا حين دعا الله فأحيا ولد المرأة فقالوا ان هذا النبي لعظيم وان الله قد تفقد أمته • وفي انجيل يوحنا إن المسيح أعلن صوته في البيت وقال لليهود قد عرفتموني وموضعي ولم آت من ذاتي ولكن بعثني الحق وأنتم تجهلونه فان قلت إني أجهله كنت كاذباً مثلكم وأنا أعلم وأنتم تجهلونه انه مني وأنا منه وهو بعثني فما زاد في دعواه على ما ادعاه الانبياء فأمسكت المثلثة قوله إني منه وقالوا إله حق من إله حق • وفي القرآن رسول من الله وقال هود ولكني رسول من رب العالمين وكذلك قال صالح ولكن أمة الضلال كما أخبر الله عنهم يتبعون المتشابه ويردون المحكم • وفي الانجيل أيضاً أنه قال لليهود وقد قالوا له نحن أبناء الله فقال لو كان الله أباكم لأطعتموني لاني رسول منه خرجت مقبلا ولم أقبل من ذاتي ولكن هو بعثني لكنكم لا تقبلون وصيتي وتعجزون عن سماع كلامي انما أنتم أبناء الشيطان وتريدون اتمام شهواته وفي الانجيل ان اليهود أحاطت به وقالت له الى متي تخفي أمرك ان كنت المسيح الذي ننتظره فاعلمنا بذلك ولم تقل ان كنت الله أو ابن الله فانه لم يدع ذلك ولا فهمه عنه أحد من أعدائه ولا أتباعه • وفي الانجيل أيضاً ان اليهود أرادوا القبض عليه فبعثوا لذلك الأعوان وان

Digitized by Google

الأعوان رجعوا الي قوادهم فقالوا لهم لم لم تأخذوه فقالوا ماسمعنا آدمياً أنصف منه فقالت اليهود وأنتم أيضاً مخدوعون أترون انه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب فقال لهم بعض أكابرهم أترون كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه فقالوا له إكشف الكتب ترى انه لايجيء من جلجال نبي فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله بها ربه ومالكه انه نبي ولو علمت من دعواه الالهية لذكرت ذلك له وأنكرته عليه وكان أعظم أسباب التنفير عن طاعته لان كذبه كان يعلم بالحس والعقل والفطرة واتفاق الأنبياء ولقد كان يجب لله سبحانه لو سبق فى حكمته أن يبرز لعباده وينزل عن كرسى عظمته ويباشرهم بنفسه أن لايدخل فى فرج امرأة ويقيم فى بطنها بين البول والنجو والدم عدة أشهر وإذ قد فعل فلا يبول ولا يتغوط ويمتنع من الخرأة إذ هى منقصة ابتلى بها الانسان فى هذه الدار لنقصه وحاجته وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال الذى ماوسعته سمواته ولا أرضه وكرسيه وسع السموات والارض فكيف وسعه فرج امرأة تعالى رب العالمين .. وكلكم متفقون على ان المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام فيامعشر المثلثة وعباد الصليب أخبرونا من كان الممسك للسموات والارض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم فهل بقيت السموات والارض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر أم يقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه حيث قال في التوراة ملعون ملعون من تعلق بالصليب أم يقولون هو المدبر لهما في تلك الحال فكيف وقد مات ودفن أم يقولون وهو حقيقة قولكم لاندري ولكن هذا في الكتب وقد قاله الآباء وهم القدوة والجواب عليهم فنقول لكم أولا يامعاشر المثلثة عباد الصليب ماالذي دلكم على إلوهية المسيح فان كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه وسوقه إلى خشبة الصليب وعلى رأسه تاج من الشوك وهم يبصقون في وجهه ويصفعونه ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدوا يديه ورجليه بالحبال وضربوا فيها المسامير وهو يستغيث ويقاق ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه فما أقبحه من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام وهم عار على جميع الأنام وان قلتم إنما استدللنا على كونه إلهاً بانه لم يولد من البشر ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر فان كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح وهو أحق من أن يكون إلهاً له لانه لا أم له ولا أب والمسيح له أم وحواء

Digitized by Google

أيضا اجعلوها إلهاً خامساً لانها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح والله سبحانه قد نوّع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته وانه يفعل مايشاء فخلق آدم لامن ذكر ولا من أنثي وخلق زوجته حوى من ذكر لامن أنثي وخلق عبده المسيح من أنثي لامن ذكر وخلق سائر النوع من ذكر وأنثي وان قلتم استدللنا على كونه إلهاً بانه أحيا الموتي ولا يحييهم إلا الله فاجعلوا موسي إلهاً آخر فانه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا مايقاربه وهو جعل الخشبة حيواناً عظيما ثعباناً فهذا ابلغ واعجب من اعادة الحياة الى جسم كانت فيه اولا فان قلتم هذا غير احياء الموتي فهذا اليسع النبي اتي باحياء الموتي وكذلك هم يقرون بذلك وايليا النبي ايضاً احيا صبياً باذن الله وهذا موسي قد أحيا باذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه وفي كتبكم من ذلك كثير عن الانبياء والحواريين فهل صار أحد منهم إلها بذلك وان قلتم جعلناه إلها للعجائب التي ظهرت على يديه فعجائب موسى أعجب وأعجب وهذا إيليا النبي بارك على دقيق العجوز ودهنها فلم ينفذ مافى جرابها من الدقيق ومافي قارورتها من الدهن سبع سنين وان جعلتموه إلها لكونه أطعم من الارغفة اليسيرة آلافا من الناس فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوي وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جداً حتى شبعوا وملؤا أوعيتهم وسقاهم كلهم من ماء يسير لايملأ اليد حتي ملؤا كل سقاء فى العسكر وهذا منقول عنه بالتواتر وان قلتم جعلناه إلها لانه صاح بالبحر فسكنت أمواجه فقد ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقا وقام الماء بين الطرق كالحيطان وفجر من الحجر الصلد إثني عشر عينا سارحة وان جعلتموه إلها لانه أبرأ الاكمه والابرص فأحياء الموتي أعجب من ذلك وآيات موسي ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك وان جعلتموه إلها لانه ادعي ذلك فلا يخلو إما أن يكون الامر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعي العبودية والافتقار وانه مربوب مصنوع مخلوق فان كان كما ادعيتم عليه فهو أخو المسيح الدجال وليس بمؤمن ولا صادق فضلا عن أن يكون نبيا كريما وجزاؤه جهنم وبئس المصير كما قال تعالى ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وكل من ادعي الالهية دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله فاخرجتم المسيح عن كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح في صورة محب موال ومن أعظم مايعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعى الالهية فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدي ابن مريم فيقتله ويظهر للخلائق أنه

Digitized by Google

كان كاذبا مفتريا ولو كان إلها لم يقتل فضلا عن أن يصلب ويسمر ويبصق في وجهه وان كان المسيح انما ادعى انه عبد ونبي ورسول كما شهدت به الاناجيل كلها ودل عليه العقل والفطرة وشهدتم أنتم له بالالهية وهذاهو الواقع فلم يأتوا على إلاهيته ببينة غير تكذيبه في دعواه وقد ذكرتم عنه في أناجيلكم في مواضع عديدة ما يصرح بعبوديته وانه مربوب مخلوق وانه ابن البشر وانه لم يدع غير النبوة والرسالة فكذبتموه في ذلك كله وصدقتم من كذب على الله وعليه وان قلتم انما جعلناه إلها لانه أخبر بما يكون بعده من الامور فكذلك عامة الانبياء بل وكثير من الناس يخبرك عن حوادث في المستقبل ويكون ذلك كما أخبر به ويقع ذلك كثيراً للكهان والمنجمين والسحرة وان قلتم انما جعلناه إلها لانه سمى نفسه ابن الله في غير موضع من الانجيل كقوله إني ذاهب الى أبي وإني سائل أبي ونحو ذلك وابن الاله إله قيل فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة فان في الانجيل في غير موضع انه سماه أباه وأباهم كقوله أذهب الى أبي وأبيكم وفيه لا تنسبوا أباكم على الارض فان أباكم الذي في السماء وحده وهذا كثير في الانجيل وهو يدل على أن الاب عندهم الرب وان جعلتموه إلها لان تلاميذه ادعوا ذلك له وهم أعلم الناس به كذبتم أناجيلكم التى بأيديكم فكلها صريحة أظهر صراحة بأنهم ماادعوا له الا ماادعاه لنفسه من أنه عبد فهذا متى يقول في الفصل التاسع من انجيله محتجاً بنبوة شعيا في المسيح عن الله عز وجل هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذى ارتاحت نفسي له وفي الفصل الثامن من انجيله إني أشكرك يارب يارب السموات والارض وهذا لوقا يقول في آخر انجيله ان المسيح عرض له ولآخر من تلاميذه في الطريق وهما محزونان فقال لهما وهما لا يعرفانه مابالكما محزونين فقالا كانك غريب في بيت المقدس إذ كنت لاتعلم ما حدث فيها فى هذه الايام في أمر اليسوع الناصري فانه كان رجلا نبيا قوياً تقيا في قوله وفعله عند الله وعند الامة اخذوه وقتلوه ومثل هذا كثير جدا في الانجيل وان قلتم انا جعلناه إلها لانه صعد الى السماء فهذا أخنوخ والياس قد صعدا الى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكة ولا طمع فيهما طامع والمسلمون مجمعون على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صعد الى السماء وهو عبد محض وهذه الملائكة تصعد الى السماء وهذه أرواح المؤمنين تصعد الى السماء بعد مفارقتها الابدان ولا تخرج بذلك عن العبودية وهل كان الصعود الى السماء مخرجا عن العبودية بوجه من الوجوه وان جعلتموه إلهاً لأن الانبياء سمته إلهاً وربا وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع

Digitized by Google

الأمم وفي سائر الكتب ومازالت الروم والفرس والهند والسريانيون والعبرانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأرباباً وفي السفر الأول من التوراة أن بني الله دخلوا على بنات الناس ورأوهن بارعات الجمال فتزوجوا منهن وفي السفر الثاني من التوراة في قصة المخرج من مصر إني جعلتك إلهاً لفرعون وفي المزمور الثاني والثمانين لداود وقام الله في جميع الآلهة هكذا في العبرانية وأما من نقله الى السريانية فانه حرفه فقال قام الله في جماعة الملائكة وقال في هذا المزمور وهو يخاطب قوماً بالروح لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم أبناء الله كلكم وقد سمى الله سبحانه عبده بالملك كما سمى نفسه بالملك وسماه بالرؤف الرحيم كما سمي نفسه بذلك وسماه بالعزيز وسمي نفسه كذلك واسم الرب واقع على غير الله تعالى في لغة أمة التوحيد كما يقال هذا رب المنزل ورب الابل ورب هذا المتاع وقد قال شعيا عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف بنو اسرائيل يعني من خلقهم

﴿ فصل ﴾ وإن جعلتموه إلهاً لانه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله قيل فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فانه ألقى عصاه فصارت ثعباناً عظيما ثم أمسكها بيده فصارت عصا كما كانت وان قلتم جعلناه إلهاً لشهادة الانبياء والرسل له بذلك قال عزرا حيث سباهم بختنصر الى بابل الى أربعمائة واثنين وثمانين سنة يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم وعند انتهاء هذه المدة أتى المسيح ومن يطيق تخليص الأمم غير الاله التام قيل لكم فاجعلوا جميع الرسل آلهة فانهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار باذن الله وحده ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة كما خلص موسى بني اسرائيل من فرعون وقومه وخلصهم بالايمان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة وخلص الله سبحانه بمحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله من الأمم والشعوب مالم يخلصه نبي سواه فان أوجبت بما ذكر الالهية لعيسى فموسى أحق بها منه وان قلتم أوجبنا الالهية لقول أرمياء النبي عن ولادته وفي ذلك الزمان يقوم لداود ابن وهو ضوء النور يملك الملك ويقيم الحق والعدل في في الارض ويخلص من آمن به من اليهود ومن بني اسرائيل ومن غيرهم ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ويسمى الاله فقد تقدم أن إسم الاله في الكتب المتقدمة وغيرها قد أطلق على غيره وهو بمنزلة الرب والسيد والاب ولو كان عيسى هو الله لكان أجل أن يقال ويسمي الاله وكان يقول وهو الله فان الله سبحانه لا يعرف

Digitized by Google

بمثل هذا وفي هذا الدليل الذي جعلتموه به إلهاً أعظم الادلة على أنه عبد وانه ابن البشر فانه قال يقوم لداود ابن فهذا الذي قام لداود هو الذي سمى بالاله فعلم أن هذا الاسم لمخلوق مصنوع مولود لا لرب العالمين وخالق السموات والارضين وان قلتم انما جعلناه إلهاً من جهة قول شعيا النبي قل لصهيون تفرح وتهلل فان الله يأتي ويخلص الشعوب ويخلص من آمن به ويخلص مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الامم المتبددين ويجعلهم أمة واحدة ويبصر جميع أهل الارض خلاص الله لانه يمشي معهم وبين أيديهم ويجمعهم إله اسرائيل قيل لكم هذا يحتاج أولا الى أن يعلم أن ذلك في نبوة أشعياء بهذا اللفظ بغير تحريف للفظه ولا غلط في الترجمة وهذا غير معلوم وان ثبت ذلك لم يكن فيه دليل على انه إله تام وانه غير مصنوع ولا مخلوق فانه نظير مافي التوراة من قوله جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وليس في هذا مايدل على أن موسى ومحمد إلهين والمراد بذلك مجيء دينه وكتابه وشرعه وهداه ونوره وأما قوله ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين ففي التوراة مثل هذا وأبلغ منه في غير موضع وأما قوله ويبصر جميع أهل الارض خلاص الله لانه يمشي معهم وبين أيديهم فقد قال في التوراة في السفر الخامس لبني اسرائيل لا تهابوهم ولا تخافوهم لان الله ربكم السائر بين أيديكم هو محارب عنكم وفي موضع آخر قال موسى ان الشعب هو شعبك فقال أنا أمضي أمامك فقال ان لم تمض أنت أمامنا والا فلا تصعدنا من ههنا فكيف أعلم أنا وهذا الشعب اني وجدت نعمة كذا الا بسيرك معنا وفي السفر الرابع ان اضعت هؤلاء بقدرتك فيقولون لاهل هذه الارض الذين سمعوا منك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عيناً بعين وغمامك تقيم عليهم ويعود غماماً يسير بين أيديهم نهاراً ويعود نهاراً ليلا وفي التوراة أيضاً يقول الله لموسى اني آت اليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك وفي الكتب الالهية وكلام الانبياء من هذا كثير وفيما حكى خاتم الانبياء عن ربه تعالى أنه قال ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وان قلتم جعلناه إلهاً لقول زكريا في نبوته افرحي يا بنت صهيون لأني آتيك وأحل فيك واترائي ويؤمن بالله في ذلك اليوم الامم الكثيرة ويكونون له شعباً واحداً ويحل هو فيهم ويعرفني أني أنا الله القوي الساكن فيك ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من

Digitized by Google

يهودا ويملك عليهم الى الابد .. قيل لكم ان وجبت له الالهية بهذا فلتجب لابراهيم وغيره من الانبياء فان عند أهل الكتاب وأنتم معهم ان الله تجلى لابراهيم واستعلن له وترائي له وأما قوله وأحل فيك لم يرد سبحانه بهذا حلول ذاته التي لاتسعها السموات والأرض في بيت المقدس وكيف تحل ذاته في مكان يكون فيه مقهوراً مغلوباً مع شرار الخلق كيف وقد قال ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك افتري بموافق قوته بالقبض عليه وشد يديه بالحبال وربطه على خشبة الصليب ودق المسامير فى يديه ورجليه ووضع تاج الشوك على رأسه وهو يستغيث ولا يغاث وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور مستخف في غالب أحواله ولو صح مجيء هذه الألفاظ صحة لاتدفع وصحت ترجمتها كما ذكروه لكان معناها ان معرفة الله والايمان به وذكره ودينه وشرعه حل في تلك البقعة وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد رفعه حصل فيه من الايمان بالله ومعرفته مالم يكن قبل ذلك وجماع الأمر أن النبوات المتقدمة والكتب الالهية لم تنطق بحرف واحد يقتضي أن يكون ابن البشر إلهاً تاماً إله حق من إله حق وانه غير مصنوع ولا مربوب بل لم يخصه إلا بما خص به أخوه وأولى الناس به محمد بن عبد الله في قوله انه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكتب الانبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم وذلك كله يصدق بعضه بعضاً وجميع مايستدل به المثلثة عباد الصليب على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فانها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته ابناً وكلمة وروح حق وإلهاً وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أو في مكانه وقد وقع فى نظير شركهم وكفرهم طوائف من المنسوبين الى الاسلام واشتبه عليهم مايحل في قلوب العارفين من الايمان به ومعرفته ونوره وهداه فظنوا أن ذلك نفس ذات الرب وقد قال تعالى (ولله المثل الأعلى) وقال (وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) وهو مافي قلوب ملائكته وأنبيائه وعباده المؤمنين من الايمان به ومعرفته ومحبته واجلاله وتعظيمه وهو نظير قوله (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) وقوله (وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) وقوله (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله وهو الحكيم العليم) فأولياء الله يعرفونه ويحبونه ويجلونه ويقال هو في قلوبهم والمراد محبته ومعرفته والمثل الأعلى فى قلوبهم لانفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس فى مخاطباتهم ومحاوراتهم يقول الانسان أنت فى قلبي ولا

Digitized by Google

زلت فى عيني كما قال القائل

(ومن عجب أني أحن اليهم * وأسئل عنهم من لقيت وهم معى)
(وتطلبهم عيني وهم فى سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعى)

وقال آخر

(خيالك في عينى وذكرك في فمي * ومثواك في قلبى فأين تغيب)

وقال آخر

(ساكن فى القلب يعمره * لست أنساه فأذكره)

وقال الآخر

(إن قلت غبت فقلبي لا يصدقني * إذ أنت فيه فدتك النفس لم تغب)
(أو قلت ماغبت قال الطرف ذا كذب * فقد تحيرت بين الصدق والكذب)

وقال الآخر

(أحن اليه وهو في القلب ساكن * فيا عجباً ممن يحن لقلبه)

ومن غلظ طبعه وكشف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من الفاظ الكتب ان ذات الله سبحانه تحل في الصورة البشرية وتتحد بها وتمتزج بها (تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً) وان قلتم اوجبنا له الالهية من قول شعيا من اعجب الاعاجيب ان رب الملائكة سيولد من البشر قيل لكم هذا مع انه يحتاج الى صحة هذا الكلام عن شعيا وانه لم يحرف بالنقل من ترجمة الى ترجمة وانه كلام منقطع عما قبله وبعده بينة فهو دليل على انه مخلوق مصنوع وانه ابن البشر مولود منه لامن الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

فصل وان قلتم جعلناه إلهاً من قول مق فى انجيله ان ابن الانسان يرسل ملائكته ويجمعون كل الملوك فيلقونهم في أتون النار .. قيل هذا كالذي قبله سواء ولم يرد أن المسيح هو رب الارباب ولا انه خالق الملائكة وحاش لله أن يطلق عليه انه رب الملائكة بل هذا من أقبح الكذب والافتراء بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح وتأييده ونصره بشهادة لوقا النبي القائل عندهم ان الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك ثم بشهادة لوقا ان الله ارسل له ملكا من السماء ليقويه هذا الذي نطقت به الكتب فحرف الكذابون على الله وعلى مسيحه ذلك ونسبوا الى الانبياء أنهم قالوا هو رب الملائكة واذا شهد الانجيل واتفاق الانبياء والرسل ان الله يوصى ملائكته بالمسيح ليحفظوه علم ان الملائكة والمسيح عبيد لله منفذون لأمره ليسوا

Digitized by Google

أرباباً ولا آلهة وقال المسيح لتلامذته من قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل من أرسلني وقال المسيح لتلامذته أيضاً من أنكرني قدام الناس أنكرته قدام ملائكة الله وقال للذي ضرب عبد رئيس الكهنة أغمد سيفك ولا تظن أني لا استطيع أن ادعو الله الاب فيقيم لي اكثر من اثني عشر من الملائكة فهل يقول هذا من هو رب الملائكة وإلههم وخالقهم وان اوجبتم له الالهية بما نقلتموه عن شعيا تخرج عصا من بيت نبي وينبت منها نور ويحل فيه روح القدس روح الله روح الكلمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله وبه يؤمنون وعليه يتوكلون ويكون لهم التاج والكرامة الى دهر الداهرين ٠٠٠ قيل لكم هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن شعيا وصحة الترجمة له باللسان العربي وانه لم يحرفه المترجم هو حجة على المثلثة عباد الصليب لا لهم فانه لا يدل على أن المسيح خالق السموات والارض بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن وأن المسيح أيد بروح القدس فانه قال ويحل فيه روح القدس روح الله روح الكلمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلا عن أن يحل الله فيه ويتحد به ويتخذ حجاباً من ناسوته وهذه روح تكون مع الانبياء والصديقين وعندهم في التوراة ان الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم روح الحكمة وروح الفهم والعلم هي ما يحصل به الهدى والنصر والتأييد وقوله هي روح الله لا تدل على أنها صفة فضلا عن أن يكون هو الله وجبريل يسمي روح الله والمسيح إسمه روح الله والمضاف اذا كان ذاتاً قائمة بنفسها فهو إضافة مملوك الى مالك كبيت الله وناقة الله وروح الله ليس المراد به بيت يسكنه ولا ناقة يركبها ولا روح قائمة به وقد قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى (كذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا) فهذه الروح أيد بها عباده المؤمنين وأما قوله وبه يؤمنون وعليه يتوكلون فهو عائد الى الله لا إلى العصا التي تنبت من بيت النبوة وقد جمع الله سبحانه بين هذين الاصلين في قوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) وقال موسى لقومه (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وهو كثير في القرآن وقد أخبر انه أيده بروح العلم وخوف الله فجمع بين العلم والخشية وهما الأصلان اللذان جمع بينهما القرآن في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية وهذا شأن العبد المحض وأما الاله الحق رب العالمين فلا يلحقه خوف ولا خشية ولا يعبد غيره والمسيح كان قائماً بأوراد العبادات لله أتم

Digitized by Google

القيام ..وان أوجبتم له الالهية بقول شعيا إن غلاماً ولد لنا وابنا أعطيناه كذا وكذا ورياسته على عاتقيه وبين منكبيه ويدعي اسمه ملكا عظيما عجيباً إلهاً قوياً مسلطاً رئيساً قوي السلامة في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء..قيل لكم ليس في هذه البشارة ما يدل على أن المراد بها المسيح بوجه من الوجوه ولو كان المراد بها المسيح لم يدل على مطلوبهم..أما المقام الأول فدلالتها على محمد بن عبد الله أظهر من دلالتها على المسيح فانه هو الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين من جهة أن خاتم النبوة علا نغض كتفيه وهو من أعلام النبوة التي أخبرت به الانبياء وعلامة ختم ديوانهم وكذلك كان في ظهوره ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه اذا ضرب به على عاتقه ويدل عليه قوله رئيس مسلط قوي السلامة وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد المنصور المسلط رئيس السلامة وان دينه الاسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه.والمسيح لم يسلط على أعدائه كما سلط محمد صلى الله عليه وسلم بل كان أعداؤه مسلطين عليه قاهرين له حتى عملوا به ما عملوا عند المثلثة عباد الصليب فأين مطابقة هذه الصفات للمسيح بوجه من الوجوه وهي مطابقة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من كل وجه وهو الذي سلطانه كامل ليس له فناء الى آخر الدهور .. فان قيل إنكم لا تدعون محمداً إلهاً بل هو عندكم عبد محض قيل نعم والله أنه لكذلك عبد محض لله والعبودية أجل مراتبه واسم الاله من جهة التراجم جاء والمراد به السيد المطاع لا الاله المعبود الخالق الرازق..وان أوجبتم له الالهية من قول شعيا فيما زعمتم هاهي العذراء تحبل وتلد إبناً يدعى اسمه عمانويل وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربية إلهنا معنا فقد شهد له النبي انه إله..قيل لكم بعد ثبوت هذا الكلام وتفسيره لا يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والارضين فانه قال تلد ابناً وهذا دليل على انه ابن من جملة البنين ليس هو رب العالمين وأما قوله ويدعى اسمه عمانويل فانما يدل على انه يسمي بهذا الاسم كما يسمى الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والاسماء والافعال والجمل المركبة من اسمين أو اسم وفعل وكثير من أهل الكتاب يسمون أولادهم عمانويل ومن علمائكم من يقول المراد بالعذراء ههنا غير مريم ويذكر في ذلك قصة ويدل على أن هذا المسيح لا يعرف اسمه عما نويل وان كان ذلك اسمه فكونه يسمي إلهنا معنا أو بالله حسبي أو الله وحده ونحو ذلك وقد حرف بعض المثلثة عباد الصليب هذه الكلمة وقال معناها الله معنا ورد عليهم بعض من أنصف من علمائهم وحكم رشده على هواه

Digitized by Google

وهداه الله للحق وبصره من عماه وقال أهذا هو القائل أنا الرب ولا إله غيري أنا أحيي وأنا أميت وأخلق وأرزق أم هو القائل لله انك أنت الاله الحق وحدك الذي أرسلت اليسوع المسيح قال والاول باطل قطعاً والثاني هو الذي شهد به الانجيل ويجب تصديق الانجيل وتكذيب من زعم أن المسيح إله معبود قال وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم فان عما نويل اسم تسمى به النصاري واليهود أولادها قال وهذا موجود في عصرنا هذا ومعني هـذه التسمية بينهم شريف القدر قال وكذلك السريان يسمون أولادهم عما نويل والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل الله معك فاذا سمى الرجل بقوله الله معك كان هذا تبركا بمعني هذا الاسم .. وان أوجبتم له الالهية بقول حبقوق فيما حكيتموه عنه ان الله في الارض يترائي ويختلط مع الناس ويمشي معهم ويقول أرميا أيضا بعد هذا الله يظهر في الارض وينقلب مع البشر .. قيل لكم هذا بعد احتياجه الى ثبوت نبوة هذين الشخصين أولا والى ثبوت هذا النقل عنهما والى مطابقة الترجمة من غير تحريف وهذه ثلاث مقامات يعز عليكم اثباتها لايدل على ان المسيح هو خالق السموات والارض وإنه إله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع ففي التوراة ماهو من هذا الجنس وأبلغ ولم يدل ذلك على ان موسي إله ولا انه خارج عن جملة العبيد وقوله يترائي مثل تجلى وظهر واستعلن ونحو ذلك من ألفاظ التوراة وغيرها من الكتب الالهية وقد ذكر في التوراة ان الله تجلى وترائي لابراهيم وغيره من الانبياء ولم يدل ذلك على الالهية لاحدمنه ولم يزل في عرف الناس ومخاطبتهم ان يقولوا فلان معنا وهو بين أظهرنا ولم يمت اذا كان عمله وسنته وسيرته بينهم ووصاياه يعمل بها بينهم وكذلك يقول القائل لمن مات والده مامات من خلف مثلك وأنا والدك واذا رأوا تلميذاً لعالم تعلم علمه قالوا هذا فلان باسم استاذه كما كان يقال عن عكرمة هذا ابن عباس وعن أبي حامد هذا الشافعي واذا بعث الملك نائبا يقوم مقامه في بلد يقول الناس جاء الملك وحكم الملك ورسم الملك * وفي الحديث الصحيح الالهى يقول الله عز وجل يوم القيامة عبدي مرضت فلم تعدني فيقول يارب كيف أعودك فانت رب العالمين قال اما ان عبدي فلان مرض فلم تعده اما لو عدته لوجدتني عنده عبدى جعت فلم تطعمنى فيقول رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا استطعمك فلم تطعمه اما لو اطعمته لوجدت ذلك عندي عبدي استسقيتك فلم تسقنى فيقول رب كيف اسقيك وانت رب العالمين فيقول أما ان عبدى فلانا عطش فاستسقاك فلم تسقه اما لو سقيته لوجدت ذلك عندي وأبلغ من هذا قوله تعالى

Digitized by Google

(إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ومن هذا قوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فلو استحل المسلمون ما استحللتم لكان استدلا لهم بذلك على أن محمداً إله من جنس استدلالكم لافرق بينهما ٠٠ وان أوجبتم له الالوهية بقوله في السفر الثالث من أسفار الملوك والآن يارب إله اسرائيل لتحقق كلامك لداود لانه حق أن يكون انه سيسكن الله مع الناس على الارض اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ولتنصت الارض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً ويخرجه من موضعه وينزل ويطأ على مشارق الارض في شأن خطيئة بني يعقوب ٠٠ قيل لكم هذا السفر يحتاج فيه أولا الى أن يثبت وان الذي تكلم به نبي وان هذا لفظه وان الترجمة مطابقة له وليس ذلك بمعلوم وبعد ذلك فالقول في هذا الكلام كالقول في نظائره مما ذكرتموه ومالم تذكروه وليس في هذا الكلام مايدل على ان المسيح خالق السموات والارض وانه إله حق غير مصنوع ولا مخلوق فان قوله ان الله سيسكن مع الناس في الارض هو مثل كونه معهم واذا صار في الارض نوره وهداه ودينه ونبيه كانت هذه سكناه لا انه بذاته المقدسة نزل عن عرشه وسكن مع اهل الارض ولو قدر تقدير المحالات ان ذلك واقع لم يلزم أن يكون هو المسيح فقد سكن الرسل والانبياء قبله وبعده فما الموجب لأن يكون المسيح هو الاله دون اخوانه من المرسلين أترى ذلك للقوة التي كانت له وهو في الارض وقد قلتم انه قبض عليه وفعل به مافعل من غاية الاهانة والاذلال والقهر فهذا ثمرة سكناه في الارض هو ظهوره في ناسوت المسيح قيل لكم اما الظهور الممكن المعقول وهو ظهور محبته ومعرفته ودينه وكلامه فهذا لافرق فيه بين ناسوت المسيح وناسوت سائر الانبياء والمرسلين وليس في اللفظ على هذا التقدير مايدل على اختصاصه بناسوت المسيح وأما الظهور المستحيل الذى تأباه العقول والفطر والشرائع وجميع النبوات وهو ظهور ذات الرب في ناسوت مخلوق من مخلوقاته واتحاده به وامتزاجه واختلاطه فهذا محال عقلا وشرعا فلا يمكن أن تنطق به نبوة أصلا بل جميع النبوات من أولها الى آخرها متفقة على أصول ٠ أحدها ان الله سبحانه وتعالى قديم واحد لاشريك له في ملكه ولا ندولاضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع الا من بعد اذنه ٠ الثاني انه لاوالد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة ٠ الثالث انه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه خلقه بوجه من الوجوه ٠ الرابع انه لايتغير ولا تعرض له الآفات من الهموم والمرض والسنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو

Digitized by Google

ذلك • الخامس انه لا يماثل شيئا من مخلوقاته بل ليس كمثله شيء لافي ذاته ولافي صفاته ولا في أفعاله • السادس انه لايحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه • السابع انه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعال على كل شيء وليس فوقه شيء البتة • الثامن أنه قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء يريده بل هو الفعال لما يريد • التاسع انه عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولارطب ولايابس ولامتحرك الا وهو يعلمه على حقيقته • العاشر انه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ويري دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات وعلمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع المقدورات ونفذت مشيئته في جميع البريات وعمت رحمته جميع المخلوقات ووسع كرسيه الأرض والسموات • الحادي عشر انه الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف أحدا على تدبير ملكه ولا يحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم • الثاني عشر انه الابدي الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشي ولا يعدم ولا يموت • الثالث عشر انه المتكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادي السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ومجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته • الرابع عشر انه الصادق في وعده وخبره فلا أصدق منه قيلا ولا أصدق منه حديثا وهو لا يخلف الميعاد • الخامس عشر انه تعالي صمد بجميع الصمدية فيستحيل عليه ما يناقض صمديته • السادس عشر انه قدوس سلام فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص • السابع عشر انه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه • الثامن عشر انه العدل الذي لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلما فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل وهو من المحكم الذي لايجوز أن تأتي شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه أصلا فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله وتمسكوا بالمتشابه من المعاني والمجمل من الالفاظ وأقوال من ضلوا من قبل وأضلوا عن سواء السبيل وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين تخالف هذا كله اشد المخالفة وتباينه اعظم المباينة

(فصل) في أنه لو لم يظهر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة سائر الانبياء فظهور نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق فارساله من آيات الانبياء

Digitized by Google

قبله وقد اشار سبحانه الى هذا المعنى بعينه في قوله (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) فان المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه فمجيئه هو نفس صدق خبرهم فكأن مجيئه تصديقا لهم إذ هو تأويل ما اخبروا به ولا تنافي بين هذا وبين القول الآخر أن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وايمانه بهم فانه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه وشهد بصدقهم بقوله ومثل هذا قول المسيح ومصدقا لما بين يديه من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فان التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقا لها ثم بشر برسول يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقا له كما كان ظهوره تصديقا للتوراة فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق واللاحق يصدق السابق فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الانبياء قبله والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره وقد كان بشر ابراهيم وهاجر بشارات بينات ولم ترها تمت ولا ظهرت الا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بشرت هاجر من ذلك بما لم تبشر به امرأة من العالمين غير مريم ابنة عمران بالمسيح على أن مريم بشرت به مرة واحدة وبشرت هاجر باسماعيل مرتين وبشر به ابراهيم مرارا ثم ذكر الله سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على السنة الانبياء في التوراة ان الله قال لابراهيم قد اجبت دعاءك في اسماعيل وباركت عليه وكبرته وعظمته جداً جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واجعله لأمة عظيمة هكذا في ترجمة بعض المترجمين واما في الترجمة التي ترجمها اثنان وسبعون حبرا من أحبار اليهود فانه يقول وسيلد اثنى عشر امة من الأمم وفيها لما هربت هاجر من سارة ترائي لها ملك الله وقال يا هاجر امة سارة من أين اقبلت والى اين تذهبين قالت اهرب من سيدتي فقال لها الملك ارجعي الى سيدتك واخضعي لها فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة وها انت تحبلين وتلدين ابنا تسميه اسماعيل لأن الله قد سمع بذلك خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ويكون مسكنه على نحوم جميع اخوته وفى موضع آخر قصة إسكانها وابنها اسماعيل فى برية فاران وفيها فقال لها الملك يا هاجر ليفرج روعك فقد سمع الله تعالى صوت الصبي قومى فاحمليه وتمسكي به فان الله جاعله لامة عظيمة وان الله فتح عليها فاذا ببئر ماء فذهبت وملأت المزادة منه وسقت الصبي منه وكان الله معها ومع الصبي حتى تربى وكان مسكنه في برية فاران فهذه أربع بشارات خالصة لأم اسماعيل نزلت اثنتان منها على ابراهيم واثنتان على هاجر وفي التوراة أيضاً بشارات أخر باسماعيل وولده وانهم أمة عظيمة جداً وأن نجوم السماء تحصى ولا

Digitized by Google

يحصون وهذه البشارة انما تمت بظهور محمد بن عبد الله وأمته فان بني اسحق كانوا لم يزالوا مطرودين مشردين خولا للفراعنة والقبط حتى أنقذهم الله بنبيه وكليمه موسى بن عمران وأورثهم أرض الشام فكانت كرسي مملكتهم ثم سلبهم ذلك وقطعهم في الأرض أمماً مسلوباً عزهم وملكهم قد أخذتهم سيوف السودان وعلتهم أعلاج الحمران حتى اذا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم تمت تلك النبوات وظهرت تلك البشارات بعد دهر طويل وعلت بنو اسماعيل على من حولهم فهشموهم هشما وطحنوهم طحناً وانتشروا في آفاق الدنيا ومدت الأمم أيديهم اليهم بالذل والخضوع وعلوهم علو الثريا فيما بين الهند والحبشة والسوس الأقصي وبلاد الترك والصقالبة والخزر وملكوا مابين الخافقين وحيث ملتقى أمواج البحرين وظهر ذكر ابراهيم على ألسنة الأمم فليس صبي من بعد ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولا امرأة ولا حر ولا عبد ولاذكر ولا أنثي إلا وهو يعرف إبراهيم وآل إبراهيم وأما النصرانية وان كانت قد ظهرت في أمم كثيرة جليلة فانه لم يكن لهم في محل اسماعيل وأمه هاجر سلطان ظاهر ولا عز قاهر البتة ولا صارت أيدى هذه الأمة فوق أيدى الجميع ولا امتدت اليهم أيدي الأمم بالخضوع وكذلك سائر ماتقدم من البشارات التي تفيد بمجموعها العلم القطعي بأن المراد بها محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم وأمته فانه لو لم يقع تأويلها بظهوره صلى الله عليه وسلم لبطلت تلك النبوات ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لايمكن الايمان بالأنبياء المتقدمين إلا بالايمان بالنبي الذي بشروا به قالوا لنحن في انتظاره ولم يجيء بعد ولما علم بعض الغلاة في كفره وتكذيبه منهم ان هذا النبي في ولد اسماعيل أنكروا أن يكون لابراهيم ولد اسمه اسماعيل وان هذا لم يخلقه الله ولا يكثر على أمة البهت وإخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك كما لم يكثر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة أن يطعنوا في ديننا وينتقصوا نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نبين أنهم لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية ولا معجزة إلا باقرارهم أن محمداً رسول الله وإلا فمع تكذيبه لايمكن أن يثبت للمسيح شيء من ذلك البتة .. فنقول إذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسي فضيلة أو معجزة ومن نقل اليكم عنه آية أو معجزة فانكم إنما نبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخبرتم عن منام رؤي فأسرعتم إلى تصديقه وكان الاولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسي في العالم لانه لايقبل قول اليهود فيه ولا سيما وهم أعظم أعدائه الذين رموه

Digitized by Google

وأمه بالعظائم فأخبار المسيح والصليب انما شيوخكم فيها اليهود وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم اختلاف وأنتم مختلفون معهم في أمره فاليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسوه في السجن أربعين يوماً وقالوا ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه الا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لانه كان يداخله في صناعة الطب عندهم وفي الأناجيل التي بأيديكم انه أخذ ضبح يوم الجمعة وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه فمتى تتوافقون مع اليهود في خبره واليهود مجتمعة أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوماً وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم فعلاه في طيرانه فسقط الى الارض بزعمهم وفي الانجيل الذي بأيديكم في غير موضع مايشهد أنه لامعجزة له ولا آية ٠٠ فمن ذلك أن فيه منصوصاً أن اليهود قالوا له يوماً ماذا تفعل حتى تنتهي به الى أمر الله تعالى فقال أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه فقالوا له وما آيتك التي تريد ونؤمن بك وأنت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المن والسلوي بالمفاوز قال ان كان أطعمكم موسي خبزاً فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً يريد نعيم الاخرة فلو عرفوا له معجزة لقالوا ذلك ٠٠ وفي الانجيل الذي بأيديكم أن اليهود قالت له ما آيتك التي نصدقك بها قال اهدموا البيت أبنيه لكم في ثلاثة أيام فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا ولو كان قد أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ ٠٠ وفي الانجيل الذي بأيديكم أيضاً أنهم جاؤا يسألونه آية فقذفهم وقال ان القبيلة الفاجرة الخبيثة تطلب آية فلا تعطى ذلك ٠٠ وفيه أيضاً أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم إن كنت المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك يطلبون بذلك آية فلم يفعل فاذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يحقق لعيسى بن مريم آية ولا فضيلة فان أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت اليها لاختلافكم في شأنه أشد الاختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره وكذلك اجتمعت اليهود على أنه لم يدع شيئاً من الالهية التي نسبتم اليه أنه ادعاها وكان أقصى مرادهم أن يدعي فيكون أبلغ في تسلطهم عليه وقد ذكر السبب في استفاضة ذلك عنه وهو أن أحبارهم وعلماءهم لما مضى وبقي ذكره خافوا أن تصير عامتهم اليه إذ كان على سنن تقبله قلوب الذين لا غرض لهم فشنعوا عليه أموراً كثيرة ونسبوا اليه دعوى الالهية تزهيداً للناس في أمره ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره فمنهم من يقول أنه كان رجلا منهم ويعرفون أباه وأمه وينسبونه لزانية وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول التي لم يقرعها قط قاتلهم الله أني يؤفكون ويسمون أباه الزاني البندير الرومي وأمه مريم الماشطة ويزعمون أن

Digitized by Google

زوجها يوسف بن يهودا وجد البندیرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها ومن اليهود من رغب عن هـذا القول وقال إنما أبوه يوسف بن يهودا الذى كان زوجاً لمريم ويذكرون أن السبب في استفاضة إسم الزنا عليه أنه بينا هو يوماً مع معلمه بهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ في سفر فنزلوا موضعاً فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ في كرامتهم فقال بهشوع ما أحسن هذه المرأة يريد أفعالها فقال عيسى بزعمهم لولا عور في عينها فصاح بهشوع وقال له يامزار ترجمتـه يازنيم أتزني بالنظر وغضب غضباً شـديداً وعاد الى بيت المقدس وحرم إسمه ولعنه في أربعمائة قرن فحينئذ لحق ببعض قواد الروم وداخـله بصناعة الطب فقوى بذلك على اليهود وهم يومئذ في ذمة قيصر بتاريوش وجعـل يخالف حكم التوراة ويسـتدرك عليها ويعرض عن بعضها الى أن كان من أمره ما كان وطوائف من اليهود يقولون غير هذا ويقولون إنه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوقعت منهم بين جماعة من مشـايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ فقوى عيسى وتخطي رقابهم وأخذها فقالوا له مانظنك إلا زنيماً ومن اختلاف اليهود في أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذى كان خطب مريم يوسف بن يهودا النجار وبعضـهم يقول إنما هو يوسف الحداد والنصارى تزعم أنها كانت ذات بعل وان زوجها يوسف بن يعقوب وبعضهم يقول يوسف بن آل وهم يختلفون أيضاً في آبائه ويمددهم الى ابراهيم فمن مقل ومن مكثر فهذا ماعند اليهود وهم شيوخكم فى نقل الصلب وأمره والا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى وانما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فان صدقتموهم في الصلب فصـدقوهم في سائر ما ذكروه وان كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل صانه الله وحماه وحفظه وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة أشد اختلافا فى معبودها ونبيها ودينها منكم فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغـير جواب الآخر ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً مع اتفـاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول وانه إله في الحقيقة وأنه هو خالق السموات والارض والملائكة والنبيين وأنه هو الذي أرسـل الرسـل وأظهر على أيديهم المعجزات

Digitized by Google

والآيات وأن للعالم إلهاً هو أب والد لم يزل وان ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار هو وإبنها الناسوتي إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً وحبلت به مريم وولدته وأخذ وصلب وألم ومات ودفن وقام بعد ثلاثة أيام وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه قالوا والذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله فالقديم الأزلي خالق السموات والارض هو الذى حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر وهو الذي ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يداه ثم اختلفوا .. فقالت اليعقوبية اتباع يعقوب البرادعي ولقب بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين أحداهما طبيعة الناسوت والأخرى طبيعة اللاهوت وان هتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح وهو إله كله وإنسان كله وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين وقالوا إن مريم ولدت الله وان الله سبحانه قبض عليه وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك

﴿ فصل ﴾ وقالت الملكانية وهم الروم نسبة الى دين الملك لا إلى رجل يدعى ملكانيا هو صاحب مقالتهم كما يقوله بعض من لا علم له بذلك ان الابن الازلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملا كسائر أجساد الناس وركبت في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس وانه صار انسانا بالجسد والنفس الذين هما من جوهر الناس وإلها بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل وهو انسان بجوهر الناس مثل ابراهيم وموسي وداود وهو شخص واحد لم يزد عدده وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه ابن مريم وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب وله بناسوته مشيئه كمشيئة ابراهيم وداود وقالوا إن مريم ولدت المسيح وهو إسم يجمع اللاهوت والناسوت وقالوا إن الذي مات هو الذى ولدته مريم وهو الذى وقع عليه الصلب والتسمير والصفع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألم ولم يدفن قالوا وهو إله تام بجوهر لاهوته وانسان تام بجوهر ناسوته وله المشيئتان مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت فأتوا بمثل ما أتي به اليعقوبية من أن مريم ولدت الاله الا أنهم يزعمهم نزهوا الاله عن الموت واذا تدبرت

قولهم وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه فاليعقوبية أطردوا لكفرهم لفظاً ومعناً .. وأما النسطورية فذهبوا الى القول بان المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وان طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما ارادة واحدة واللاهوت لايقبل زيادة ولا نقصانا ولا يمتزج بشئ والناسوت يقبل الزيادة والنقصان فكان المسيح بذلك إلها وانسانا فهو الاله بجوهر اللاهوت الذي لايقبل الزيادة والنقصان وهو انسان بجوهر الناسوت الذى يقبل الزيادة والنقصان وقالوا ان مريم ولدت المسيح بناسوته وان اللاهوت لم يفارقه قط وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد الله وهو لم يستنكف من ذلك ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلا منازله عبودية الله ومحمد وابراهيم خير منه وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية فالله رضيه أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك .. وقالت الاريوسية منهم وهم اتباع أريوس ان المسيح عبد الله كسائر الانبياء والرسل وهو مربوب مخلوق مصنوع وكان النجاشي على هذا المذهب واذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلوه شر قتلة وفعلوا به مايفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب والكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لاتفهم مقالة خواصهم على حقيقتها بل يقولون ان الله تخطي مريم كما يتخطي الرجل المرأة وأحبلها فولدت له ابناً ولا يعرفون تلك الهذيانات التي وضعها خواصهم فهم يقولون الذى تدندنون حوله نحن نعتقده بغير حاجة منا الى معرفة الاقانيم الثلاثة من الطبيعتين والمشيئتين وذلك للتهويل والتطويل وهم يصرحون بان مريم والدة الاله والله أبوه وهو الابن فهذا الزوج والزوجة والولد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً إدّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) فهذه أقوال اعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من النصاري المثلثة عباد الصليب فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بما أزال الشبهة من أمره وكشف الغمة وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبهتهم وكذبهم عليهما ونزه رب العالمين خالق المسيح وأمه مما افتراه عليه المثلثة عباد الصليب الذين سبوه أعظم السب فانزل المسيح أخاه بالمنزلة التي أنزله الله بها وهي أشرف منازله فآمن به وصدقه وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين فى زمانها وقرر معجزات المسيح وآياته واخبر عن ربه تعالى بتخليد

Digitized by Google

من كفر بالمسيح في النار وان ربه تعالى اكرم عبده ورسوله ونزهه وصانه أن ينال اخوان القردة منه مازعمته النصاري أنهم نالوه منه بل رفعه اليه مؤيدا منصوراً لم يشكه أعداؤه بشوكة ولا نالته أيديهم باذي فرفعه اليه وأسكنه سماءه وسيعيده الى الارض ينتقم به من مسيح الضلال واتباعه ثم يكسر به الصليب ويقتل به الخنزير ويملى به الاسلام وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد عليه الصلاة والسلام فاذا وضع هذا القول في المسيح في كفة وقول عباد الصليب المثلثة في كفة تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل مابينهما من التفاوت وأن تفاوتهما كتفاوت مابينه وبين قول المغضوب عليهم فيه وبالله التوفيق ٠٠ فلولا محمد صلى الله عليه وسلم لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذى هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا فان هذا المسيح الذي أثبته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدي والمسيح الذى أثبته النصاري من أبطل الباطل لايمكن وجوده في عقل ولا فطرة ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لاحد ثقة بمعقول أصلا فان استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ولو صح مايقول لبطل العالم واضمحلت السموات والارض وعدمت الملائكة والعرش والكرسى ولم يكن بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ولا يستعجب من اطباق أمة الضلال الذين شهد الله أنهم أضل من الانعام على ذلك فكل باطل في الوجود ينسب الى أمة من الامم فانها مطبقة عليه وقد تقدم ذكر إطباق الامم العظيمة التي لا يحصيها الا الله على الكفر والضلال بعد معاينة الآيات البينات فلعباد الصليب إسوة باخوانهم من أهل الشرك والضلال

(فصل) في ذكر استنادهم في دينهم الى أصحاب المجامع الذين كفر بعضهم بعضاً وتلقيهم أصول دينهم عنهم ونحن نذكر الآن الأمر كيف ابتدأ وتوسط وانتهى حتى كأنك تراه عيانا كان الله سبحانه قد بشر بالمسيح على ألسنة أنبيائه من لدن موسى الى زمن داود ومن بعده من الانبياء واكثر الانبياء تبشيراً به داود وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه فلما بعث كفروا به بغيا وحسدا وشردوه في البلاد وطردوه وحبسوه وهموا بقتله مرارا الى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله فصانه الله وأنقذه من أيديهم ولم يهنه بأيديهم وشبه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه كما قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) وقد اختلف في معني قوله ولكن شبه

Digitized by Google

لهم ٠٠ فقيل المعنى ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقي شبهه على غيره فصلبوا الشبه وقيل المعنى ولكن شبه للنصارى أى جعلت لهم الشبهة في أمره وليس لهم علم بانه قتل ولا صلب ولكن لما قال أعداؤه إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الارض وقعت الشبهة في أمره وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم وكيف ما كان فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ولم يصلب يقينا لا شك فيه ثم تفرق الحواريون في البلاد بعد رفعه على دينه ومنهاجه يدعون الأمم الى توحيد الله ودينه والايمان بعبده ورسوله ومسيحه فدخل كثير من الناس في دينه مابين ظاهر مشهور ومختف مستور وأعداء الله اليهود في غاية الشرور والشدة على أصحابه والأذى لاتباعه ولقى تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم وكانوا ملوكا عليهم وكتب نائب الملك ببيت المقدس الى الملك يعلمه بأمر المسيح وتلاميذه وما يفعل من العجائب الكثيرة من إبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى فهم أن يؤمن به ويتبع دينه فلم يتابعه أصحابه ثم هلك وولى بعده ملك آخر فكان شديداً على تلامذته ثم مات وولى بعده آخر وفي زمنه كتب مرقس انجيله بالعبرانية وفى زمانه صار الى الاسكندرية فدعا الى الايمان بالمسيح وهو أول شخص جعل بتركا على الاسكندرية وصير معه اثني عشر قسيساً على عدة نقباء بني اسرائيل في زمن موسى وأمرهم اذا مات البترك أن يختاروا من الاثنى عشر واحداً يجعلونه مكانه ويضع الاثنى عشر أيديهم على رأسه ويبركونه ثم يختارون رجلا فاضلا قسيساً يصيرونه تمام العدة ولم يزل أمر القوم كذلك الى زمن قسطنطين ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أى بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم ثم سموه بابا ومعناه ابو الآباء وخرج مرقس الى برقة يدعو الناس الى دين المسيح ثم ملك آخر فأهاج على اتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين انجيل مرقس عنه بالرومية ونسبه الى مرقس وفى عصره كتب لوقا انجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم وكتب له الابركسيس الذى فيه أخبار التلاميذ وفى زمنه صلب بطرس وزعموا أن بطرس قال له إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكسا لئلا أكون مثل سيدى المسيح فانه صلب قائما وضرب عنق بولس بالسيف وأقام بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة وأقام مرقس بالاسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس الى الايمان بالمسيح ثم قتل بالاسكندرية وأحرق جسده بالنار ثم استمرت القياصرة ملوك الروم

Digitized by Google

علي هذه السيرة الى أن ملك مصر قيصر يسمى طيطش فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم وقتل من كان بها من ذكر وأنثى حتى كانوا يشقون بطون الحبالى ويضربون بأطفالهن الصخور وخرب المدينة وأضرم فيها النار وأحصي القتلى على يده فبلغوا ثلاثة آلاف ألف ثم ملك ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد على اليهود جدا فبلغوه أن النصاري يقولون إن المسيح ملكهم وان ملكه يدوم الى آخر الدهر فاشتد غضبه وأمر بقتل النصاري وأن لا يبقى فى ملكه نصراني وكان يوحنا صاحب الانجيل هناك فهرب ثم امر الملك باكرامهم وترك الاعتراض عليهم ثم ملك بعده آخر فأثار على النصاري بلاء عظيما وقتل بترك انطاكية برومية وقتل اسقف بيت المقدس وصلبه وله يومئذ مائة وعشرون سنة وامر باستعباد النصاري فاشتد عليهم البلاء الى أن رحمتهم الروم وقال له وزراؤه أن لهم ديناً وشريعة وانه لايحل استعبادهم فكف عنهم وفي عصره كتب يوحنا انجيله بالرومية وفي ذلك العصر رجع اليهود الى بيت المقدس فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا على أن يملكوا منهم ملكا فبلغ الخبر قيصر فوجه اليهم جيشاً فقتل منهم من لايحصي ثم ملك بعده آخر وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من النصاري خلقاً كثيراً ثم ملك بعده ابنه وفي زمانه قتل اليهود بيت المقدس قتلا ذريعاً وخرب بيت المقدس وهرب اليهود الى مصر والى الشام والجبال والاغوار وتقطعوا في الأرض وأمر الملك أن لايسكن بالمدينة يهودي وأن يقتل اليهود ويستأصلوا وأن يسكن المدينة اليونانيون وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين والنصارى ذمة تحت أيديهم فرأوهم يأتون الى مزبلة هناك فيصلون فيها فنمو هم من ذلك وبنوا على المزبلة هيكلا باسم الزهرة فلم يمكن النصاري بعد ذلك قربان ذلك الموضع ثم هلك هذا الملك وقام بعده آخر فنصب يهودا أسقفا على بيت المقدس قال ابن البطريق فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الاول الى يهودا أسقفه هذا كانت الاساقفة الذين على بيت المقدس كلهم مجوسيين ثم ولى بعده آخر وأثار على النصارى بلاء شديداً وحرباً طويلا ووقع في أيامه قحط شديد كاد الناس أن يهلكوا فسألوا النصاري أن يبتهلوا الى الههم فدعوا وابتهلوا الى الله فمطروا وارتفع عنهم القحط والوباء قال ابن البطريق وفى زمانه كتب بترك الاسكندرية الى أسقف بيت المقدس وبترك انطاكية وبترك رومية فى كتاب فصح النصاري وصومهم وكيف يستخرج من فصح اليهود فوضعوا فيها كتبا على ماهي اليوم قال وذلك ان النصارى كانوا بعد صعود المسيح اذا عيدوا عيد الغطاس من الغد

Digitized by Google

يصومون أربعين يوماً ويفطرون كما فعل المسيح لأنه لما اعتمد بالاردن خرج الى البرية فأقام بها أربعين يوما وكان النصاري اذا أفصح اليهود عيدوا هم الفصح فوضع هؤلاء البتاركة حساباً للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح وكان المسيح يعيد مع اليهود فى عيدهم واستمر على ذلك أصحابه الى أن ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقيب الفطاس بل نقلوا الصوم الى وقت لا يكون عيدهم مع اليهود ثم مات ذلك الملك وقام بعده آخر وفي زمنه كان جلينوس وفي زمنه ظهرت الفرس وغلبت على بابل وآمد وفارس وتملك أزدشير بن بابك في اصطخر وهو أول ملك ملك على فارس في المدة الثانية ثم مات قيصر وقام بعده آخر ثم آخر وكان شديداً على النصاري عذبهم عذابا وقتل خلقا كثيرا منهم وقتل كل عالم فيهم ثم قتل من كان بمصر والاسكندرية من النصارى وهدم الكنائس وبني بالاسكندرية هيكلا وسماه هيكل الآلهة ثم قام بعده قيصر آخر ثم آخر وكانت النصارى في زمنه فى هدو وسلامة وكانت أمه تحب النصارى ثم قام بعده آخر فأثار على النصاري بلاء عظيما وقتل منهم خلقا وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من الاساقفة خلقا كثيرا وقتل بترك انطاكية فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي ثم هلك وقام بعده آخر ثم آخر وفى أيام هذا ظهر ماني الكذاب وزعم أنه نبي وكان كثير الحيل والمخاريق فأخذه بهرام ملك الفرس فشقه نصفين وأخذ من أتباعه مائتى رجل ففرس رؤسهم فى الطين منكسين حتي ماتوا ثم قام من بعده فيابس فآمن بالمسيح فوثب عليه بعض قواده فقتله ثم قام بعده دانقيوس ويسمي دقيانوس فلقي النصاري منه بلاء عظيما وقتل منهم مالا يحصي وقتل بترك رومية وبنى هيكلا عظيما وجعل فيه الاصنام وأمر أن يسجد لها ويذبح لها ومن لم يفعل قتل فقتل خلقا كثيراً من النصاري وصلبوا على الهيكل واتخذ من أولاد عظماء المدينة سبعة غلمان فجعلهم خاصته وقدمهم على جميع من عنده وكانوا لا يسجدون للاصنام فأعلم الملك بخبرهم فحبسهم ثم أطلقهم وخرج الى مخرج له وأخذ الفتية كل مالهم فتصدقوا به ثم خرجوا الى جبل فيه كهف كبير فاختفوا فيه وضرب الله عليهم النعاس فناموا كالاموات وأمر الملك أن يبني عليهم باب الكهف ليموتوا فأخذ قائد من قواده صفيحة من نحاس فكتب فيها أسماءهم وقصتهم مع دقيانوس وصيرها في صندوق من نحاس ودفنه داخل الكهف وسده ثم مات الملك ثم قام بعده قيصر آخر وفى زمنه جعل فى انطاكية بتركا يسمي بولس الشميساطي وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصاري قبله كلهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب لا يختلف

Digitized by Google

فيه اثنان منهم فقال بولس هذا وهو أول من أفسد دين النصارى ان سيدنا المسيح خلق من اللاهوت انسانا كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وانه اصطفي ليكون مخلصا للجوهر الانسي وصحبته النفحة الالهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمى ابن الله وقال ان الله جوهر واحد واقنوم واحد * وقال سعيد بن البطريق وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفا في مدينة انطاكية ونظروا في مقالة بولس فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا ثم قام قيصر آخر فكانت النصاري في زمنه يصلون في المطامير والبيوت فزعا من الروم ولم يكن بترك الاسكندرية يظهر خوفا أن يقتل فقام بارون بتركا فلم يزل يداري الروم حتى بني بالاسكندرية كنيسة ثم قام قياصرة أخر منهم اثنان تملكا على الروم احدى وعشرين سنة فأثارا على النصارى بلاء عظيما وعذابا أليماً وشدة تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الحريم والاموال وقتل ألوف مؤلفة من النصاري وعذبوا مارجرجس أصناف العذاب ثم قتلوه وفي زمنهما ضربت عنق بطرس بترك الاسكندرية وكان له تلميذان وكان فى زمنه أريوس يقول ان الأب وحده الله الفرد الصمد والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن فقال بطرس لتلميذيه إن المسيح لعن أريوس فاحذرا أن تقبلا قوله فأني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلت ياسيدى من شق ثوبك فقال لي أريوس فاحذروا أن تقبلوه أو يدخل معكم الكنيسة وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير أحد تلميذيه بتركا على الاسكندرية فأقام ستة أشهر ومات ولما جري على أريوس ماجري أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله هذا البترك وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً ثم قام قيصر آخر فجعل يتطلب النصارى ويقتلهم حتى صب الله عليه النقمة فهلك شر هلكة ثم قام بعده قيصران أحدهما ملك الشأم وأرض الروم وبعض الشرق والآخر رومية وما جاورها وكانا كالسباع الضارية على النصارى فعلا بهم من القتل والسبي والجلاء مالم يفعله بهم ملك قبله وملك معهما قسطنطين أبو قسطنطين وكان ديناً يبغض الأصنام محباً للنصارى فخرج الى ناحية الجزيرة والرها فنزل في قرية من قري الرها فرأى هناك امرأة جميلة يقال لها هيلانة وكانت قد تنصرت على يدى أسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطين من أبيها فزوجه إياها فحبلت منه وولدت قسطنطين فتربي بالرها وتعلم حكمة اليونان وكان جميل الوجه قليل الشر محباً للحكمة وكان عليانوس ملك الروم حينئذ رجلا فاجراً شديد البأس مبغضاً للنصاري جداً كثير القتل فيهم محبا للنساء لم يترك

Digitized by Google

للنصاري بنتا جميلة إلا أفسدها وكذلك أصحابه وكان النصارى فى جهد جهيد معه فبلغه خبر قسطنطين وانه غلام هاد قليل الشر كثير العلم وأخبره المنجمون والكهنة انه سيملك ملكا عظيما فهم بقتله فهرب قسطنطين من الرها ووصل الى أبيه فسلم اليه الملك ثم مات أبوه وصب الله على عليانوس أنواعاً من البلاء حتي تعجب الناس مما ناله ورحمه أعداؤه مما حل به فرجع الى نفسه وقال لعل هذا بسبب ظلم النصارى فكتب الى جميع عماله أن يطلقوا النصاري من الحبوس وان يكرموهم ويسألوهم أن يدعوا له في صلواتهم فوهب الله له العافية ورجع الى أفضل ما كان عليه من الصحة والقوة فلما صح وقوي رجع الى شر مما كان عليه وكتب الى عماله أن يقتلوا النصاري ولا يدعوا في مملكته نصرانياً ولا يسكنوا له مدينة ولا قرية فكان القتلى يحملون على العجل ويرمي بهم في البحر والصحاري وأما قيصر الآخر الذى كان معه فكان شديداً على النصاري واستعبد من كان برومية من النصاري ونهب أموالهم وقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم فلما سمع أهل رومية بقسطنطين وانه مبغض للشر محب للخير وان أهل مملكته معه في هدو وسلامة كتب رؤساهم اليه يسئلونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً وبقى متحيراً لايدري كيف يصنع * قال سعيد بن البطريق فظهر له على ما يزعم النصاري نصف النهار فى السماء صليب من كوكب مكتوباً حوله بهذا تغلب فقال لأصحابه رأيتم مارأيت قالوا نعم فآمن حينئذ بالنصرانية فتجهز لمحاربة قيصر المذكور وصنع صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس البند وخرج بأصحابه فأعطي النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقى من أصحابه فخرج أهل رومية الى قسطنطين بالاكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحا عظيما فلما دخل المدينة أكرم النصاري وردهم الى بلادهم بعد النفى والتشديد وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك والصليب فلما سمع عليانوس جمع جموعه وتجهز للقتال مع قسطنطين فلما وقعت العين في العين انهزموا وأخذتهم السيوف وأفلت عليانوس فلم يزل من قرية الى قرية حتي وصل الى بلده فجمع السحرة والكهنة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب أعناقهم لئلا يقعوا فى يد قسطنطين وأمر ببناء الكنائس وأقام فى كل بلد من بيت المال الخراج فيما يعمل به أبنية الكنائس وقام بدين النصرانية حتى ضرب بجرانه في زمانه فلما تم له خمس عشر سنة من ملكه حاج النصارى في أمر المسيح واضطربوا فأمر بالمجمع في مدينة نيقية وهي التي رتبت فيها الأمانة بعد هذا المجمع كما

Digitized by Google

سيأتي فأراد أريوس أن يدخل معهم فمنعه بترك الاسكندرية وقال ان بطرسا قال لهم ان الله لعن أريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة وكان على مدينة أسيوط من عمل مصر أسقف يقول بقول أريوس فلعنه أيضا وكان بالاسكندرية هيكل عظيم على اسم زحل وكان فيه صنم من نحاس يسمى ميكائيل وكان أهل مصر والاسكندرية في اثني عشر يوما من شهر هتور وهو تشرين الثاني يعيدون لذلك الصنم عيدا عظيما ويذبحون له فامتنع عليه أهلها فاحتال عليهم بحيلة وقال لو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك الله لكان أولى فان هذا الصنم لاينفع ولا يضر فأجابوه الى ذلك فكسر الصنم وجعل منه صليبا وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل فلما منع بترك الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعديا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا الى قسطنطين وقال أريوس انه تعدى عليّ وأخرجني من الكنيسة ظلما وسئل الملك أن يشخص بترك الاسكندرية يناظره قدام الملك فوجه قسطنطين برسول الى الاسكندرية فأشخص البترك وجمع بينه وبين أريوس ليناظره فقال قسطنطين لاريوس اشرح مقالتك قال أريوس اقول ان الأب كان إذ لم يكن الابن ثم انه احدث الابن فكان كلمة له إلا انه محدث مخلوق ثم فوض الأمر الى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما كما قال في انجيله إذ يقول وهب لي سلطاناً على السماء والارض فكان هو الخالق لهما بما اعطي من ذلك ثم ان الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد الا أنهما جميعاً مخلوقان فأجابه عند ذلك بترك الاسكندرية وقال تخبرنا الآن أيما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا قال أريوس بل عبادة من خلقنا فقال له البترك فان كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الابن مخلوقاً فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الأب الذي ليس بخالق بل تصير عبادة الأب الذي خلق الابن كفراً وعبادة الابن المخلوق إيماناً وذلك من أقبح الاقاويل فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البترك وشنع عندهم مقالة أريوس ودارت بينهما أيضاً مسائل كثيرة فأمر قسطنطين البترك أن يكفر أريوس وكل من قال بمقالته فقال له بل يوجه الملك بشخص للبتاركة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع فيه قضية ويكفر أريوس ويشرح الدين ويوضحه للناس فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان فجمع البتاركة والاساقفة فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً فكانوا مختلفي الآراء مختلفي

الأديان * فمنهم من يقول المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية * ومنهم من يقول المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الاولى لايقاد الثانية منها * ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه مقالة الباد وأشياعه * ومنهم من كان يقول ان المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وان ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجواهر الانسية محبته النعمة الالهية فحلت منه بالمحبة والمشيئة فلذلك سمى ابن الله ويقولون ان الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهذه مقالة بولس وأشياعه * ومنهم من كان يقول ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما وهي مقالة مرقيون وأشياعه * ومنهم من كان يقول ربنا هو المسيح وهي مقالة ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً قال إبن البطريق ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالاكرام والضيافة وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأي واحد وناظروا بقية الاساقفة المختلفين فغلجوا عليهم في المناظرة وكان باقي الاساقفة مختلفي الآراء والاديان فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيما وجلس في وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفع ذلك اليهم وقال لهم قد سلطتكم على المملكة فاصنعوا مابدالكم وما ينبغي لكم أن تضيعوا مافيه قوام الدين وصلاح الامة فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له اظهر دين النصرانية وذب عنه ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الاساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها وكان رئيس القوم والمجمع والمقدم فيه بترك الاسكندرية وبترك انطاكية وأسقف بيت المقدس ووجه بترك رومية من عنده رجلين فاتفق الكل على لعن أريوس وأصحابه ولعنوه وكل من قال بمقالته ووضعوا الامانة وقالوا ان الابن مولود من الاب قبل كون الخلائق وان الابن من طبيعة الاب غير مخلوق واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الاحد ليكون بعد فصح اليهود وأن لا يكون فصح اليهود مع فصحهم في يوم واحد ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة وذلك أن الاساقفة منذ وقت الحواريين الى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء لأنهم كانوا اذا صيروا واحداً أسقفاً وكانت له زوجة ثبتت معه ولم تتنح عنه ماخلا البتاركة فانهم لم يكن

لهم نساء ولا كانوا أيضاً يصيرون أحداً له زوجة بتركا قال وانصرفوا مكرمين محظوظين وذلك في سبعة عشر سنة من ملك قسطنطين الملك ومكث بعد ذلك ثلاث سنين إحداها كسر الاصنام وقتل من يعبدها والثانية أمر أن لا يثبت في الديوان الا أولاد النصارى ويكونون هم الامراء والقواد والثالثة أن يقيم الناس جميعهم جمعة الفصح والجمعة التي بعدها لا يعملون فيها عملا ولا يكون فيها حرب وتقدم قسطنطين الى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب ويبني الكنائس ويبدأ ببناء القمامة فقالت هيلانة امه إني نذرت أن أسير الى بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة وأبنيها فدفع اليها الملك أموالا جزيلة وسارت مع أسقف بيت المقدس فبنت كنيسة القمامة في موضع الصليب وكنيسة قسطنطين ثم اجتمعوا بعد هذا مجمعاً عظيماً ببيت المقدس وكان معهم رجل دسه بترك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بترك الاسكندرية وكان هذا الرجل لما رجع الى الملك أظهر أنه مخالف لاريوس وكان يرى رأيه ويقول بمقالته فقام الرجل وقال ان أريوس لم يقل ان المسيح خلق الانسان ولكن قال به خلقت الاشياء لأنه كلمة الله التي خلقت السموات والارض وانما خلق الله الاشياء بكلمته ولم تخلق الاشياء كلمته كما قال المسيح في الانجيل كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء وقال به كانت الحياة والحياة نور البشر وقال العالم به يكون فأخبر أن الاشياء به تكونت * قال ابن البطريق فهذه كانت مقالة أريوس ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا تعدوا عليه وحرموه ظلماً وعدوانا فرد عليه بترك الاسكندرية وقال أما أريوس فلم تكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه لأنه إنما قال الابن خالق الاشياء دون الاب واذا كانت الاشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الاب لها خالقاً فقد أعطي انه ماخلق منها شيئاً وفي ذلك تكذيب قوله الاب يخلق وأنا أخلق وقال إن أنا لم أعمل عمل ابي فلا تصدقوني وقال كما ان الاب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته قالوا فدل على انه يحيي ويخلق وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خلقت الاشياء به دون أن يكون خالقاً واما قولك إن الاشياء كوّنت به فانا لما قلنا لا شك ان المسيح حي فعال وكان قد دل بقوله إني أفعل الخلق والحياة كان قولك به كونت الاشياء إنما هو راجع في المعنى الى أنه كونها وكانت به مكونة ولو لم يكن ذلك لتناقض القولان قال واما قول من قال من اصحاب أريوس ان الاب يريد الشيء فيكونه الابن والارادة للاب والتكوين للابن فان ذلك يفسد ايضاً اذا كان الابن عنده مخلوقا فقد صار حظ المخلوق في الخلق أو في

من حظ الخالق فيه وذلك ان هذا اراد وفعل وذاك اراد ولم يفعل فهذا اوفر حظا في فعله من ذلك ولا بد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه ويكون حكمه كحكمه في الخير والاختيار فان كان مجبوراً فلا شيء له في الفعل وان كان مختاراً فجائز أن يطاع وجائز أن يعصي وجائز أن يثاب وجائز أن يعاقب وهذا أشنع في القول ورد عليه أيضاً وقال إن كان الخالق إنما خلق خلقه بمخلوق والمخلوق غير الخالق بلا شك فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج الى متمم ليفعل به إذ كان لا يتم له الفعل إلا به والمحتاج الى غيره منقوص والخالق متعال عن هذا كله قال فلما دحض بترك الاسكندرية حجج المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهم وتحيروا وخجلوا فوثبوا على بترك الاسكندرية فضربوه حتى كاد يموت فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين وهرب بترك الاسكندرية وصار الى بيت المقدس من غير حضور أحد من الاساقفة ثم أصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون وسار الى الملك فأعلمه الخبر فصرفه الى الاسكندرية * قال ابن البطريق وأمر الملك أن لا يسكن يهودي بيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر قتل فظهر دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق فقيل للملك إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم على دينهم فقال كيف لنا أن نعلم ذلك منهم فقال يونس البترك ان الخنزير في التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير فأمر أن تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم على دين اليهودية فقال الملك اذا كان الخنزير في التوراة حراماً فكيف يحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس فقال له يونس إن سيدنا المسيح قد أبطل كل مافي التوراة وجاء بنواميس أخر وبتوراة جديدة وهو الانجيل وفي إنجيله أن كل ما يدخل البطن فليس بحرام ولا نجس وإنما ينجس الانسان ما يخرج من فيه وقال يونس أن بطرس رئيس الحواريين بينما هو يصلي في ست ساعات من النهار وقع عليه سبات فنظر الى السماء قد تفتحت واذا زاد قد نزل من السماء حتى بلغ الارض وفيه كل ذي أربع قوائم على الارض من السباع والدواب وغير ذلك من طير السماء وسمع صوتاً يقول له يا بطرس قم واذبح وكل فقال بطرس يارب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا دنساً قط فجاء صوت بأن كل ماطهره الله فليس بنجس وفي نسخة أخرى ماطهره الله فلا تنجسه أنت ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات ثم ان الزاد ارتفع الى السماء فتعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه فامر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً وتصير على

Digitized by Google

أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير فمن لم يأكل منه يقتل فقتل لاجل ذلك كثير ثم هلك قسطنطين وفي أيامه اجتمع أصحاب أريوس ومن قال بمقالته اليه فحسنوا لهم دينهم ومقالتهم وقالوا إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق في قولهم إن الابن متفق مع الاب في الجوهر فأمر أن لايقال هذا فأنه خطأ فعزم الملك على فعله فكتب اليه أسقف بيت المقدس أن لايقبل قول أصحاب أريوس فانهم حائدون عن الحق وكفار وقد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقالتهم فقبل قوله *قال ابن البطريق وفي ذلك الوقت أعلنت مقالة أريوس على قسطنطينية وانطاكية والاسكندرية وفى ثاني سنة من ملك قسطنطين هذا صار على أنطاكية بترك أريوسي ثم بعده آخر مثله قال وأما أهل مصر والاسكندرية وكان أكثرهم أريوسيين ومانيين فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها ووثبوا على بترك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفى ثم ذكر جماعة من البتاركة والاساقفة من طوائف النصارى وما جري لهم مع بعضهم بعضاً وما تعصبت به كل طائفة لبتركها حتى قتل بعضهم بعضاً واختلف النصاري أشد الاختلاف وكثرت مقالاتهم واجتمعوا عدة مجامع كل مجمع يلعن فيه بعضهم بعضاً ونحن نذكر بعض مجامعهم بعد هذين المجمعين.. فكان لهم مجمع ثالث بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الاول بنيقية فاجتمع الوزراء والقواد الى الملك وقالوا إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة أريوس ومقدونيس فاكتب الى جميع الاساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الى سائر بلاده فاجتمع في قسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً فنظروا وبحثوا في مقالة أريوس فوجدوها أن روح القدس مخلوق ومصنوع ليس بالله فقال بترك الاسكندرية ليس روح القدس عندنا غير روح الله وليس روح الله غير حياته فاذا قلنا ان روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة واذا قلنا حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي وذلك كفر به فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفتهم وبتاركتهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق إله حق من إله حق من طبيعة الاب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة وزادوا في الامانة التي وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر ونؤمن بروح القدس الرب المحيي الذى من الاب منبثق الذي مع الاب والابن وهو مسجود وممجد وكان في تلك الامانة وبروح القدس فقط وبينوا ان الابن والاب وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاث وجوه

Digitized by Google

وثلاث خواص وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة وبينوا أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية فانفض هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفتهم وأشياعهم ... ثم بعد احدي وخمسين سنة من هذا المجمع كان لهم مجمع رابع على نسطورس وكان رأيه أن مريم ليست بوالدة الاله على الحقيقة ولذلك كان إثنان أحدهما الاله الذي هو موجود من الاب والآخر انسان وهو الموجود من مريم وان هذا الانسان الذي يقول إنه المسيح متوحد مع ابن الاله ويقال له إله وابن الاله ليس على الحقيقة ولكن لوهمه واتفاق الأسمين على طريق الكرامة فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطيئته واجتمع منهم مائتا أسقف في مدينة أفسيس وهي مدينة دقيانوس وأرسلوا اليه للمناظرة فامتنع ثلاثا مرات فاجمعوا على لعنه فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم ولدت إلهاً وان المسيح إله حق من إله حق وهو انسان وله طبيعتان فلما لعنوا نسطورس تعصب له بترك انطاكية فجمع الاساقفة الذين قدموا معه وناظرهم وقطعهم فتقاتلوا وتلاعنوا وجرى بينهم شر فتفاقم أمرهم فلم يزل الملك حتي أصلح بينهم فكتب أولئك صحيفة أن مريم القديسة ولدت إلهاً وهو ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعة ومع الناس في الناسوت وأقروا بطبيعتين وبوجه واحد وأقنوم واحد وأنفذوا لعن نسطورس فلما لعنوه ونفي سار الى مصر وأقام في أخميم سبع سنين ومات ودفن بها وماتت مقالته إلى أن أحياها إبن صرما مطران نصيبين وبثها في بلاد المشرق فاكثر نصاري المشرق والعراق نسطورية فانفض ذلك المجمع الرابع أيضاً وقد اطبقوا على لعن نسطورس وأشياعه ومن قال بمقالته ... ثم كان لهم بعد هذا مجمع خامس وذلك أنه كان بالقسطنطينية طبيب راهب يقال له أوطيوس يقول إن جسد المسيح ليس هو مع أجسادنا بالطبيعة وان المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي مقالة اليعقوبية فرحل اليه بعض الاساقفة فناظره وقطعه ودحض حجته ثم صار الى قسطنطينية فاخبر بتركها بالمناظرة وبانقطاعه فارسل بترك القسطنطينية اليه فاستحضره وجمع جمعاً عظيما وناظره فقال أوطيوس إن قلنا أن المسيح طبيعتين فقد قلنا بقول نسطورس ولكنا نقول إن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد لأنه من طبيعتين كانتا قبل التجسد فلما قبل التجسد زالت عنه وصار طبيعة واحدة واقنوماً واحداً فقال له بترك القسطنطينية إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة الواحدة هي الطبيعة القديمة وهي الطبيعة المحدثة وان كان القديم هو المحدث فالذي لم يزل هو الذي لم يكن ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث

Digitized by Google

لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد فأبي أن يرجع عن مقالته فلعنوه فاستعدي الى الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب الى جميع البتاركة للمناظرة فاستحضر الملك البتاركة والاساقفة من سائر البلاد الى مدينة أفسيس فثبت بترك الاسكندرية مقالة أوطيسوس وقطع بتارك القسطنطينية وانطاكية وبيت المقدس وسائر البتاركة والاساقفة وكتب إلى بترك رومية والى جماعة الكهنة فحرمهم ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس ففسدت الامانة وصارت مقالة أوطيسوس خاصة بمصر والاسكندرية وهو مذهب اليعقوبية فافترق هـذا المجمع الخامس وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويبرأ من مقالته .. ثم كان لهم بعد هذا مجمع سادس في مدينة حلقدون فأنه لما مات الملك ولى بعده مرقيون فاجتمع اليه الاساقفة من سائر البلاد فاعلموه ما كان من ظلم ذلك المجمع وقلة الانصاف وان مقالة أوطيسوس قد غلبت على الناس وأفسدت دين النصرانية فأمر الملك باستحضار سائر البتاركة والمطارنة والاساقفة الى مدينة حلقدون فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفاً فنظروا في مقالة أوطيسوس وبترك الاسكندرية الذي قطع جميع البتاركة فافسدا لجميع مقالتهما ولعنوهما وأثبتوا أن اليسوع المسيح إله وإنسان في المكان مع الله باللاهوت وفي المكان معنا بالناسوت يعرف بطبيعتين تام باللاهوت وتام بالناسوت مسيح واحد وثبتوا أقوال الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً وقبلوا قولهم بان الابن مع الله في المكان نور من نور إله حق من إله حق ولعنوا أريوس وقالوا إن روح القدس إله وان الاب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة وثبتوا قول المجمع الثالث في مدينة أفسيس أعني المائتي أسقف على نسطورس وقالوا ان مريم العذراء ولدت إلها ربنا اليسوع المسيح الذى هو مع الله بالطبيعة ومع الناسوت بالطبيعة وشهدوا ان للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحـداً ولعنوا نسطورس وبترك الاسكندرية ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بافسيس ثم المجمـع المائتي أسقف بمدينـة أفسيس أول مرة ولعنوا نسطورس وبين نسطورس الى مجمع حلقدون أحدوعشرون سنة فانقض هذا المجمع وقد لعنوا من مقدميهم وأساقفتهم من ذكرنا وكفروهم وتبرؤا منهم ومن مقالاتهم .. ثم كان لهم بعد هذا المجمع مجمع سابع في أيام أنسطاس الملك وذلك ان سـورس القسطنطيني كان على رأي أوطيسوس فجاء الى الملك فقـال إن المجمع الحلقدوني الستمائة وثلاثين قـد أخطأوا في لعن أوطيسوس وبترك الاسكندرية والدين الصحيح ماقالا فلا تقبل دين من سواهما ولكن أكتب الى جميع عمالك أن يلعنوا الستمائة وثلاثين ويأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد

Digitized by Google

فأجابه الملك الى ذلك فلما بلغ ذلك إيليا بترك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا أنسطاس الملك وسورس ومن يقول بمقالهما فبلغ ذلك أنسطاس ونفاه الى أيلة وبعث يوحنا بتركا على بيت المقدس لان يوحنا كان قد ضمن له أن يلعن المجمع الخلقدوني الستمائة وثلاثين فلما قدم الى بيت المقدس اجتمع الرهبان وقالوا إياك أن تقبل من سورس ولكن قاتل عن المجمع الخلقدوني ونحن معك فضمن لهم ذلك وخالف أمر الملك فبلغ ذلك الملك فأرسل قائداً وأمره أن يأخذ يوحنا بطرح المجمع الخلقدوني فأن لم يفعل ينفيه عن الكرسي فقدم القائد وطرح يوحنا في الحبس فصار اليه الرهبان في الحبس وأشاروا عليه بان يضمن للقائد أن يفعل ذلك فاذا حضر فليقر بلعنة من من لعنه الرهبان ففعل ذلك واجتمع الرهبان وكانوا عشرة آلاف راهب ومعهم بدرس وسابا ورؤساء الديارات فلعنوا أوطيسوس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع الخلقدوني وفزع رسول الملك من الرهبان وبلغ ذلك الملك فهم بنفي يوحنا فاجتمع الرهبان والاساقفة فكتبوا الى أنسطاس الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولا أحد من المخالفين ولو أهرقت دمائهم وسألوه أن يكف اذاه عنهم وكتب بترك رومية الى الملك يقبح فعله ويلعنه فانفض هذا المجمع أيضاً وقد تلاعنت فيه هذه الجموع على ما وصفنا وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب يقول بمقالة سورس وكان يسمى يعقوب البرادعي واليه تنسب اليعاقبة فافسد أمانة النصاري ثم مات أنسطاس وولى قسطنطين فرد كل من نفاه أنسطاس الملك الى موضعه واجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيدوا عيداً حسناً بزعمهم وأثبتوا المجمع الخلقدوني بالستمائة وثلاثين أسقفاً ثم ولى ملك آخر وكانت اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية وقتلوا بتركا لهم يقال له بولس كان ملكيا فارسل قائداً ومعه عسكر عظيم الى الاسكندرية فدخل الكنيسة في ثياب البترك وتقدم وقدس فرموه بالحجارة حتي كادوا يقتلونه فانصرف ثم أظهر لهم من بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب الملك وضرب الجرس ليجتمع الناس يوم الاحد في الكنيسة فلم يبق أحد بالاسكندرية حتي حضر لسماع كتاب الملك وقد كان جعل بينه وبين جنده علامة اذا هو فعلها وضعوا السيف في الناس فصعد المنبر وقال يامعشر أهل اسكندرية إن رجعتم الى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة والا لن تأمنوا أن يرسل الملك اليكم من يسفك دمائكم فرموه بالحجارة حتي خاف على نفسه أن يقتل فاظهر العلامة فوضعوا السيف على كل من في الكنيسة فقتل داخلها وخارجها أمم لا تحصي كثرة حتي خاض الجند في الدماء وهرب منهم خلق

Digitized by Google

كثير وظهرت مقالة الملكية .. ثم كان لهم بعد ذلك مجمع عظيم ثامن بعد المجمع الخلقدوني الذي لعن فيه اليعقوبية بمائة سنة وثلاث سنين وذلك ان أسقف منبج وهي بلدة شرقي حلب بالقرب منها وهي مخسوفة الآن كان يقول بالتناسخ وان ليس قيامة وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون إن جسد المسيح خيال غير حقيقة فحشرهم الملك الى قسطنطينية فقال لهم بتركهما إن كان جسده خيالا فيجب أن يكون فعله خيالا وقوله خيالا وكل جسد يماثل لاحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك وقال لأسقف منبج إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة وقال في انجيله لن تأتي الساعة حتى ان كل من في القبور اذا سمعوا قول ابن الله يحيوا فكيف تقولون ليس قيامة فاوجب عليهم الخزي واللعن وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه واستحضر بتاركة البلاد فاجتمع في هـذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً فلعنوا أسقف منبج وأسقف المصيصة وثبتوا على قول أسقف الرها أن جسد المسيح حقيقة لا خيال وانه إله تام وانسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد وثبتوا المجامع الاربعة التي قبلهم بعد المجمع الخلقدوني وان الدنيا زائلة وان القيامة كائنة وان المسيح يأتي بمجد عظيم فيدين الاحياء والاموات كما قال الثلاثمائة والثمانية عشر .. ثم كان لهم مجمع تاسع في أيام معاوية بن أبي سفيان تلاعنوا فيه وذلك أنه كان برومية راهب قديس يقال له مقسلمس وله تلميذان فجاء الى قسطا الوالي فوبخه على قبح مذهبه وشناعة كفره فأمر به قسطا فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه وفعل باحد التلميذين مثله وضرب الآخر بالسياط ونفاه فبلغ ذلك ملك قسطنطينية يومئذ فارسل اليه ان يوجه اليه من أفاضل الاساقفة ليعلم وجه هذه الحجة ومن الذي كان ابتدأها لكيما يطرح جميع الاباء القديسين كل من استحق اللعنة فبعث اليه مائة وأربعين أسقفاً وثلاث شمامسة فلما وصلوا الى قسطنطينية جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفاً فصاروا ثلاثمائة وثمانية واسقطوا الشمامسة في البرطحة وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية ولم يكن لبيت المقدس والاسكندرية بترك فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فلخصوا الامانة المستقيمة بزعمهم فقالوا نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الازلية الدائم المستوي مع الاب الاله في الجوهر الذي هو ربنا اليسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم

Digitized by Google

واحد ووجه واحد يعرف تاما بلاهوته تاما بناسوته وأشهد كما شهد مجمع الخلقدونية على ماسبق أن الاله الابن في آخر الايام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً انسانا بنفسين وذلك برحمة الله تعالى محب البشر ولم يلحقه احتلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الانسان أن يعمل في طبيعته وما يشبه الاله أن يعمل في طبيعته الذى هو الابن الوحيد والكلمة الازلية المتجسدة الى أن صارت في الحقيقة لحماً كما يقول الانجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الازلى وليست بمتغيرة لكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين إلهي والشيء الذي يكون بهما القول الحق وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها مشيئتين غير متضادتين ولا متضارعتين ولكن مع المشيئة الانسية في المشيئة الالهية القادرة على كل شيء هذه شهادتهم وأمانة المجمع السادس من المجمع الخلقدوني وثبتوا امانة الابن مع المجامع التي كانت قبلهم ولعنوا من لعنوه وبين المجمع الخامس الى هذا المجمع مائة سنة .. ثم كان لهم مجمع عاشر لما مات الملك وولى بعده ابنه واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم وثبتوا قول المجامع الخمسة ولعنوا من لعنوا وانصرفوا فانقرضت هذه المجامع والحشود وهم علماء النصاري وقدماؤهم وناقلوا الدين الى المتأخرين واليهم يستند من بعدهم وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الاساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون فاذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخيارهم فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لايثبت لهم قدم ولا يحصل لهم قول في معرفة معبودهم بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه فما الظن بحسالة الماضين وبقاية الغابرين وذبالة الحائرين وذرية الضالين وقد طال عليهم الامد وبعد العهد وصار دينهم مايتلقونه عن الرهبان وقوم اذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شيء بالانعام وإن كانوا في صور الانام بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلا (إن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا

Digitized by Google

كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وأمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم وأمة اللعن بشهادتهم على نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله في قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا هذا والكتاب واحد والرب واحد والنبي واحد والدعوي واحدة وكلهم يتمسك بالمسيح وانجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا الاختلاف المتباين فمنهم من يقول إنه إله ومنهم من يقول ابن الله ومنهم من يقول ثالث ثلاثة ومنهم من يقول إنه عبد ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة ومنهم من يقول أقنومان وطبيعتان الى غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم وكل منهم يكفر صاحبه فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلها ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله فوازن بين هذا وبين ماجاء به خاتم الرسل والانبياء تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها ان الدين عند الله الاسلام

(فصل) في أنه لايمكن الايمان بنبي من الانبياء أصلا مع جحود نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الانبياء أشد جحداً وهذا يتبين بوجوه (أحدها) أن الانبياء المتقدمين بشروا بنبوته وأمروا أممهم بالايمان به ومن جحد نبوته فقد كذب الانبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الايمان به والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم واذا انتفى اللازم انتفي ملزومه قطعاً وبيان الملازمة ماتقدم من الوجوه الكثيرة التي يفيد مجموعها القطع على انه صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الكتب الالهية على ألسن الانبياء واذا ثبتت الملازمة فانتفاء اللازم موجب لانتفاء ملزومه (الوجه الثاني) أن دعوة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم الى آخرهم فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم فان جميع الرسل جاؤا بما جاء به فاذا كذبه المكذب فقد زعم أن ماجاء به باطل وفي ذلك تكذيب كل رسول ارسله الله وكل كتاب أنزله الله ولا يمكن أن يعتقد ان ماجاء به صدق وانه كاذب مفتر على الله وهذا في غاية الوضوح وهذا بمنزلة شهود شهدوا بحق فصدقهم الخصم وقال هؤلاء كلهم شهود عدول صادقون ثم أن آخر شهد على شهادتهم سواء فقال الخصم هذه الشهادة باطلة وكذب لا أصل لها وذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعاً ولا ينجيه من تكذيبهم اعترافه بصحة شهادتهم وانها شهادة حق مع قوله ان الشاهد بها كاذب فيما شهد به فكما أنه لو لم يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوات الانبياء قبله فكذلك إن لم يصدق لم

Digitized by Google

يمكن تصديق نبي من الانبياء قبله (الوجه الثالث) ان الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل فليس لنبي من الانبياء آية يجب الايمان بها إلا ولمحمد صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو فى الدلالة مثلها وان لم يكن من جنسها فآيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل والعلم بنقلها قطعى لقرب العهد وكثرة النقلة وإختلاف أمصارهم وأعصارهم واستحالة طواطئهم على الكذب فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده بحيث لا يمكن المكابرة والمكابر فيه في غاية الوقاحة والبهت كالمكابر في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والاقاليم والجبال والانهار فان جاز القدح في ذلك كله فالقدح في وجود موسى وعيسى وآيات نبوتهما أجوز وأجوز وان امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد صلى الله عليه وسلم وآيات نبوته أشد وكذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الايمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد ابداً كفر بالجميع وقال ما أنزل الله على بشر من شيء كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً سميناً ففضب عدو الله وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله عز وجل قوله (وما قدروا الله حق قدره) الآية وهذا قول عكرمة قال محمد ابن كعب جاء ناس من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا ياأبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله عز وجل فأنزل الله عز وجل (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) الآية فجثى رجل من اليهود فقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً ما أنزل الله على بشر من شيء فخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته وجعل يقول ولا على أحد وذهب جماعة منهم مجاهد الى أن الآية نزلت في مشركى قريش فهم الذين جحدوا أصل الرسالة وكذبوا بالرسل وأما أهل الكتاب فلم يجحدوا نبوة موسى وعيسى وهذا

Digitized by Google

اختيار ابن جرير قال وهو أدنى الأقاويل بالصواب لأن ذلك في سياق الخبر عنهم فهو أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولم يجر لهم ذكر يكون هـذا به متصلاً مع مافي الخبر عن من أخبر الله عنه من هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب وليس ذلك ما تدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود الاقرار بصحف موسى وابراهيم وزبور داود والخبر من السورة الى هذا الموضع خبر عن المشركين من عبـدة الأوثان وقوله وما قدروا الله حق قدره موصول به غـير مفصول عنه قلت ويقوى قوله أن السورة مكية فهي خـبر عن زنادقة العرب المنكرين لأصل النبوة ولكن بقي أن يقال فكيف يحسن الرد عليهم بما لا يقرون به من إنزال الكتاب الذي جاء به موسى وكيف يقال لهـم يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ولا سيما على قراءة من قرأ بتاء الخطاب وهل ذلك صالح لغير اليهود فانهم كانوا يخفون من الكتاب مالا يوافق أهواءهم وأغراضهم ويبدون منه ما سواه فاحتج عليهم بما يقرون به من كتاب موسى ثم وبخهم بأنهم خانوا الله ورسوله فيه فأخفوا بعضه وأظهروا بعضه وهذا استطراد من ذكر جحدهم النبوة بالكلية وذلك إخفاء لها وكتمان الى جحـد ما أقروا به من كتابهم باخفائه وكتمانه فتلك سـجية لهم معروفة لا تنكر إذ من أخفى بعض كتابه الذي يقر بأنه من عند الله كيف لا يجحد أصل النبوة ثم احتج عليهم بأنهم قد علموا بالوحي مالم يكونوا يعلمونه هم ولا آباؤهم ولولا الوحي الذي أنزله على أنبيائه ورسله لم يصلوا اليه ثم أمر رسوله أن يجيب عن هذا السؤال وهو قوله من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فقال قل الله أي الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وجواب هذا السؤال أن يقال ان الله سبحانه احتج عليهم بما تقر به أهل الكتابين وهم اولوا العلم دون الامم التي لاكتاب لها أي إن جحدتم أصل النبوة وأن يكون الله انزل على بشر شيئاً فهذا كتاب موسى تقر به اهل الكتاب وهم اعلم منكم فاسئلوهم عنه ونظائر هـذا في القرآن كثيرة يستشهد سبحانه بأهل الكتاب على منكري النبوات والتوحيد والمعنى إنكم إن انكرتم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فمن أنزل كتاب موسى فان لم تعلموا ذلك فاسـألوا أهل الكتاب وأما قوله تعالى يجعلونه قراطيس يبـدونها ويخفون كثيرا فمن قرأها بالياء فهو إخبار عن اليهود بلفظ الغيبة ومن قرأها بلفظ التاء للخطاب فهو خطاب لهذا الجنس الذي فعلوا ذلك أي يجعله من انزل عليه كذلك وهذا من أعلام نبوته أن يخبر اهل الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم وانهم جعلوه قراطيس وابدوا بعضـه

Digitized by Google

واخفوا كثيراً منه وهذا لا يعلم من غير جهتهم إلا بوحى من الله ولا يلزم ان يكون قوله تجعلونه قراطيس خطاباً لمن حكى عنهم أنهم قالوا ما انزل الله على بشر من شيء بل هـذا استطراد من الشيء الى نظيره وشبهه ولازمه وله نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة) الى آخر الآية فاستطرد من المخلوق من الطين وهو آدم الى النوع المخلوق من النطفة وهم اولاده واوقع الضمير على الجميع بلفظ واحد ومثله قوله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) الى آخر الآيات ويشبه هذا قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهاداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها) الى آخر الآيات وعلى التقديرين فهؤلاء لم يتم لهم إنكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومكابرتهم إلا بهذا الجحد والتكذيب العام ورأوا أنهم إن اقروا ببعض النبوات وجحدوا نبوته ظهر تناقضهم وتفريقهم بين المتماثلين وأنهم لا يمكنهم الايمان بنبي وجحد نبوة من نبوته اظهر وآياتها اكثر واعظم ممن اقروا به واخبر سبحانه أن من جحد ان يكون قد ارسل رسله وانزل كتبه لم يقدره حق قدره وانه نسبه الى مالا يليق به بل يتعالى وينزه عنه فان في ذلك انكار دينه وإلهيته وملكه وحكمته ورحمته والظن السيء به أنه خلق خلقه عبثا باطلا وانه خلاهم سدى هملا وهذا ينافي كماله المقدس وهو متعال عن كل ما ينافي كماله فمن أنكر كلامه وتكليمه وإرساله الرسل الى خلقه فما قدره حق قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته كما ان من عبد معه إلها غيره لم يقدره حق قدره معطل جاحد لصفات كماله ونعوت جلاله وإرسال رسله وإنزال كتبه ولا عظمه حق عظمته وكذلك كان جحد نبوة خاتم انبيائه ورسله وإنزال كتبه وتكذيبه انكارا للرب تعالى في الحقيقة وجحوداً له فلا يمكن الاقرار بربوبيته وإلهيته وملكه بل ولا بوجوده مع تكذيب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وقد أشرنا الى ذلك في المناظرة التي تقدمت فلا يجامع الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرار بالرب تعالى وصفاته

Digitized by Google

أصلا كما لا يجامع الكفر بالمعاد واليوم الآخر الاقرار بوجود الصانع أصلا وقد ذكر سبحانه ذلك في موضعين من كتابه في سورة الرعد في قوله (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم) والثاني في سورة الكهف في قوله تعالى (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) فالرسول صلوات الله وسلامه عليه إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعريف بحقوقه على عباده فمن أنكر رسالاته فقد أنكر الرب الذي دعا اليه وحقوقه التي أمر بها بل نقول لايمكن الاعتراف بالحقائق على ماهي عليه مع تكذيب رسوله وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض وأديانهم فان الفلاسفة لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة والجن والمبدأ والمعاد وتفاصيل صفات الرب تعالى وأفعاله مع إنكار النبوات بل والحقائق المشاهدة التي لايمكن إنكارها لم يثبتوها على ماهي عليه ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ماهي عليه البتة وهذا ثمرة إنكارهم النبوات فسابهم الله إدراك الحقائق التي زعموا أن عقولهم كافية في ادراكها فلم يدركوا منها شيئاً على ماهو عليه حتى ولا الماء ولا الهواء ولا الشمس ولا غيرها فمن تأمل مذاهبهم فيها علم أنهم لم يدركوها وان عرفوا من ذلك بعض ماخفي على غيرهم وأما المجوس فأضل وأضل وأما عباد الأصنام فلا عرفوا الخالق ولا عرفوا حقيقة المخلوقات ولا ميزوا بين الشياطين والملائكة وبين الأرواح الطيبة والخبيثة وبين أحسن الحسن وأقبح القبيح ولا عرفوا كمال النفس وما تسعد به ونقصها وما تشقى به وأما النصاري فقد عرفت ما الذي أدركوه من معبودهم وما وصفوه به وما الذى قالوه في نبيهم وكيف لم يدركوا حقيقته البتة ووصفوا الله بما هو من اعظم العيوب والنقائص ووصفوا عبده ورسوله بما ليس له وجه من الوجوه ولا عرفوا الله ولا رسوله والمعاد الذي اقروا به لم يدركوا حقيقته ولم يؤمنوا بما جاءت به الرسل من حقيقته إذ لا أكل عندهم في الجنة ولا شرب ولا زوجة هناك ولا حور عين يلذ بهن الرجال كلذاتهم في الدنيا ولا عرفوا حقيقة أنفسهم وما تسعد به وتشقى ومن لم يعرف ذلك فهو اجدر أن لايعرف حقيقة شيء كما ينبغي البتة فلا لأنفسهم عرفوا ولا لفاطرها وبارئها ولا لمن جعله الله سبباً في فلاحها وسعادتها ولا للموجودات وأنها جميعها فقيرة مربوبة مصنوعة ناطقها وصامتها آدميها

Digitized by Google

وجنبها وملكها فكل من في السموات عبده وملكه وهو مخلوق مصنوع مربوب فقير من كل وجه ومن لم يعرف هذا لم يعرف شيئاً واما اليهود فقد حكي الله لك عن جهل أسلافهم وعبادتهم للعجل وضلالهم مايدل على ماوراءه من ظلمات الجهل التي بعضها فوق بعض ويكفي في ذلك عبادتهم العجل الذي صنعته ايديهم من ذهب ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة ابلد الحيوان وأذله فطانة الذى يضرب المثل به فى قلة الفهم فانظر الى هذه الجهالة والعبادة المتجاوزة للحد كيف عبدوا مع الله إلهاً آخر وقد شاهدوا من ادلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله مالم يشاهده سواهم وإذ قد عزموا على اتخاذ إله دون الله فتخذوه ونبيهم حي بين اظهرهم لينتظروا موته وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الملائكة المقربين ولا من الاحياء الناطقين بل اتخذوه من الجمادات وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم بل من الجواهر الأرضية وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر التي خلقت فوق الارض عالية عليها كالجبال ونحوها بل من جواهر لاتكون إلا تحت الارض والصخور والأحجار عالية عليها وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من جوهر يستغني عن الصنعة وإدخال النار وتقليبه وجوهاً مختلفة وضربه بالحديد وشبكه بل من جوهر يحتاج الى نيل الأيدى له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبي مرسل ولا على تمثال جوهر علوي لاتناله الأيدى بل على تمثال حيوان ارضي وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثل اشرف الحيوانات واقواها واشدها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوهما بل صاغوه على تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضيم والذل بحيث يحرث عليه الارض ويسقى عليه بالسواقى والدواليب ولا له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغير فأي معرفة لهؤلاء بمعبودهم ونبيهم وحقائق الموجودات وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً فيعبد إلهاً مجعولا بعد ماشاهد تلك الامارات الباهرات أن لايعرف حقيقة الاله ولا اسماءه وصفاته ونعوته ودينه ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره ولو عرف هؤلاء معبودهم ورسولهم لما قالوا لنبيهم لن نؤمن لك حتي نري الله جهرة ولا قالوا له إذهب انت وربك فقاتلا ولا قتلوا نفساً وطرحوا المقتول على ابواب البرآء من قتله ونبيهم حي بين اظهرهم وخبر السماء والوحي يأتيه صباحاً ومساء فكأنهم جوزوا أن يخفى هذا على الله كما يخفى على الناس ولو عرفوا معبودهم لما قالوا في بعض مخاطباتهم له يا ابانا انتبه من رقدتك كم تنام ولو عرفوه لما سارعوا الى محاربة انبيائه وقتلهم وحبسهم ونفيهم ولما

Digitized by Google

تحيلوا على تحليل محارمه واسقاط فرائضه بأنواع الحيل ولقد شهدت التوراة بعدم فطانتهم وانهم من الاغبياء ولو عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة أن يأمر بالشئ في وقت لمصلحة ثم يزيل الأمر به في وقت آخر لحصول المصلحة وتبدله بما هو خير منه وينهي عنه ثم يبيحه فى وقت آخر لاختلاف الاوقات والاحوال في المصالح والمفاسد كما هو مشاهد في احكامه القدرية الكونية التي لايتم نظام العالم ولا مصلحته الا بتبدلها واختلافها بحسب الاحوال والاوقات والاماكن فلو اعتمد طبيب أن لايغير الادوية والاغذية بحسب اختلاف الزمان والاماكن والاحوال لأهلك الحرث والنسل وعد من الجهال فكيف يحجر على طبيب القلوب والاديان أن تتبدل احكامه بحسب اختلاف المصالح وهل ذلك إلا قدح في حكمته ورحمته وقدرته وملكه التام وتدبيره لخلقه ومن جهلهم بمعبودهم ورسوله وأمره أنهم أمروا أن يدخلوا باب المدينة التي فتحها الله عليهم سجداً ويقولوا حطة فيدخلوا متواضعين لله سائلين منه أن يحط عنهم خطاياهم فدخلوا يزحفون على أستاههم بدل السجود لله ويقولون هنطا سقمانا أى حنطة سمراء فذ ك سجودهم وخشوعهم وهذا إستغفارهم واستقالتهم من ذنوبهم ومن جهلهم وغباوتهم أن الله سبحانه أراهم من آيات قدرته وعظيم سلطانه وصدق رسوله مالامزيد عليه ثم أنزل عليهم بعد ذلك كتابه وعهد اليهم فيه عهده وأمرهم أن يأخذوه بقوة فيعبدوه بما فيه كما خلصهم من عبودية فرعون والقبط فأبوا أن يقبلوا ذلك وامتنعوا منه فنتق الجبل العظيم فوق رؤسهم على قدرهم وقيل لهم ان لم تقبلوا أطبقته عليكم فقبلوه من تحت الجبل * قال ابن عباس رفع الله الجبل فوق رؤسهم وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم البحر من تحتهم ونودوا إن لم تقبلوا أوضحتكم بهذا وأحرقتكم بهذا وأغرقتكم بهذا فقبلوه وقالوا سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ماأطعناك ولما أمنوا بعد ذلك قالوا سمعنا وعصينا ومن جهلهم أنهم شاهدوا الآيات ورأوا العجائب التي يؤمن على بعضها البشر ثم قالوا بعد ذلك لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة وكان الله سبحانه قد أمر موسى أن يختار من خيارهم سبعين رجلا لميقاته فاختارهم موسي وذهب بهم الى الجبل فلما دني موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتي تغشى الجبل وقال للقوم ادنوا ودني القوم حتي اذا دخلوا في الحجاب وقعوا سجداً فسمعوا الرب تعالى وهو يكلم موسى ويأمره وينهاه ويعهد اليه فلما انكشف الغمام قالوا لن نؤمن لك حتى نري الله جهرة ومن جهلهم أن هرون لما مات ودفنه موسي قالت بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته حسدته علي خلقه

Digitized by Google

ولينه ومحبة بني اسرائيل له قال فاختاروا سبعين رجلا فوقفوا على قبر هرون فقال موسي ياهرون أقتلت أم مت قال بل مت وما قتلني أحد فحسبك من جهلة أمة وجفائهم أنهم اتهموا نبيهم ونسبوه الى قتل أخيه فقال موسى ماقتلته فلم يصدقوه حتي أسمعهم كلامه وبراءة أخيه مما رموه به ومن جهلهم أن الله سبحانه شبههم في حملهم التوراة وعدم الفقه فيها والعمل بها بالحمار يحمل أسفاراً وفي هذا التشبيه من النداء على جهالتهم وجوه متعددة منها أن الحمار من أبلد الحيوانات التي يضرب بها المثل في البلادة ومنها أنه لو حمل غير الاسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعور بخلاف الاسفار ومنها أنهم حملوها لا أنهم حملوها طوعا واختيارا بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لم يرفعوا به رأساً ومنها أنهم حيث حملوها تكليفاً وقهراً لم يرضوا بها ولم يحملوها رضا واختيارا وقد علموا أنهم لابد لهم منها وأنهم إن حملوها اختيارا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة ومنها أنها مشتملة على مصالح معاشهم ومعادهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فاعراضهم عن التزام مافيه سعادتهم وفلاحهم الى ضده من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطانة ومن جهلهم وقلة معرفتهم أنهم طلبوا عوض المن والسلوى اللذين هما أطيب الأطعمة وأنفعها وأوفقها للغذاء الصالح البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل ومن رضي باستبدال هذه الأغذية عوضاً عن المن والسلوى لم يكثر عليه أن يستبدل الكفر بالايمان والضلالة بالهدى والغضب بالرضي والعقوبة بالرحمة وهذه حال من لم يعرف ربه ولا كتابه ولا رسوله ولا نفسه وأما نقضهم ميثاقهم وتبديلهم أحكام التوراة وتحريفهم الكلم عن مواضعه وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم الرشا واعتدائهم في السبت حتي مسخوا قردة وقتلهم الانبياء بغير حق وتكذيبهم عيسى بن مريم رسول الله ورميهم له ولامه بالعظائم وحرصهم على قتله وتفردهم دون الامم بالخبث والبهت وشدة تكالبهم على الدنيا وحرصهم عليها وقسوة قلوبهم وحسدهم وكثرة سخرهم فاليه النهاية وهذا وأضعافه من الجهل وفساد العقل قليل على من كذب رسل الله وجاهر بمعاداته ومعاداة ملائكته وأنبيائه وأهل ولايته فأي شيء عرف من لم يعرف الله ورسله وأى حقيقة أدرك من فاتته هذه الحقيقة وأى علم أو عمل حصل لمن فاته العلم بالله والعمل برضاته ومعرفة الطريق الموصلة اليه ومآله بعد الوصول اليه بأهل الارض كلهم في كلمات الجهل والبغى الا من أشرق عليه نور النبوة كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدي ومن أخطأه ضل فلذلك

أقول جف القلم على علم الله ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور فمن أجابهم خرج الى الفضاء والنور والضياء ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل وظلمة الهوي وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها فهذه جملتها ظلمات خلق فيها العبد فبعث الله رسله لاخراجه منها الى العلم والمعرفة والايمان والهدى الذي لاسعادة للنفس بدونه البتة فمن أخطأه هذا النور اخطأه حظه وكماله وسعادته وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض فمدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله وقلبه مظلم ووجهه مظلم لانه يبقى على الظلمة الاصلية ولا يناسبه من الاقوال والاعمال والارادات والعقائد الا ظلماتها فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة أشراق الشمس على بصر الخفاش

بصائر أغشاها النهار بضوءه * ولائمها قطع من الليل مظلم

يكاد نور النبوة يعمي تلك البصائر ويخطفها لشدته وضعفها فتهرب الى الظلمات لموافقتها لها وملائمتها إياها والمؤمن عمله نور وقوله نور ومدخله نور ومخرجه نور وقصده نور فهو يتقلب في النور في جميع أحواله قال الله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) ثم ذكر حال الكفار وأعمالهم وتقلبهم في الظلمات فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) والحمد لله أولا وآخر وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

Digitized by Google

﴿ يقول العبد المسكين محمد بدر الدين النعساني الحلبي ﴾

بحمد من بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا
محمد أشرف البريات وآله وصحبه ذوي النفوس الزكيات
وتم طبع هذا الكتاب الجليل الذى ليس له في
بابه مثيل بنفقة أحمد ناجي الجمال ومحمد أمين
الخانجي وأخيه في مطبعة التقدم بمصر
وذلك في منتصف شهر جمادي
الاولى سنة ١٣٢٣
محجريه والحمد لله
رب العالمين

Digitized by Google

اعلان

عن مطبوعات جديده

تطلب من محل محمد أمين الخانجي وشركائه

(بشارع الحلوجي بمصر)

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للامام فخر الدين الرازي مع كتاب تلخيص المحصل للنصير الطوسي .. وبهامشهما كتاب معالم أصول الدين للفخر أيضاً

لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات للامام فخر الدين الرازي

كتاب الأضواء البهجه في شرح دقائق المنفرجه لشيخ الاسلام القاضى زكريا

شرح ديوان زهير بن أبي سلمي المزني للأعلم الشنتمري النحوي

شرح ديوان الحطيئة لأبي الحسن السكري

كتاب الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء لابن قتيبة الدينوري

كتاب الصناعين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكرى

كتاب جواب أهل العلم والايمان في تفاضل آى القرآن لابن تيمية

تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية

كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية

مجموع تسع رسائل لابن تيمية

شرح فصوص شيخ الأكبر لعبد الغني النابلسي وشرحها لملا جامي في جزئين وقد انتهى الجزء الأول

كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزيه

كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزيه

كتاب الروح وما يتعلق به في نيف وستمائة صحيفه لابن قيم الجوزيه

كتاب شفاء العليل في مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزيه

Digitized by Google

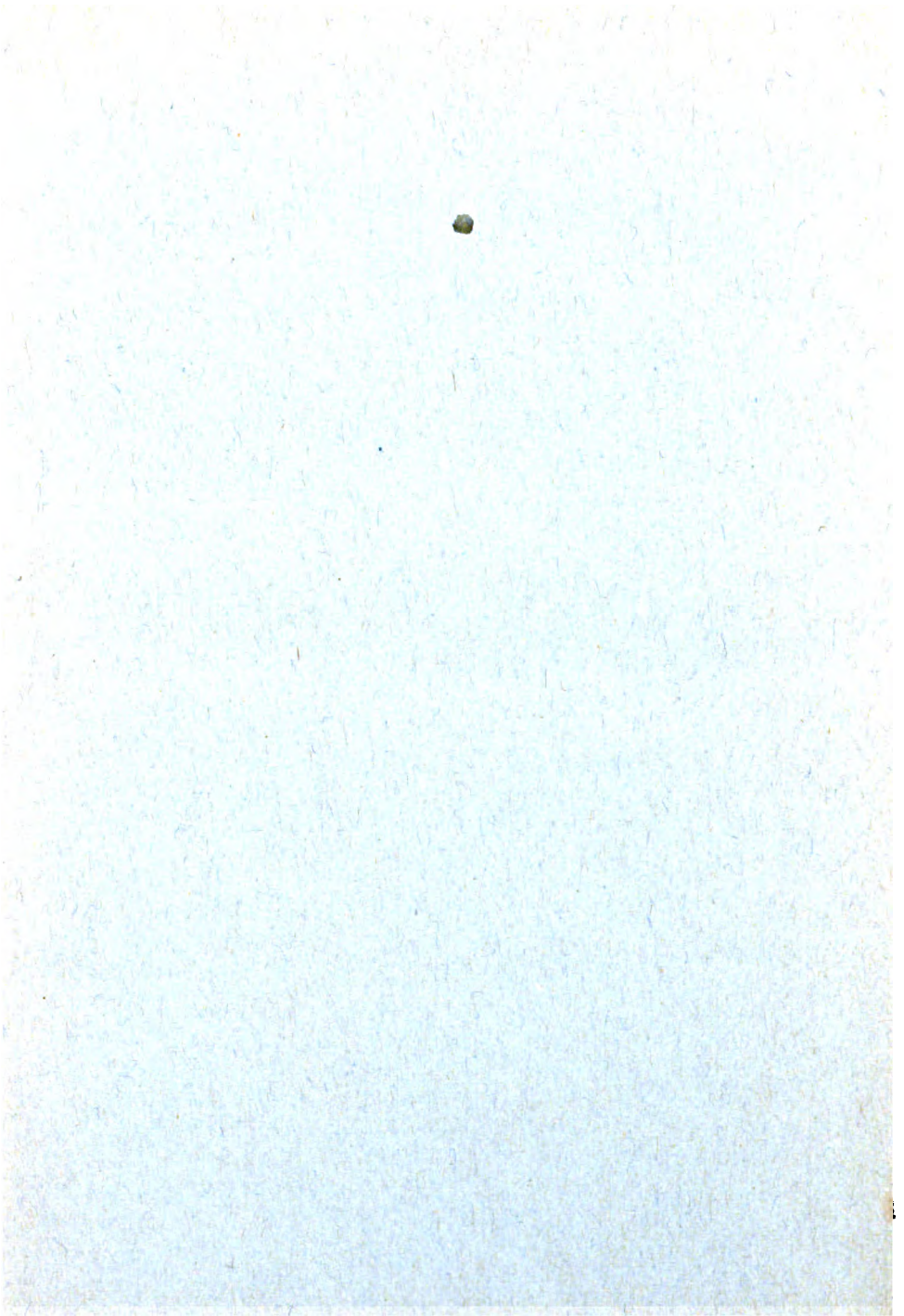

Digitized by Google

CANCELLED

Digitized by Google

This book should be returned to the Library on or before the last date below.

...ed by retaining it ... time.

...mptly.

Digitized by Google